التداعي الاشتقاقي في التركيب: لفظًا وتقديرًا وتأويلًا
(درسٌ في رَحِميَّة العربية)

إعداد
محمود عبد المنعم عبد الله قنديل الديب

أستاذ اللغة العربية وآدابها المساعد(تخصص لغة ونحو، كلية الألسن، جامعة كفر الشيخ)

المستخلص:
تناول هذا البحث بالدرس والتحليل المركبات الاشتقاقية المنتزعة من جذر واحد مع اشتراكهما في المعنى، منعقدةً في علاقة نحوية، لأداء غرض دلالي معين، نحو: (وشهدَ شاهِد)، و(وقعت الواقعة)، و(جُنَّ جنونُه)... وهي ما يمكن تسميتها (التداعي الاشتقاقي) الذي تجلّى في ثلاثة أقسام، أولها: (التداعي الاشتقاقي اللفظي) وهو الأصل، وعليه انقاس النوعان الآخران: (التداعي الاشتقاقي التقديري)، و(التداعي التأويلي).
أهم نتائج البحث: تُعَدُّ ظاهرة (التداعي الاشتقاقي) خرقًا بارزًا لمبدأ (تغايُر الحُكْم والمحكوم عليه) النحوي الذي قرره النحاة في قواعدهم التجريدية، لأداء أغراض دلالية متنوعة- يُسْنَدُ الفعل إلى فاعل مشتقٍّ من جنسه، كـ(قال قائل، وسأل سائل، و...) لتوكيد العموم- قد يُسند الفعل إلى مصدره المشتق منه على جهة المجاز العقلي، مثل: (جَدَّ جِدُّهُ)، وهو الأصلُ الذي انقاس عليه (التداعي التأويلي) المبني على الترادف بغرض المبالغة- في (التداعي الاشتقاقي التقديري): تقدير (الفاعل) من جنس فعله، وتقدير عامل الحال من جنسها، وتقدير موصوف من جنس صفته، وتقدير أحد المتضايفين من جنس المذكور، وتقدير التمييز من جنس مُميزه.

الكلمات المفتاحية: الإسناد المجازي، الإضمار، التسمية بالمآل، المركّب الاشتقاقي.

Derivational Association: In Terms of Expression, Estimation, and Interpretation (A Lesson in Arabic Morphology)

Abstract:

This research examines and analyzes derivational constructions derived from the same root and sharing a common meaning. These constructions are in grammatical relation to achieve specific semantic purposes, such as (shahid shaheed (شهد شاهد) = A witness testified, (waqa'at al-waqi'ah) (وقعت الواقعة) = The event (i.e., the Day of Judgment) is bound to happen,and (junna junoonuh) (جن جنونه)) = "He went mad."
These constructions can be termed as Derivational Association, which is divided into three categories: Verbal Derivational Association (the basis), Estimated Derivational Association, and Interpretative Derivational Association.

Main Findings:

The phenomenon of Derivational Association is a notable deviation from the grammatical principle of distinction between the rule and its subject, as established by grammarians in their abstract rules. This deviation serves various semantic purposes. For instance, the verb can be associated with a subject derived from the same root for general affirmation, as seen in (qal qā'il (قال قائل) = "A speaker said" and (sa'ala sā'il (سأل سائل) = "A questioner asked."
Additionally, the verb can be related to its root as a conceptual metaphor, such as in (jadda jidduhu (جَدَّ جِدُّهُ) = "He worked hard." This phrase represents the origin form which Interpretative Association, based on synonymy for exaggeration, is derived.
In Estimated Derivational Association, two components of the phrase are estimated from the same root, such as the subject and verb, verb and adverb, described and adjective, and (at-tamayyuz (التمييز) = "distinction" and (al-mumayiz (المميز) = "distinguished" as well as between the added = (al-muḍāf (المضاف) and the added-to = (al-muḍāf ilayh (المضاف إليه).

Keywords:

Metaphorical Attribution, Ellipsis, Result Nominalization, Derivational Construction.

مقدمة:

إن جوهر الاشتقاق الذي يجدِّد ماء العربية ليشرق به وجهها ليس صرفيًّا فحسب، فكذلك هو سمةٌ تتحقق في التركيب عبر علاقات نحوية تتفاوت قربًا وبعدًا، إذ يمَثِّل ما نسميه **"التداعي الاشتقاقي"** حالة مثالية لجوهر العربية الاشتقاقي، يتجلَّى فيها التمازج بين النظامين: الصرفي والنحوي، نحو قوله تعالى: **(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ)** [يوسف: ٢٦]، و(جُنَّ جنونُه)، و(ثار ثائرُه)... وما هو بهذي السبيل.

تأتلق العربية في لحظة **(التداعي الاشتقاقي)** مستنسخةً ذاتها في صورة أخرى، ينحني فيها التركيب على ذاته مؤكدًا مراده، فتختلف **(المتداعيات)** في الظاهر أشكالًا وألوانًا وتتفق في الجذر وروح المعنى، وهي- على ذلك- أشباهٌ ونظائرُ دعَا بعضُهم بعضًا وتَنادَوا متلاحمين بين الجموع في علاقات نحوية تزيد أرحامهم وصلًا، ليكون تداعيهم روحًا سارية في نسلها تحفظ للجملة والعبارة تماسكها ووهجها.

تشتق **(المتداعيات)** من نفسها ولنفسها بناتٍ وبنينَ أوفياء لا يعصون ما تأمرُهم، لتخترقَ بهم حجب الألفاظ وتنفذَ إلى صميم المعنى، إذ تُطِلُّ عليهم روح الاشتقاق في العربية من عليائها، لتمنحهم بكل نظرة مددًا، بها تستطيل جملتهم، أو تقوى بها قبضة يقينهم في وجه الريب، وتتلَبَّس بهم فيصيرون روحًا فوارة، مركزها واحد، وأصداؤها بعيدة المدى.

و(التداعي) عريق الأصل في العربية، وهو لغةً: "أن يدعوَ القومُ بعضُهم بعضًا"[١]، "وتَداعى القومُ: دعَا بعضُهم بعضًا حتى يَجتمعوا"[٢] متناصرين[٣]، ومنه في الحديث: "... مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[٤]، "أي: دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في الألم"[٥]، فكأن الألفاظ المشتقة من جذر واحد تتنادى في التركيب في علاقة نحوية تزيدها تماسكًا، نحو قوله تعالى: **(فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)** [إبراهيم: ١٢]، وقوله تعالى: **(وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ)** [البقرة: ٢٨٢] وقوله تعالى: **(تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ)** [البقرة: ٢٨٢].

وعلى ذلك فضابط **(التداعي الاشتقاقي)**: انعقاد علاقة نحوية بين لفظين مشتركين في الجذر والمعنى، لأغراض دلالية أعمّها تمكين المعنى.

هذا التعريف الإجرائي للظاهرة بُني على ثلاثة معايير:

الأول: اشتقاق الكلمتين الواردتين في التركيب من جذر واحد.

الثاني: الاشتراك في المعنى، ليخرج التجنيس الذي شرَط فيه أهل البيان الاختلاف في المعنى ولو مجازًا[٦].

---

[١] تهذيب اللغة، دعو: ٧٧/٣.

[٢] لسان العرب، دعو: ٣٦٣/٤.

[٣] تهذيب اللغة، دعو: ٧٨/٣.

[٤] صحيح مسلم: ١٩٩٩/٤.

[٥] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر: ٤٣٩/١٠، وينظر، لسان العرب، دعو: ٣٦٣/٤.

[٦] ألحّ ابن الأثير في [المثل السائر: ٣٢٠/٢، ٣٢١] على الفرق بين (الاشتقاق) و(التجنيس)، فالأول: ألفاظه كلها من جذر واحد ومعناها واحد، كقولنا: هشمك هاشِم، وحاربك محارِب، وأصاب الأرض صَيِّبٌ [٣٢٠/٢]، والثاني: "اتفاق اللفظ واختلاف المعنى" [٣٢١/٢] ونبه على أنَّ "النظر في مثل ذلك يحتاج إلى فكرة وتدبر كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق"[٣٢٠/٢]، وأرجع ذلك إلى أنّ هذا "الموضع يقع فيه الاشتباه كثيرًا على من لم يتقن معرفته"[٣٢٠/٢].

الثالث: العلاقة النحوية بين المتداعيينِ الاشتقاقيينِ.

تتضافر هذه العناصر الثلاثة لتحقق أغراضًا دلالية أعمها التأكيد والتمكين، وهذا التداعي الاشتقاقي اللفظي هو الأصل، وعليه انقاس نوعان آخران، هما: التداعي الاشتقاقي التقديري، والتداعي التأويلي.

يخلو- إذن- مصطلح (**التداعي**) الوارد ها هنا من أي حمولة معرفية غربية، تلك الشائعة في مجال (علم النفس)، والبحث- إذ أَصَّلَ لامتداد لفظ المصطلح في التراث العربي- يبرأ من عبء الثقل المعرفي الذي قد يوهم باستعارة غير حقيقية للمصطلح في سياقه الغربي.

الدراسات السابقة:

لم تَحظَ ظاهرة (التداعي الاشتقاقي)- كما أطلق عليها الباحث- بدراسة معاصرة مستوعبة تستوفي كل أنواعها الرئيسة والفرعية، وتسلكها ضمن نموذج تفسيري واحد كما ابتغت هذه الدراسة، غير أنَّ ثمة دراسة ألمَّت شيئًا من الظاهرة، هي: (مركب المفرد المضاف إلى جمعه بين هشاشة المقاربة المجمعية وقوة التفسير الإدراكي، للدكتور محيي الدين محسب، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي، المملكة العربية السعودية، العدد (١١)، ذو القعدة ١٤٤١هـ- يوليو ٢٠٢٠م)، وقد كان لهذه الدراسة صداها فيما يتعلق بـ(التداعي الاشتقاقي الإضافي)، وهو نوعٌ فرعيٌّ ضمن المبحث الأول.

جدير بالذكر كذلك أنّ مارك تورنر في كتابه (مدخل إلى نظرية المزج) يقدم تصورًا مفهوميًّا عن (المرَكّب الإضافي)[٧] و(المرَكّب الوصفي)[٨] بوصفهما طرفين "ليسا نظيرين في شبكة الدمج"[٩]، فيصيران بالعلاقة النحوية (مُرَكَّبًا اسميًّا)[١٠]، تكمن أهمية هذا التحليل (النحوي والصرفي) في إشارته إلى قدرة العقل البشري على التوليد والربط المفهومي، وهو أبلغ ما يكون في (المتداعيات الاشتقاقية) التي يتولّد الطرف الثاني فيها من الأول- على الأغلب- اشتقاقيًّا مع ارتباطه به نحويًّا ودلاليًّا وصوتيًّا.

أهمية الدراسة:

إنَّ افتقاد دراسات حديثة تتناول بالجمع والتقسيم والتحليل هذا التجاذب الاشتقاقي المتضافر صرفيًّا ونحويًّا ودلاليًّا ومعجميًّا وصوتيًّا، الكائن في ظاهرة (التداعي الاشتقاقي) لفظًا والكامن تقديرًا وتأويلًا باعثٌ كافٍ لدراسته، كما كان شيوع هذه الظاهرة في القرآن الكريم، والحديث الشريف، ونصوص العربية العالية نظمها ونثرها في القديم والحديث، وأمثالها التراثية والمعاصرة، مما يتطلب دراسة تستقصي صورها وتبين سماتها التركيبية وأغراضها الدلالية.

---

[٧] ينظر، مدخل إلى نظرية المزج: ٦٠، ٦١.

[٨] ينظر، المرجع السابق: ٦١، ٦٢.

[٩] المرجع السابق: ٦٠. قصد تورنر بـ(شبكة الدمج) المضمون الثقافي لهذين المركبين.

[١٠] ينظر، المرجع السابق: ٦١.

مشكلة البحث:

تثير هذه الظاهرة اللغوية أسئلة تستدعي البحث عن إجابات تفسيرية سعت هذه الدراسة لتقديمها:

- كيف أقامت العربية علاقات إسنادية تامة الفائدة من جذر معجمي واحد؟
- ما نوع العلاقات الإسنادية التي شكَّلت ظاهرة (التداعي الاشتقاقي)؟
- هل تحقق (التداعي الاشتقاقي) في صور أخرى غير إسنادية؟ وما صورها؟
- ما صور (التداعي الاشتقاقي) الظاهرة والمضمرة التي تجلت في استعمال العربية بمختلِف أنواعه؟
- ما السمات التركيبية والصرفية والصوتية والمعجمية للمتداعيات الاشتقاقية؟
- ما الأغراض الدلالية الداعية لبناء هذه (المتداعيات الاشتقاقية)؟
- ما مدى وجود هذه الظاهرة في طبقات العربية قديمًا وحديثًا؟

منهج البحث:

اعتمد الباحث في تحليل مادة هذه الظاهرة اللغوية المنهج الوصفي، منطلقًا للتفسير والتحليل.

حدود البحث:

- الحد الموضوعي: ظهر في العنوان. - الحد الزماني: مفتوح.
- الحد المكاني: مفتوح. - الحد اللغوي: العربية.

إجراءات البحث:

اعتمد الباحث في تحليل هذه الظاهرة على جمع شواهدها من مظانّها في محكم التنزيل، والحديث الشريف، وكلام العرب شعره ونثره، والعربية المعاصرة فصيحها وعاميتها.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: التداعي الاشتقاقي اللفظي.

وفيه نمطان تركيبيان رئيسان، يطويان أنواعًا فرعية[١١]:

النمط الأول: التداعي الاشتقاقي المبدوء بفعل.

أولا: الفعل وفاعله، وهو ثلاثة أضرب:

أ. إسناد الفعل إلى مشتق من جنسه.

ب. إسناد الفعل إلى جامد من جنسه.

ج. إسناد الفعل إلى جنس مصدره.

ثانيًا: الفعل ومتعلقاته:

أ. (المفعول به) المشتق من مادة فعله.

ب. (المشبَّه بالمفعول به) المشتق من مادة فعله.

ج. التداعي الاشتقاقي في حيز الفعل.

النمط الثاني: التداعي الاشتقاقي المبدوء باسم.

أولا: التداعي الوصفي اللفظي.

أ. الوصف بالمفرد. ب. الوصف بالجملة.

ثانيًا: التداعي الإضافي اللفظي. ثالثًا: التداعي التمييزي اللفظي

[١١] هذه الأنواع الفرعية ظهر صداها في التداعي التقديري والتأويلي، كما سيأتي تفصيله في البحث.

المبحث الثاني: التداعي الاشتقاقي التقديري، وفيه خمسة أنواع:

أولا: تقدير الفاعل من لفظ الفعل. ثانيًا: تقدير عامل الحال من لفظ الحال.

ثالثًا: تقدير الموصوف من لفظ الصفة. رابعًا: تقدير أحد المتضايفين من لفظ المذكور.

خامسًا: تقدير التمييز من لفظ المميز.

المبحث الثالث: التداعي التأويلي، وفيه خمسة أنواع:

أولا: إسناد الفعل إلى معنى فاعله. ثانيًا: الفعل ومتعلقاته.

ثالثًا: التداعي الوصفي التأويلي. رابعًا: التداعي الإضافي التأويلي.

خامسًا: التداعي التمييزي التأويلي.

ثم انتهى بخاتمة فيها أهم النتائج.

والله من وراء القصد،،،

المبحث الأول: التداعي الاشتقاقي اللفظي.

يمثل (التداعي الاشتقاقي اللفظي) الأصل الذي تقوم عليه هذه الظاهرة اللغوية، إذ تنعقد فيه العلاقة النحوية بين لفظين متفقين في المادة الصرفية ومشتركين في المعنى، لأغراض دلالية متنوعة، وتتمدد هذه العلاقات النحوية في التركيب بأشكال مختلفة يتصدرها الفعل أو الاسم، كما يأتي:

النمط الأول: التداعي الاشتقاقي المبدوء بفعل.

بيئة الفعل هي بيئة التداعي الاشتقاقي الخصبة، وهي موطن نموها الأصيل التي تنعقد فيها العلاقات النحوية بين (**المتداعيات الاشتقاقية**) في علاقات إسنادية على جهة الأصل، فنجد الفعل وفاعله المشتق منه حقيقة ومجازًا، وكذا العلاقة الاشتقاقية بين (الفعل والمفعول به)، و(الفعل ومتعلقه)، و(معمولي الفعل: الفاعل والمفعول به)، وذلك على النحو الآتي:

أولا: الفعل وفاعله، وهو ثلاثة أضرب:

أ) إسناد الفعل إلى مشتق من جنسه.

يحظى (الفاعل) بموقع خاص بالنسبة للفعل فهو كالجزء منه[١٢]، لشدة اتصاله به[١٣] في ترتيب إجباري يتقدم فيه الفعل على فاعله الذي لا يتعدد، ذلك "أنَّ الفعل هو حركة الفاعل، والحركة لا تقوم بنفسها، وإنما هي متصلة بمحلها"[١٤]، والأصل في الفاعل أن يكون اسمًا جامدًا بحكم مباشرته لعامله[١٥]، وهذا يقتضي– بداهة– أن يكون الأصل الغالب فيه مغايرة فعله على شدة اختلاطه به[١٦]، لكونه مرتجلا بحكم اسميته المحضة.

وقد صرح أهل اللغة والنحو بهذا الأصل فنصوا على أنَّ شرط الإسناد "تغايُر الحُكْم والمحكوم عليه"[١٧]. بمعنى "أنه لا يجوز أن يتحد الفعل والفاعل في لفظ واحد"[١٨]، فـ"لا يجوز: (قام القائم) ولا (قعد القاعد) لعدم الفائدة"[١٩].

هذه المغايرة المقررة بين الفعل وفاعله في المادة الصرفية– كما ذكرنا– هي الأصل الغالب، لتتحقق الفائدة من الكلام. لكنَّ العربية– وهي الموصوفة بالشجاعة– تدهشنا بجسارتها على خرق ما يُفْتَرَض أنه أصل– مهما بدَا محكمًا منطقيًّا– لأغراض دلالية لا تتحقق في التركيب إلا بهذا الخروج على الشائع والمألوف وما يمكن وصفه بالأصل الغالب.

تجهر العربية بأن ذاتها المتمثلة في تركيب معين– كالفعل وفاعله– يمكن أن تتكرر، معلنةً عن ذات ممتلئة بدلالة بليغة الكثافة في لفظين متلازمين متتابعين تركيبيًّا كأنهما الصوت والصدى.

هذا المُرَكَّب (الفعل وفاعله المشتق منه) عميق الصدى في العربية شعرًا ونثرًا، لكنَّ أمثل صُوره تجلَّت في محكم التنزيل، إذ تنوَّع فيها (الفاعِل المشتق من لفظ الفعل) بين (التنكير والتعريف)، و(الإفراد والتثنية والجمع)، نحو قوله: (**سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١**) [المعارج: ١]، و(**يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ**

---

[١٢] ينظر، شرح المفصل: ١/٢٠٣.

[١٣] ينظر، المرجع السابق: ١/ ٢٠٢.

[١٤] نتائج الفكر: ٢٩٧.

[١٥] ينظر، البسيط: ١/ ٢٩٥، والمقاصد الشافية: ٤/ ٦٩١.

[١٦] (الاختلاط) هو تعبير ابن يعيش في [شرح المفصل: ١/ ٢٠٢].

[١٧] البحر المحيط: ١٨٦/٤. وينظر، الدر المصون: ٥٢/٥، وروح المعاني: ٢١٣/٤.

[١٨] الدر المصون: ٥٢/٥.

[١٩] المرجع السابق: ٤٧٢/٦.

إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٖ) [القمر: ٦]، و(**إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ)** [ق: ١٧]، و(**وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ)** [المطففين: ٢٦].

الملاحظة العامة– هنا– مجيء (الفاعل) على صيغة (اسم الفاعل)، "وهو صيغة مزدوجة تدل على الحدث ومُحَقِّقه في شكل صرفيٍّ واحد لكل صيغة من صيغ الفعل"[٢٠]. وهذا يعني أننا إزاء تركيب متداخل الأصوات والأصداء، ففضلًا عن شدة الاتصال بين الفعل وفاعله في صورته التقليدية، نجد هنا حدثًا متكررًا فيهما معًا، كما نجد الاسم الذي يشغل موقعية (الفاعل) من حيث الوظيفة النحوية هو نفسه صيغة صرفية تدل على معنى الفاعلية، فكأن الحدث متكرر مرتين في (الفعل وفاعله المشتق من مادته)، ومعنى الفاعلية متكرر مرتين على مستوى الوظيفة النحوية والدلالة الصرفية، فهو ازدواج مضاعف يزيده اختلاطًا وتداخلا قوة الإسناد بين الفعل وفاعله.

ربما لم تعرف العربية في مركباتها مثل هذه الحالة من التماهي بين نظاميها: النحوي والصرفي، بل لعلها أبلغ درجة من درجات الكمال الذاتي في تحقيق التوكيد بانحناء التركيب على ذاته دون التوسل بأداة أجنبية تُستدْعَى من خارجه أو بإعادة ترتيب الجملة على غير أصلها. لقد اكتفى التركيبُ بذاته ليصل إلى الدرجة القصوى من تمكين الغرض الذي يقصد إليه في نفس المتكلم بحكم الترادف المتحقق فيه، "كقولنا: هشَّمك هاشمٌ، وحاربَك محاربٌ، وسالمَك سالمٌ، وأصاب الأرض صَيِّبٌ، فهذه الألفاظ كلها لفظها واحد ومعناها واحد"[٢١].

إنها حالة بالغة المثالية من كثافة الدلالة المتولدة من (جذر ثلاثي) شديد الخصوبة في استطالته وامتداده التركيبي هذا، وهو ضربٌ من قدرة العربية على التفنن في توليد مركبات تامة الفائدة مكتفية بجذر معجمي واحد فحسب[٢٢].

فتلك (المتداعيات الاشتقاقية) تراكيب صافية الجذر منعكسة في مرآة ذاتها مفضية إلى التوكيد الناشئ عن (مستتبع التركيب)[٢٣]، فلو قيل مثلا: (حكمت المحكمةُ أو حكَمَ الحَكَمُ)، فالمعنى اللازم للتركيب أنه قد حكَم مَن له الحق في الحكْم والثابت له صدور هذا الفعل عنه قبل الإسناد، لذا كان هذا التركيب المُكرّر فيه صُلب المعنى أشد توكيدًا من (قضَت المحكمةُ) مثلا بالإسناد على جهة المغايرة، وهو الأصل في النموذج التجريدي النحوي.

هذه الكثافة الدلالية العامّة في هذا الضرب من (المتداعيات الاشتقاقية) مستقاة من تحليله في مستوياته التجريدية الثلاث: النحوي والصرفي والمعجمي. بَيدَ أنَّ لكل تركيب خصوصيته حين نتأمله عن كثب في سياقه الخاص كما سَيَبِينُ في تحليل بعض شواهده على النحو الآتي:

قوله تعالى: **(سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١)** [المعارج: ١]. المعنى: "دعا داع به فالسؤال بمعنى الدعاء ولذا عدي بالباء تعديته بها في قوله تعالى: **(يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥)** [الدخان: ٥٥] والمراد استدعاء العذاب"[٢٤]. وهذا المركب "(سَأَلَ سَائِلٌ) بمنزلة (سُئِلَ)، لأن مجيء فاعل الفعل اسم

---

[٢٠] الاسم في التفكير النحوي: ١٥٥.

[٢١] المثل السائر: ٣٢٠/٢.

[٢٢] ستتكرر هذه الحالة في إسناد الفعل مجازيًّا إلى مصدره، لكن المصدر ليس فيه وظيفة الفاعلية بمعناها الصرفي المتحققة في صيغة (اسم الفاعل).

[٢٣] أي: من لوازم التركيب، وسيأتي استعمال هذا (المصطلح) تفسيريًّا في مواضعه من البحث.

[٢٤] روح المعاني: ٦٢/١٥.

فاعل من لفظ فعله لا يفيد زيادة علم بفاعل الفعل ما هو، فالعدول عن أن يقول: (سُئِلَ بعذاب) إلى قوله: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ)، لزيادة تصوير هذا السؤال العجيب"[٢٥].

وقد قيل في تعيين (السائل): النضر بن الحارث أو أبو جهل أو الحارث بن النعمان الفهري[٢٦] أو كفار قريش، لأنهم "كانوا يستهزئون فيسألون النبي - ε-: متى هذا العذاب الذي تتوعدنا به، ويسألونه تعجيله قال تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [يونس: ٤٨] (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) [الحج: ٤٧]"[٢٧]، ومن ثم قُصِد إلى عدم التعيين ليصح احتمال أن يكون (السائل) فريقًا أو شخصًا[٢٨]. وهذه المعاني المخصوصة المستفادة من إسناد الفعل إلى فاعل من لفظه سوَّغت مجيئه نكرة، فلهذا صح هذا الضرب من الإسناد ونظائره.

وجه الإشكال في ذلك أنَّ النموذج التجريدي[٢٩] النحوي يمنع نحو (جَاءَ جَاءٍ)، لأنَّ معرفة "المسند إليه سابقة على معرفة المسند، فمتى عُرِفَ (الجائِي) عُرِفَ (المجيء)، فلا يبقى فى الإسناد فائدة. والشيء قد يُعرَفُ ولا يُعرَفُ مجيئُهُ"[٣٠]. هذا بخلاف "نحو: (أتاني آتٍ)، ونحو [من الطويل]:

هُرَيرَةَ وَدِّعها وَإِن لامَ لائِمُ [غَداةَ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلبَينِ واجِمُ][٣١]

فإنَّ التنكير فى مثل ذلك لمعنى خاص"[٣٢]، والمنع "إنما هو فى نحو (جاءَ جاءٍ) من غير إرادة شئ خاص"[٣٣]. وواضحٌ أنَّ العربية- في كل بيانها الحي- لا تصطنع لنفسها مثل هذا التركيب إلا على عينها قصدًا لمعنى خاصّ.

ومن ذلك قوله تعالى: **(قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ)** [يوسف: ١٠]. احتمل القائل أن يكون: يهوذا، وهو أكبر ولد يعقوب. وقيل: روبيل، وهو ابن خالته، وقيل: شمعون[٣٤]، "والعدول عن اسمه العَلَم إلى التنكير والوصفية لعدم الجدوى في معرفة شخصه وإنما المهم أنه من جماعتهم، وتجنبًا لما في اسمه العلم من الثقل اللفظي الذي لا داعي إلى ارتكابه"[٣٥]، وكي يخلو وجه المعنى للحدث تأكيدًا وتكثيفًا لدلالة القول نفسه، فضلا عن مركزية

---

[٢٥] التحرير والتنوير: ١٤٣/٢٩.

[٢٦] ينظر، روح المعاني: ٦٢/١٥.

[٢٧] التحرير والتنوير: ١٤٣/٢٩.

[٢٨] ينظر، المرجع السابق: ١٤٣/٢٩.

[٢٩] تفسير ذلك أنَّ نظريات التجريد تفترض أننا نستخرج الخصائص العامة لفئة ما من الحالات المحددة التي دُرست، وأننا نخزن تلك الأفكار التجريدية [ينظر، علم النفس المعرفي ومضامينه: ٢٥٦] التي تستنبطن القاعدة العامة الضابطة، وهي في حالتنا تلك (تغايُر الحُكْم والمحكوم عليه)، فيُبنى عليها منع نحو: (قام قائم) وسائر التراكيب الشبيهة بامتداد الجملة، لكن بعض تراكيب اللغة قد تخرج على هذا النموذج التجريدي لأغراض دلالية معينة، وهو موضوع البحث.

[٣٠] عروس الأفراح: ٣٧٤/١.

[٣١] ديوان الأعشى الكبير: ٧٧

[٣٢] عروس الأفراح: ٣٧٤/١.

[٣٣] المرجع السابق: ٣٧٤/١.

[٣٤] ينظر، الجامع لأحكام القرآن: ١٣٢/٩.

[٣٥] التحرير والتنوير: ٢٦/١٢.

مضمونه في السياق وأثره الحاسم في انقضاء مرحلة في حياة النبي يوسف- عليه السلام- وابتداء أخرى لتكون في خاتمتها مصداق رؤياه.

كذلك تُجُنِّبَ العَلَم في قوله تعالى: **(وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ)** [الكهف: ١٩] للعناية بالقول دون تعيين قائله، لينصرف هم السامع إلى الحدث. كذا الشأن في قوله تعالى: **(قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)** [الصافات: ٥١].

العدول عن ذِكر الأعلام في نحو (سأل سائل- وقال قائل) يحفظ للتركيب وهجه، إذ العَلَم في مثل هذا التركيب تبلى مع الزمن جِدّته، وتتبدد من الأسماع وضاءته الأولى، وتضمحل جذوته التي كانت في بيئته البكر مع تطاول العهود.

وإذا كان المراد تمكين الحدث في النفس، فإن صيغة اسم الفاعل المتلبسة بفعلها مادةً ودلالةً هي الأحرى بموقعية الفاعل.

يتبدّى هذا الفرق الذي يُقْصَد إليه حين يُعَيَّنُ الفاعل- عَلَمًا كان أو غير عَلَمٍ- مع الأفعال نفسها في سياقات قرآنية أخرى (وهو حكم عام أيضًا في غيرها) كما في قوله تعالى: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ)** [البقرة: ١٨٦]. و**(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ٣٠)** [البقرة: ٣٠]. و**(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ)** [البقرة: ٥٤]. و**(وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا)** [البقرة: ١٢٦]. و**(إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)** [آل عمران: ٥٥]. و**(وقال رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِن آلِ فِرْعَوْنَ)** [غافر: ٢٨]. و**(قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ٢٨)** [القلم: ٢٨]، وغياب تعيين الفاعل في كل ذلك يفوّت الغرض المراد كما لا يخفى على بداهة النظرة، ففي كلّ هذي السياقات ونظائرها خصوصيات استوجبت تعيين الفاعل المغاير لمادة الفعل الدالّ على الذات الأصيلة للفاعل.

إنَّ قوة العموم في هذا التركيب ظاهر في استعمالات المفسرين له شرحًا وبيانًا، كقول البقاعي في تفسيره لقوله تعالى: **(كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ)** [المدثر: ٥٠] "وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ بِالْفَتْحِ[٣٦] بِمَعْنَى أَنَّهُ نَفَّرَهَا مُنَفِّرٌ"[٣٧]، وكذا قول الطاهر بن عاشور في معرض تفسيره لقوله تعالى: **(يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ)** [الشعراء: ٨٨]، يقول: "تَقْدِير الكَلامِ: يَوْمَ لا يَنْفَعُ نافِعٌ أوْ شَيْءٌ، أوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِمّا يُفِيدُ عُمُومَ نَفْيِ النّافِعِ، حَسْبَما دَلَّ عَلَيْهِ (مالٌ ولا بَنُونَ) مِن عُمُومِ الأشْياءِ"[٣٨].

يضاف إلى ذلك أن الصيغتين المذكورتين[٣٩] ينضحان حيوية في باب المحاورة والسؤال المقصود به تنبيهٌ يُساق بعده جوابٌ أو احترازٌ من وهم، لذلك استعملا استعمالا وظيفيًّا في مصنفات

---

[٣٦] أي: مُسْتَنفَرَةٌ، ينظر، إعراب القراءات الشواذ: ٦٤٤/٢.

[٣٧] نظم الدرر: ٢٣٨/٨. يلفت النظر أنّ استخراج فاعل من جنس فعله لمعادلة صيغة المبني للمجهول يأتي على وجهين: أولهما العموم وهو المذكور ها هنا، وثانيهما إرادة المبالغة كما في نحو قوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) [الواقعة: ٤٥] "و(المترف): اسم مفعول من أترفه، أي جعله ذا تُرْفَة بضم التاء وسكون الراء، أي نعمة واسعة، وبناؤه للمجهول لعدم الإحاطة بالفاعل الحقيقي للإترف كشأن الأفعال التي التزم فيها الإسناد المجازي... فهذا من باب: قال قائل، وسأل سائل" [التحرير والتنوير: ٣٠٦/٢٧] كأنه قيل: أترَفَه الترفُ، وسيأتي بيان ذلك في إسناد الفعل إلى مصدره.

[٣٨] التحرير والتنوير: ١٥٩/١٩.

[٣٩] أي: (قال قائل) و(سأل سائل)، ويدخل في هذا الباب أيضًا إضافة المصدر إلى فاعله، نحو: (قول القائلِ) و(سؤال السائلِ) و(زَعْم الزاعمِ)... وغيرها، وسيأتي بيان ذلك في موضعه.

العلماء ليكون فاتحة النظر للرد على سائل متخيل أو قائل معترض[٤٠]. وهو استعمالٌ وظيفيٌّ أَمْكَنُ من معادِلِه المبني للمجهول في نحو (فإن قيل...)، لأنه- على وظيفيته- أنبهُ للمتكلم والسامع بحكم الاستحضار الإنساني لشخص متخيل وظيفته السؤال الذي يستدعي جوابًا يتمم الفكرة أو يزيدها احترازًا.

من هذا التركيب في الشعر قول كعب بن زهير [من البسيط]:

في عُصْبةٍ مِنْ قريشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ببطنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا[٤١]

ومن بحر الفكرة الأولى قوله تعالى: **(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ)** [يوسف: ٢٦][٤٢]، أي: "حَكَم حاكمٌ من أهلها"[٤٣]، كما تحتمل الآية الذهاب "بالشهادة إلى معنى القول كأنه قال: وقَالَ قائلٌ من أهلها"[٤٤]، "و(مِنْ أهلها) صفة لـ(شاهد)، وهو المُسَوّغ لمجيءِ الفاعل من لفظِ الفعل"[٤٥].

وقد بُني الاحتمالان المذكوران على الاختلاف في تعيين (الشاهد)[٤٦]، وليس هذا من هم القرآن في هذا الموضع ونظائره، إذ الهمُّ مصروفٌ إلى حَدَث الشهادة وتأكيد وقوعها من جهة بعض أهلها ليكون ألزم للحجة وأوثق للبراءة. وقد جاء الفاعل متلبّسًا بمادة الفعل تكريسًا للحدث بإعادة ذكر الفاعل من لفظه، لتكون الشهادة هي مركز الدلالة. والأمر نفسه في قوله تعالى: **(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ)** [الأحقاف: ١٠].

ومنه أيضًا قوله تعالى: **(فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ١٩)** [القلم: ١٩]، المعنى: "فَطافَ عَلَيْها بلاء أو هلاك طائِفٌ"[٤٧]. والطائف غالب في الشر[٤٨]، وهو "اسمُ فاعل حقيقةً"[٤٩]، "ولم

---

[٤٠] ينظر مثلا [ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١١٣]، وفيه يقول الرماني: "فإن قال قائل: فلم اعتمدتم على الاحتجاج بعجز العرب دون المولدين وهو عندكم معجز للجميع...؟". كذلك افتتح الشريف المرتضى أغلب أماليه ومجالسه في (أمالي الشريف المرتضى) بنحو هذا المركب الاشتقاقي تمهيدًا للجدال العلمي، مثل: ["(إن سأل سائل...): ١/٢٥، ٤٩، ٧٠، ٨٧، ١٠٥، ١٢٠، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٧٠، ٣٠٨، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤١٧، ٤٣٩، ٤٥٢، ٤٦٥، ٤٧٧، ٤٨٩، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥١٤، ٥٢٦، ٥٣٨، ٥٥٠، ٥٦٥، ٥٧٦، ٥٩٠، ٦٠٣، ٦١٥، ٦٢٨، ٦٣٠]، و["(إن قال قائل...): ١/٣٨]، ومثل ذلك كثير.

[٤١] شرح ديوان كعب بن زهير: ٢٣. زُولوا: انتقلوا من مكة إلى المدينة، ويعني بذلك الهجرة.

[٤٢] ما زال هذا التعبير القرآني سيَّارًا "في العربية المعاصرة لتأكيد صدق شهادة الإنسان على من يمتُّ له بصلة القربى والمودة" [معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٥٥٣].

[٤٣] معاني القرآن: ٢/٤١.

[٤٤] المرجع السابق: ٢/٤١.

[٤٥] الدر المصون: ٦/٤٧٢.

[٤٦] جاء في [الكشاف: ٢/٤٣٣]: "قيل كان ابن عمّ لها، إنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها، لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة عنه. وقيل: هو الذي كان جالسًا مع زوجها لدى الباب. وقيل: كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره. ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر، فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق. وقيل: كان ابن خال لها صبيًّا في المهد" أنطقه الله آية في براءته.

[٤٧] الكشاف: ٤/٥٩٤، وينظر، الدر المصون: ١٠/٤١٠.

[٤٨] ينظر، الدر المصون: ١٠/٤١٠.

[٤٩] المرجع السابق: ٥/٥٤٧.

يعين جنس الطائف لظهور أنه من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك، ولا يتعلق غرضه بتعيين نوعه، لأن العبرة في الحاصل به، فإسناد فعل (طاف) إلى (طائف) بمنزلة إسناد الفعل المبني للمجهول، كأنه قيل: فَطِيفَ عليها وهم نائمون"[٥٠].

وإنزال الطاهر التركيب منزلة المبني للمجهول إنما هو على سبيل التقريب بحكم اشتقاق الفاعل من لفظ الفعل كأنه إخفاء للفاعل، لكن إعادة الحدث في لفظ الفاعل مرة أخرى مقصودٌ قصدًا للإيغال في دلالة عَصْفِ الطائف بثمار الجنة المصرومة، كأن تكرار الحدث بطريق التداعي أريد به تمثيل تكرار العصف والإهلاك كالصوت وصداه حتى صارت الجنة خرابًا يبابًا.

من شواهد هذا التركيب أيضًا (أَذَّن مُؤذِّنٌ) في قوله تعالى: (**فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ**٧٠)[يوسف: ٧٠].

قوله: "(ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ): ثم نادَى منادٍ. يقال: آذنه أعلمه. وأذَّنَ: أكثر الإعلام. ومنه المؤذن، لكثرة ذلك منه"[٥١]، ففي هذا (التداعي الاشتقاقي) مزيد إيغال في التوكيد من جهة التشديد في البنية الصرفية للفعل واسم الفاعل.

أشار الآلوسي في هذا السياق إلى رأي بعض النحاة في منع نحو: "(قام قائم)، لأنه لا فائدة فيه"[٥٢]، منبهًا على أن العربية قد تسلك هذه السبيل- وهو مذهب سيبويه[٥٣]- إذا رَمَتْ إلى غرض منه، فـ(مُؤَذِّنٌ) في الآية الكريمة صفة لموصوف محذوف، أي: "أَذَّنَ رجل معيّن للأذان: (أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ)"[٥٤]. وفي هذا التعيين إشارة إلى مهنة يقوم بها رجل معيّن أو تنهض بها طائفة مخصوصة، ولهذا التقدير وجاهته، فقد صُرِّحَ بمثله في قوله تعالى: (**وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ**) [الحاقة: ١٢]، وكذا قول النابغة الذبياني [من السريع]:

الطّاعنُ الطّعنَةَ، يومَ الوَغَى يَنْهَلُ منها الأَسَلُ النّاهِلُ[٥٥]

وكذا قوله [من الطويل]:

فَلَمّا تَوَفّى العَقلَ إلّا أَقَلَّهُ وَجارَت بِهِ نَفسٌ عَنِ الحَقِّ جائِرَه[٥٦]

ونظيره قول لبيد [من الكامل]:

ما عاتَبَ الحُرَّ الكَريمَ كَنَفسِهِ وَالمَرءُ يُصلِحُهُ الجَليسُ الصالِحُ[٥٧]

كذلك نبّه الآلوسي على أنّ "قياس ما في النظم الجليل على المثال المذكور[٥٨] ليس في محله. وكثيرًا ما تتم الفائدة بما ليس من أجزاء الجملة[٥٩]، ومنه قوله- ε-: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ

---

[٥٠] التحرير والتنوير: ٧٦/٢٩.

[٥١] الكشاف: ٤٦٠/٢.

[٥٢] روح المعاني: ٢٣/٧، وينظر، الدر المصون: ٤٢٩/١٠.

[٥٣] سيأتي تفصيل ذلك في (التداعي الاشتقاقي التقديري) فيما يتعلق بتقدير عامل الحال المحذوف.

[٥٤] روح المعاني: ٢٣/٧.

[٥٥] ديوانه: ١٦٧.

[٥٦] ديوانه: ١٥٥.

[٥٧] شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٣٥١.

[٥٨] أي مثال النحاة (قام قائم).

[٥٩] يقصد الآلوسي من ذلك قيام الفضلة– وهي هنا الصفة (مُؤذن)– بوظيفة العمدة، أي: الفاعلية.

مُؤْمِنٌ)[٦٠]"[٦١]، وتنبيه الآلوسي يجري كذلك على المُرَكّبات النظيرة الممتدة في أصلاب العربية كُلِّهَا قديمًا وحديثًا.

والمُركّب نفسه في قوله تعالى: **(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ٤٤)** [الأعراف: ٤٤]، "فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ، أي: أَعْلَم مُعلم"[٦٢]، "وهو مُؤَذِّن العزة والعظمة بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"[٦٣]. وهذا المرَكَّب الاشتقاقي ذو (الصوت والصدى) مناسب للإخبار باللعن، كأنه تمثيل للصوت وما فيه من هول التأذين[٦٤] مترددًا في الأسماع، حتى قال طاوس لهشام بن عبد الملك: "احذر يوم الأذان. فقال: وما يوم الأذان؟ قال: يوم فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ الآية، فصعق هشام، فقال طاوس: هذا ذلّ الصفة فكيف ذلّ المعاينة؟"[٦٥].

وقيل في تعيين (مُؤَذِّن): "هو إسرافيل صاحب الصُّور، وقيل: جبريل يُسمع الفريقين تفريحًا وتبريحًا، وقيل: مَلَك غيره معيّن"[٦٦]. ولم يُعيّنه القرآن، لأنّ الحدثَ الموغل في تمكين المعنى عبر فاعله هو مركز الدلالة المرادة في هذا الضرب من التراكيب الاشتقاقية.

وعلى نسقه في البناء والدلالة (يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ) و(يَدۡعُ ٱلدَّاعِ) في قوله تعالى: **(وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ٤١)** [ق: ٤١] وقوله عز وجل: **(يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ٦)** [القمر: ٦]. "و(الداعي) مُعَرَّف كـ(المنادي)، ...لأنه معلوم قد أخبر عنه"[٦٧]، "والتعريف حينئذ لا يقطع حدَّ العَلَمية، وإنما يكون ذلك كقولنا: (جاء رجل، فقال الرجل)"[٦٨]، فهما على ذلك بمنزلة (مُؤَذِّن) في عدم القطع لمزيد تكثيف في دلالة الحدث تهويلا وتخويفًا وتحذيرًا.

ومما يَحْسُن الإشارة إليه أنَّ غلبة التعيين على كلمة (مُؤَذِّن) بحكم الاختصاص المذكور يعني مزيد اجتذاب إلى الاسمية. وعلى مثاله كلمة (كاتب) في قوله تعالى: **(وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ)** [البقرة: ٢٨٢]. فإسناد الفعل (وليكتب) إلى فاعل من لفظه (كاتب) للتأكيد، إِذْ يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَلْيَكْتُبْ)، قَوْلُهُ: (كَاتِبٌ)[٦٩]، ولمزيد استيثاق في تحرير المكتوب وضمان صحته، وظاهرٌ غلبةُ الاسمية على الصفة بحكم الدلالة على المهنة واختصاصها بجنس الموصوف[٧٠]، مما هيَّأها لمباشرة العامل.

---

[٦٠] صحيح البخاري (٢٤٧٥) حسب ترقيم فتح الباري: ١٧٨/٣.

[٦١] روح المعاني: ٢٣/٧.

[٦٢] البحر المحيط: ٣٠٣/٤.

[٦٣] روح المعاني: ٣٧٠/٤.

[٦٤] أي: الإخبار باللعن.

[٦٥] البحر المحيط: ٣٠٣/٤.

[٦٦] المرجع السابق: ٣٠٣/٤.

[٦٧] مفاتيح الغيب: ٢٩٢/٢٩. قيل هو: إسرافيل، وقيل: جبريل، وقيل: هو مَلَك موكَّل بذلك.

[٦٨] المرجع السابق: ٢٩٢/٢٩.

[٦٩] ينظر، البحر المحيط: ٣٧٤/٢.

[٧٠] ينظر، الدر المصون: ٦٢٤/٣. وهذه من المواضع التي ينقاس فيها حذف الموصوف بحكم الاختصاص كما نبَّه السمين الحلبي وغيره من أهل اللغة والنحو.

وقد يأتي الفاعل المشتق مؤنثًا بعد فعل منفي، كما في قوله تعالى: **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)** [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧، النجم: ٣٨] والأصل: "نفسٌ وازِرَةٌ، فحذف الموصوفَ للعِلْم به. ومعنى تَزِرُ: تَحْمِلُ، أي: لا تحملُ نَفْسٌ حامِلَةٌ حِمْلَ نفسٍ أخرى"[٧١]. والوجهُ في حذف الموصوف "أنَّ النفوس الوَازِرَات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها، لا وزر غيرها"[٧٢]. وبقدر شدة الاختلاط بين الفعل وفاعله واتفاقهما في الجذر يتسلط النفي على الحدَث حُكْمًا قاطعًا في إلزام كل نفس أحمالها.

هذا العموم المستفاد من ورود "اسم الفاعل نكرة في حيز نفي"[٧٣]، يُسْقِطُ- كما ذهب الآلوسي- "قول العلَّامة التفتازاني: إن ذِكْرَ فاعِلِ الفعلِ بلفظ اسم فاعِله نكرة قليلُ الجدوى جدًّا"[٧٤].

ومن بحرها أيضًا قوله تعالى: **(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ١٨)** [الحاقة: ٨١] وأُنِّثتْ (خَافِيَةٌ) لأنها "وصف لموصوف مؤنث يقدر بالفَعلة من أفعال العباد، أو يقَدَّر بنفس، أي: لا تختبئ من الحساب نفسُ أيِّ أحد"[٧٥]. وقوة النفي الظاهرة نابعة من كثافة الدلالة المرتكزة في طبع التركيب المبني على التداعي الاشتقاقي، إذ يتسلط النفي على الحدث فينفذ إلى عمق التركيب ممتدًا إلى الفاعل بحكم ازدواج الحدث، فكأن النفي تكرر مرتين بتكرر الحدث.

وتُقرَأ (تَخفَى) "بالياء، لأنَّ تأنيث الخافية غيرُ حقيقيّ"[٧٦]. مما يرشّح حمل (خَافِية) على المصدرية كـ(عافية)[٧٧] على تأويل: (لا يَخْفَى منكم خفاءٌ). "والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر، كقوله تعالى: **(لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً)** [الغاشية: ١١] أي: لغو"[٧٨]، فيكون الإسناد مَجازيًّا، من بَابِ (جَدَّ جِدُّه) للمبالغة[٧٩].

وقد تَنْقُل (التاء) اسم الفاعل إلى الاسمية فيكتسب مزيد قوة على مباشرة العامل، لكنها لا تعدم دلالته الوصفية بحكم خِلْقتِهِ الاشتقاقية، كما في قوله تعالى: **(ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ١٥٦)** [البقرة: ١٥٦] وقد تكرر الفعل (أصاب) وفاعله (مصيبة) كثيرًا في القرآن الكريم (آل عمران: ١٦٥، النساء: ٦٢، ٧٢، المائدة: ١٠٦، التوبة: ٥٠، القصص: ٤٧، الحديد: ٢٢، التغابن: ١١) "والمصيبة أصلها في الرَّمْيَة [بالسهم ونحوه]، ثم اختصت بالنائبة"[٨٠]. "والتاء للداهية أو

---

[٧١] المرجع السابق: ٢٢١/٩.

[٧٢] الكشاف: ٦١٦/٣.

[٧٣] روح المعاني: ٣٥٧/١١.

[٧٤] المرجع السابق: ٣٥٧/١١. ولعل التفتازاني أراد ما جاء نكرة غير مخصوص بغرض على جهة الافتراض، وإلا فأهل البلاغة– والتفتازاني من وجوههم– لا يخفى عليهم ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب في هذا الباب.

[٧٥] التحرير والتنوير: ١١٩/٢٩.

[٧٦] إعراب القراءات الشواذ: ٦١٣/٢.

[٧٧] ينظر، شرح شافية ابن الحاجب: ٧٣/٤.

[٧٨] الجامع لأحكام القرآن: ١٩٥/١٧.

[٧٩] سيأتي بيان ذلك في موضعه من إسناد الفعل لمصدره.

[٨٠] معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، صوب: ٣٢٢. وجاء في [التحرير والتنوير: ١٦٠/٢٥]: "والمصيبة: اسم للحادثة التي تصيب بضر ومكروه، وقد لزمتها هاء التأنيث للدلالة على الحادثة فلذلك تنوسيت منها الوصفية وصارت اسما للحادثة المكروهة".

للمبالغة"[٨١]، أي: نُقلت بها الكلمة من الوصفية إلى الاسمية فضلا عما تتضمنه التاء من دلالة المبالغة بحكم التأنيث الذي يَلحق المذكر لهذا الغرض كـ(راوية وطاغية وداهية). وقد أُوغِلَ بالتركيب إلى مزيد مبالغة وتهويل بطريق التداعي الاشتقاقيُّ بين الفعل وفاعله.

ومثلها (قائمة) في التركيب الجاري مجرى المثل: "وَمَنْ لولاه لم تقم له قائمة"[٨٢].

وأدخلُ في هذه الفكرة قوله تعالى: (**إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ**) [الواقعة: ١] و(**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ**) [الحاقة: ١٥][٨٣]. (الواقعةُ) عَلَمٌ بالغَلَبة على القيامة دفعًا لوهم التطابق بين الفعل وفاعله[٨٤]. وهو عَلَمٌ يقتضي "عظم شأنها، ومعنى وَقَعَتِ الْواقِعَةُ: أي: وقعت التي لا بد من وقوعها، كما تقول: حدثت الحادثة، وكانت الكائنة"[٨٥]، و"وُصِفَت بالوقوع لأنها تقع لا محالة، فكأنه قيل: إذا وقعت التي لا بدّ من وقوعها"[٨٦].

في تأنيث (الواقعة) "تهويل ومبالغة، يدل عليه قوله: (**لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ**) [الواقعة: ٢]"[٨٧]، ولعل العرب قد راعوا- في تحقيق هذا الأثرَ الدلاليَّ للتأنيث- "أَنَّ الْأُنْثَى مَصْدَر كثرة النَّوع"[٨٨].

وعلى هذا النسق بناءً وتركيبًا ودلالة[٨٩] أيضًا قوله تعالى: (**أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ**) [النجم: ٥٧]. "الآزِفَةُ: عَلَم بالغلبة للساعة"[٩٠]، و"أَزِفَتِ الْآزِفَةُ، أي: قربت الساعة الموصوفة بالقرب"[٩١]، "ووصفُ القريب بالقرب للمبالغة"[٩٢].

وجيء للفعل (أَزِفَتِ) بفاعل من مادته لتهويل هذه الحادثة[٩٣]، "ومعلوم أنها من الأمور المكروهة لورود ذكرها عقب ذكر الإنذار"[٩٤] في قوله تعالى: (**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ**) [غافر: ١٨]. وتأنيث الفاعل (الآزِفَة) على "تأويل الواقعة, أو الحادثة كما يقال:

---

[٨١] لسان العرب، صوب: ٤٣٣/٧.

[٨٢] شرح نهج البلاغة: ٢٤٦/١٣.

[٨٣] ثمة مَن يحمل نحو (الواقعة والآزفة) على المصدرية، فتكون من قبيل الإسناد المجازي. وسيأتي بيان ذلك في (إسناد الفعل إلى جنس مصدره).

[٨٤] ينظر، الدر المصون: ٤٢٩/١٠، وعروس الأفراح: ٣٧٤/١.

[٨٥] البحر المحيط: ٢٠٢/٨، وينظر، الكشاف: ٤٥٤/٤. وظاهر هيمنة نسق (التداعي الاشتقاقي) على التفسير.

[٨٦] الكشاف: ٤٥٤/٤.

[٨٧] مفاتيح الغيب: ٣٨٥/٢٩.

[٨٨] التحرير والتنوير: ١٥٦/٢٧.

[٨٩] يقول الرازي في [مفاتيح الغيب: ٢٨٦/٢٩]: "(أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) [النجم: ٥٧] وهو كقوله تعالى: (وَقَعَتِ الْواقِعَةُ) [الواقعة: ١]، ويقال: كانت الكائنة".

[٩٠] روح المعاني: ٧٠/١٤.

[٩١] المرجع السابق: ٧٠/١٤.

[٩٢] المرجع السابق: ٧٠/١٤.

[٩٣] ينظر، التحرير والتنوير: ١٥٦/٢٧.

[٩٤] المرجع السابق: ١٥٦/٢٧.

نزلت به نازلة, أو وقعت الواقعة, وغشيته غاشية"[٩٥] إشارة "إلى شدة الأمر الواقع وهوله"[٩٦]، يدل على ذلك قوله تعالى: **(لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ)** [النجم: ٥٨].

إنَّ هذا التضافر الجذري بين (الفعل وفاعله) قد هيمن على التركيب حتى ألقى ظلاله على تفسيرات العلماء، فاستدعوا- بوحي منه- التراكيبَ النظيرةَ الموازيةَ لهذا الاشتراك الجذري[٩٧]، لتكون أكثر تمثيلا للمعنى القرآني الذي بَعُد في تكثيف دلالة التهويل والمبالغة عبر ثلاثية[٩٨] (التداعي الاشتقاقي)، وغلبة العلمية على (اسم الفاعل) وتأنيثه، بما تحمله كل واحدة من فائض دلالي أنتجه العدول عن الأصل النحوي[٩٩] أو الصرفي[١٠٠] أو هما معًا.

وفي النظم القرآني مجيءُ الفاعل المشتقّ من فعله (مثنى وجمعًا سالمًا)، ومنه:

قوله تعالى: **(إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧)** [ق: ١٧] (الْمُتَلَقِّيانِ): "هما المَلَكانِ المُوكلانِ بكل إنسان يكتبان أعماله، والتلقي: التلقن بالحفظ والكِتْبَة"[١٠١]. في الآية استرسال في الوصف بطريق التداعي الاشتقاقي تأكيدًا للحدث (تلقي الملَكين كل إنسان بحفظ كل ما يلفظ) إنذارًا "بإحصاء أعمال الناس عليها"[١٠٢] إحصاء لا يغادر شيئًا، ودلَّ على ذلك بكلمة (قعيد)، وهو الملازم. وفي التركيب ما فيه من تهويل لأمر التلقي لما سيكون بعده من حساب وجزاء.

هذا التأكيد المزدوج لمركزية حدَث (التلَقِّي) يَعضُده حذفُ مفعول (يَتلقَّى)[١٠٣]، إغراقًا للسامع في الكثافة الدلالية للحدث المتضمّن إنذارًا ليهوله.

ومنه ما جاء على صيغة الجمع السالم كما في قوله تعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ)** [البقرة: ٦٧]، "وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ، أي: من يتأتَّى منه اللعن عليهم من الملائكة والثقلين، فالمراد- باللاعنون- معناه الحقيقي"[١٠٤]، و(أل): جنسية[١٠٥]، "والاستغراق عرفي، أي: كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العُرْف"[١٠٦]، "وإنما عدل إلى التعريف مع أنه كالنكرة مبالغة في تحققه حتى كأنه صار معروفًا، لأن المنكر مجهول"[١٠٧]. وهذا ضربٌ من العموم يناسبه ذلك المركب الاشتقاقي.

---

[٩٥] المرجع السابق: ١٥٦/٢٧.

[٩٦] مفاتيح الغيب: ٣٨٥/٢٩.

[٩٧] هذه الطريق في استدعاء النظائر التركيبية الخاضعة لهيمنة (التداعي الاشتقاقي) متكررة في تفسير هذه (المتداعيات الاشتقاقية) القرآنية وما يجري مجرى المثل منها في اللغة بوجه عام.

[٩٨] أي: المعنى الصرفي والنحوي والمعجمي.

[٩٩] اتفاق الفعل وفاعله، والأصل تغايرهما.

[١٠٠] القصد: الانتقال من الوصفية إلى الاسمية بالتاء أو بالدلالة.

[١٠١] روح المعاني: ٣٢٩/١٣.

[١٠٢] التحرير والتنوير: ٢٤٨/٢٦.

[١٠٣] جاء في [التحرير والتنوير: ٢٥٠/٢٦]: "وحذف مفعول (يتلقى) لدلالة قوله: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: ١٨]".

[١٠٤] روح المعاني: ٤٢٦/١، وينظر، مفاتيح الغيب: ١٤١/٤، والتحرير والتنوير: ٦٧/٢، وعروس الأفراح: ٣٧٤/١.

[١٠٥] ينظر، المفصل في تفسير القرآن الكريم: ٧٧.

[١٠٦] روح المعاني: ٤٢٦/١، وينظر، مفاتيح الغيب: ١٤١/٤، والتحرير والتنوير: ٦٧/٢.

[١٠٧] مفاتيح الغيب: ١٤١/٤.

جاء تكرار الحدث في الفعل والفاعل لمزيد تأكيد ومبالغة في اللعن، إذ تكرار الفعل المضارع (يَلْعَنُهُمُ)- على اختلاف معنى اللعن في المرتين- يتضمن تشديدًا في إيقاع حدث اللعن الدائم على من استحقوه بكتمانهم ما أنزل الله من البينات والهدى.

ومنه أيضًا قوله تعالى: **(إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)** [يوسف: ٦٧] وقوله عز وجل: **(وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)** [إبراهيم: ١٢]. وكذا قوله تعالى: **(لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ)** [الصافات: ٩١]. وقوله تعالى: **(وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ)** [المطففين].

اقترنت (فاء الفصيحة)[١٠٨] بالمركبات الاشتقاقية، ليتحقق معنى الشرط، وضابطه: أنه لمَّا قُدِّمَ المجرور وهو في الشواهد المذكورة: (وَعَلَيهِ- وَعَلَى ٱللَّهِ- لِمِثْلِ هَذَا- وَفِي ذَلِكَ) "حصل بتقديمه معنى الشرط فَقُرنت الجملة بعده بالفاء التي تربط الجواب لقصد إفادة معنى الشرط. وهذا كثير في الاستعمال"[١٠٩]، كما "يطرّد معنى الشرط على تقدير (أمَّا) إذا كان ما بعد (الفاء) أمرًا أو نهيًا"[١١٠]. وفي الشرط عمومٌ يأخذُ بعنق نظيره المتحقق في هذه المركبات الاشتقاقية، فالتقت الدلالتان على أمر قد قُدِر.

تتجلّى خصوصية هذه التراكيب تجلّيًا حين نقارنها بنظيرها الذي يتغاير (فعله وفاعله) في سياق مساوٍ بيانًا وبلاغة، ويزداد التجلّي بهاءً إذا جاء التركيبان متتابعين (وهو جَدٌّ نادر) على نحو ما ورد في قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ١٢)** [إبراهيم: ١١، ١٢]. ففي السياق الأول "أنَّ الذين يطلبون سائر المعجزات وجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها على الله تعالى لا عليها، فإن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها"[١١١]. وهذا الطلب (أي: إظهار المعجزات) أمرُ غيبٍ يُطلب وقوعه، مما يقتضي ملازمة الإيمان للتوكل، ومن ثم أُسنِد فعلُ التوكُّل إلى المؤمنين.

أما الثاني فـ"المراد منه الأمر بالتوكل على الله في دفع شر الناس الكفار وسفاهتهم"[١١٢]. وهذا يقتضي صبرًا على التوكل وثباتًا فيه لتحمّل الأذى، وقد تحققت هذه الكثافة الدلالية المرادة بتمكين التوكيد في حدث (التوكل) عبر مجيء الفعل (مضارعًا) ومُسندًا إلى فاعل مشتق من جنسه.

هذه المركبات الاشتقاقية ذات قوة توليدية يهيمن سَمْتُها على العبارات التفسيرية لها، ومنه مثلا في قوله تعالى: **(فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ)** [المطففين: ٢٦]، "أي: وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون،... ويستبق إلى مثله المستبقون"[١١٣]، أو "فليرغب الراغبون... وإلى ذلك فليتبادر

---

[١٠٨] تُسمَّى (الفاء) بـ(الفصيحة) إذا كان ما قبلها شرطًا مُقَدَّرًا لما بعدها. ينظر، أسرار النحو: ٢٨٨، ٢٨٩.

[١٠٩] التحرير والتنوير: ١١٢/١١، وينظر، المرجع السابق: ١٤٥/١٤- ٣٦٩/٣٠، وروح المعاني: ٢٨٣/١٥، وشرح الرضي على كافية ابن الحاجب: ٢٥٠/٦، وجاء في [المطول: ٣٦٩]: "وأصل ذلك أن الظرف والمجرور إذا قُدِّم على متعلَّقه قد يُشْرَب معنى الشرط فتدخل الفاء في جوابه". وقد استقصى الباحث هذه الظاهرة تفصيلا في بحثه الموسوم بـ(التركيب شبه الشرطي وأنواعه: دراسة في التركيب والدلالة).

[١١٠] شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: ٢٥١/٦.

[١١١] مفاتيح الغيب: ٧٦/١٩.

[١١٢] المرجع السابق: ٧٦/١٩.

[١١٣] تفسير القرآن العظيم: ٣٥٣/٨.

المتبادرون في العمل، نظيره: (لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ) [الصافات: ٩١]"[١١٤]. و(أل) فيها جميعًا جنسية للاستغراق[١١٥]. والكلام في كل ذلك مؤذن بتوكيد الفعل، "لأنه بمنزلة المذكور مرتين"[١١٦].

قد يأتي مرفوع الفعل المتجنس بمادته في هذا الباب مجرورًا بـ(مِن) الزائدة، كتركيب (مِن مُعَمَّر) في قوله تعالى: (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ) [فاطر: ١١] و(مُعَمَّر): على وزن (مُفَعَّل)، اسم مفعول عُبِّرَ به عن اسم الذات للمبالغة، و(مِن) حرف جر زائد للتنصيص على عموم النفي، و(مُعَمَّر) مجرور لفظًا مرفوع محلا نائب فاعل[١١٧]. واستعمال صيغة (اسم المفعول) في هذا الباب جَدُّ نادر، وقد لاءمه بناء فعله للمجهول، فكان التجانس بينهما أمثل ما يكون كما كان الحال في ملاءمة الفعل المبني للمعلوم لاسم الفاعل فيما سبق.

ومن هذه الملاءمة بين الفعل المبني للمجهول واسم المفعول (وُلِدَ المَولودُ) في قول أبي فراس الحمداني [من الطويل]:

إذا وُلِدَ المَولودُ مِنّا فَإِنَّما الـ أَسِنَّةُ وَالبيضُ الرِّقَاقُ تَمائِمُه[١١٨]

وقد يأتي الفاعل المشتق من مادة الفعل- سواء على صيغة الفاعل أو المفعول- مجرورًا بعد (كاف التشبيه) أو (مِثْل)، وشاهده قول امرئ القيس [من الطويل]:

وَإِنَّكَ لَم يَفخَرْ عَلَيكَ كَفاخِرٍ ضَعيفٍ وَلَم يَغلِبكَ مِثلُ مُغَلَّبِ[١١٩]

المعنى: إذا فخر عليك الضعيف عظُم عليك فخرُه واشتدّ. وإذا غلبكَ المغلوب عظم عليك ذلك، لأن النفس تأنف من أن يغلبَها من هو دونها[١٢٠]. وفي التداعي الاشتقاقي تناءٍ في المعنى يضاعفه النفي على جهة السلب، كأنَّ النفي وقع مرتين.

وقريبٌ منه قول العرب: "لا أَفْعل ذلك ما أَجْمَرَ ابنُ جَمِير، وما سَمَرَ ابنا سمير"[١٢١]، أي: لا أفعله أبدًا. بإضافة الفاعل (ابن) إلى اسم (جَمِير، وسمير) من مادة الفعل.

وقد وَرَدَ هذا النمط التركيبي (الفعل وفاعله المشتق منه) كثيرًا في الحديث النبوي الشريف، ومنه: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ"[١٢٢]. و"يَعُودُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ"[١٢٣]. و"أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي"[١٢٤]. و"... مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ"[١٢٥]. و"... فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي"[١٢٦]. و"كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الْغَدِ

---

[١١٤] الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٦/١٩.

[١١٥] ينظر، المفصل في تفسير القرآن الكريم: ١٦٠٠، ٢٠٩٦.

[١١٦] التحرير والتنوير: ١٨٤/٣٠.

[١١٧] ينظر، المفصل في تفسير القرآن الكريم: ١٥٥٩.

[١١٨] ديوانه: ٣٩٣.

[١١٩] ديوانه: ٤٤.

[١٢٠] ينظر، المرجع السابق: ٤٤.

[١٢١] تهذيب اللغة: ٥٤/١١، وينظر، أساس البلاغة، سمر: ٤٥٧/١.

[١٢٢] صحيح البخاري (٧٣٥٢) حسب ترقيم فتح الباري: ١٣٢/٩.

[١٢٣] صحيح مسلم: ٢٢٠٨/٤.

[١٢٤] صحيح البخاري (١٥٣٤) حسب ترقيم فتح الباري: ١٦٧/٢.

[١٢٥] صحيح البخاري (٢٧٣٢) حسب ترقيم فتح الباري: ٢٥٢/٣.

[١٢٦] المرجع السابق (٣٨٨٧) حسب ترقيم فتح الباري: ٦٩/٥.

حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ"[١٢٧]. و"سَأَلْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ ونَحْنُ غَادِيَانِ مِن مِنى إلى عَرَفَاتٍ عَنِ التَّلْبِيَةِ، كيفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ مع النبيِّ -ε-؟ قالَ: كانَ يُلَبِّي المُلَبِّي، لا يُنْكَرُ عليه، ويُكَبِّرُ المُكَبِّرُ، فلا يُنْكَرُ عليه"[١٢٨]. و"مـــا أهـــلَّ مُهـــلٌّ قـــطُّ إلَّا بُشِّـــرَ، ولا كبَّـــرَ مُكبِّـــرٌ قـــطُّ إلَّا بُشِّـــرَ. قيـــلَ: يا رسولَ اللهِ! بالجنَّةِ؟ قال: نعَم"[١٢٩]. و"أَطَافَ بِي مِنَ اللَّيْلِ طَائِفٌ وَأَنَا نَائِمٌ"[١٣٠]. و"بَقَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ -ε- لِصَلاَةِ الْعَتَمَةِ لَيْلَةً فَتَأَخَّرَ بِهَا حَتَّى ظَنَّ الظَّانُّ أَنْ قَدْ صَلَّى أَوْ لَيْسَ بِخَارِجٍ ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ بَعْدُ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَقَدْ ظَنَنَّا أَنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ"[١٣١]. و"تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا"[١٣٢]. و"سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ بَلاَئِهِ عَلَيْنَا"[١٣٣]، وجاء توجيه معناه على نسق التداعي: هو "أمر بلفظ الخبر وحقيقته ليسمع السامع وليشهد الشاهد على حمدنا لله تعالى"[١٣٤]. وجاء منه في الحديث (كلّ) مضافة إلى الفاعل المشتق من جنس فعله: "وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ"[١٣٥]. وورد فيه الفاعل جمعًا: "وَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ، أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ"[١٣٦]... وغير هذا كثير.

(المركَّب الاشتقاقي) في كل ذلك يفيد تأكيد العموم، ولا سيما وقوعه نكرة في سياق النفي[١٣٧]، كما في قوله -ε-: "أَلاَ لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ"[١٣٨].

كما جاء الفاعل في الحديث الشريف أيضًا على صيغة (فَعَّال): "كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَ نِسَاءِ النَّبِيِّ -ε- وَهُنَّ يَسُوقُ بِهِنَّ سَوَّاقٌ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ε-: أَيْ أَنْجَشَةُ رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ"[١٣٩].

وغلبة المهنة على (سَوَّاق) أو ما يقاربها ظاهرة، كـ(مؤذِّن) فيما مر.

وغير ذلك كما في نحو "مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ -ε- فَاجْتَمَعَ النِّسَاءُ يَبْكِينَ عَلَيْهِ"[١٤٠].

وبادٍ في كل هذه (المتداعيات الاشتقاقية) تأكيد دلالة الحدث بإعادته مرة أخرى عبر فاعله الذي أُختُزِلت ذاته في صفته المختلطة بفعله تكثيفًا لمركزية الحدث في بناء التركيب.

وينضاف إلى ذلك أنّ هذا (الفاعل) موصوفٌ بالحدث نفسه قبل إسناده إلى فعله المتكرر فيه. يستوي في ذلك ما جاء صراحة على وزن اسم الفاعل أو أي وصف آخر بمنزلته كـ(فَعَّال) في هيمنة معنى الفاعلية عليه، وتمثيل ذلك في نحو قولنا: "(فَعَلَ الفَاعِلُ)، أي: الذي كان فاعلا صار فاعلا مرة

---

[١٢٧] المرجع السابق (٣٦١٥) حسب ترقيم فتح الباري: ٢٤٥/٤.

[١٢٨] المرجع السابق (٩٧٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٢٥/٢.

[١٢٩] سنن البيهقي الكبرى: ٢٦٢/٥.

[١٣٠] المرجع السابق: ٤١٥/١.

[١٣١] المرجع السابق: ٤٥١/١.

[١٣٢] المرجع السابق: ٣٩٤/٢.

[١٣٣] صحيح مسلم: ٢٠٨٦/٤.

[١٣٤] المرجع السابق: ٢٠٨٦/٤.

[١٣٥] صحيح البخاري (٦٨٣٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٢٠٨/٨.

[١٣٦] المرجع السابق (٥٦٦٦) حسب ترقيم فتح الباري: ١٥٥/٧.

[١٣٧] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٠٢١.

[١٣٨] سنن الترمذي: ٤٦١/٤، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٠٢٠، ٢٠٢١.

[١٣٩] صحيح مسلم: ١٨١١/٤.

[١٤٠] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٤٢٨.

أخرى، يقال: حَاكَهُ الحائكُ، أي: مَنْ شَغَلَه ذلك من قَبْل فِعْلِه"[١٤١]. فـ(الحائك) متصف بحدث (الحِيَاكة) بنيةً ودلالة، قبل أن يتصف به إسنادًا.

وهذا الضرب من بناء الكلام أصل كبير في كلام العرب، ومنه "قول الشاعر، وهو يزيد بن الحكم الثقفي [من الطويل]:

فَلَيْتَ كَفافًا كانَ خيرُك كلُّه وشَرُّكَ عَنّي ما ارتوى الماءَ مُرتَوِي"[١٤٢]

فاعل (ارتوى) اسم الفاعل المشتق منه (مُرتَوِي)[١٤٣]، وهذا التركيب الاشتقاقي الذي يتصدره النفي "أشبه بمذاهب العرب فيما يريدون به التأبيد، كقولهم: لا أفعل كذا ما طارَ طائرٌ ولا أكلمك ما سمرَ سامرٌ"[١٤٤].

ومن شواهد هذا الأصل في الشعر قديمًا وحديثًا:

- قول امرئ القيس [من الطويل]:

فَلَمَّا طَفَا طَافٍ عَلَيْهِ وَقَدْ طَفَا طَفيفٌ أطفّ الطبل بالرعد مُسْقِفُ[١٤٥]

- ومما نُسِبَ إلى النابغة الذبياني قوله [من البسيط]:

أَو أَضَعُ البيتَ في خَرْساءَ مُظْلِمةٍ تُقَيِّدُ العَيْرَ لا يَسْرى بها السّاري[١٤٦]

- وقوله [من البسيط]:

جَزَّا بِجَزٍّ وَقَتْلًا مِثْلَ قَتْلِكُمُ مَهْلًا حُمَيْضَ فلا يَسْعَى بِهَا السَّاعِي[١٤٧]

- وقوله [من الطويل]:

وَيُنْبِتُ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مُنَوّرًا سَأُتبِعُهُ مِن خَيرِ ما قالَ قائِلُ[١٤٨]

- وقوله [من الوافر]:

إلى صَعبِ المَقادةِ ذِي شَرِيسٍ نَمَاه فِي فُرُوعِ المَجْدِ نَام[١٤٩]

---

[١٤١] مفاتيح الغيب: ٢٨٦/٢٩.

[١٤٢] أمالي ابن الشجري: ١٨/٢، ينظر، خزانة الأدب: ٤٨٤/١٠.

[١٤٣] ينظر، المرجع السابق: ٢٨٥/١، وخزانة الأدب: ٤٧٣/١٠، ٤٨٠، ٤٨٣.

[١٤٤] المرجع السابق: ٢٨٥/١، و ينظر، خزانة الأدب: ٤٨٠/١٠.

[١٤٥] ديوانه: ٣٢٨. "(طفا طافٍ)، أي: ارتفع عليه مرتفع من الغُثاء والزَّبَد وغيره. وقوله : (طفا طفيف)، يقول: ارتفع منه شيء يسير، وقوله: (أطفّ الطبل)، يقول: أطفَّ المسقف الذي فوقه كالسقف من الريح، فذلك المسقف الذي هو فوقه كالسقف، أطفّ الطبل، أي: شبه صوت الرعد والرياح بالذي يرفع الطبل فيضربه". [المرجع السابق: ٣٢٨، ٣٢٩].

[١٤٦] ديوانه: ٢٢٩.

[١٤٧] ديوانه: ١٩٢. حُمَيْضَة بن عمرو بن جابر، وهو العُشَراء، أي: من ضِخَم البطن بمنزلة الناقة. وجزًّا: جَزّ النواصي.

[١٤٨] ديوانه: ١٢١. وَيُنْبِتُ حَوْذَانًا: أي ينبت هذا المطر الذي دعا للقبر به. والحَوْذَان وَالعَوْف: ضربان من النبت طيب الرائحة. وقوله (سَأُتبِعُهُ)، أي: سأثني عليه بخير القول، وأذكره بأجمل الذِّكْر.

[١٤٩] ديوانه: ١٣٦.

- قول أمية بن أبي الصلت [من المنسرح]:
يَقُودُها قائدٌ إليه ويَحـ ـــدُوها حَثِيثًا إليه قائدُها[١٥٠]

- قول أبي قِلابَة الهُذَلِيّ [من البسيط]:
لا تَقولَنْ لِشَيءٍ سَوفَ أَفعَلُهُ حَتّى تلاقَى ما يَمْنِي لَكَ الْمَانِي[١٥١]

- قول أبو الطَّمْحَان القَيْني [من الطويل]:
ولم يدعُ داعٍ مِثلَكُم لعَظِيمَةٍ إذا أزمت بالسَّاعِدَيْنِ السَّوارقُ[١٥٢]

- أنشد ابن الأعرابيّ [من الطويل]:
أَئِنْ غَرَّدَتْ في بَطْنِ وادٍ حَمامَةٌ بَكَيْتَ ولَمْ يَعْذِرْكَ بالجَهْلِ عاذِرُ[١٥٣]

- أنشد ثعلب [من الطويل]:
دَعِ الشَّرَّ وانزل بالنجاةِ تحرُّزًا إذا أنتَ لم يصبغْكَ في الشرّ صَابِغُ[١٥٤]

- قول الكُميت [من البسيط]:
أَصْبَحْتُ لَحْمَ ضِباعِ الأَرضِ مُقْتَسَمًا بَيْنَ الفَراعِلِ إنْ لَمْ يَصْرِني الصاري[١٥٥]

- قول أوس بن حجر [من الطويل]:
وما فَتِئَتْ خيلٌ تثوب وتدّعِي ويَلْحَقُ منها لاحقٌ وتَقَطَّعُ[١٥٦]

- قول عبيد السلاميّ [من الطويل]:
وكلُّ قرينٍ ذي قرين يودُّه سيفجَعُهُ يومًا من الدَّهرِ فاجِعُ[١٥٧]
فألْبس ثراكَ الأهلَ تسلمْ صدورُهم فلا بدَّ يومًا أن يروعَك رائعُ[١٥٨]

- الفرزدق همام بن غالب [من البسيط]:
إذا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قالَ قائِلُها: إلى مَكارِمِ هذا يَنْتَهِي الكَرَمُ[١٥٩]

- قول معاوية بن أبي سفيان [من الطويل]:
وَإِنِّي لَأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ العِرَاقِ بِيَائِسِ[١٦٠]

---

[١٥٠] ديوانه: ٤٢٠. يَقُودُها قائدٌ إليه: أي يقود النفسَ قدرُها إلى الموت.

[١٥١] خزانة الأدب: ١٧٧/٣، ١٧٨.

[١٥٢] المحكم والمحيط الأعظم، سرق: ٢٣٢/٦، وينظر، لسان العرب، سرق: ٢٤٧/٦، وأساس البلاغة، سرق: ٤٣٧/١.

[١٥٣] ينظر، المحكم والمحيط الأعظم، تلع: ٤٩/٢، ولسان العرب، تلع: ٤٣/٢، وأساس البلاغة، سكر: ٤٥٠/١.

[١٥٤] ينظر، مفاتيح الغيب: ٢٩/١، وأساس البلاغة، صبغ: ٤٥٠/١.

[١٥٥] ديوان الكميت: ٢٢٠. الفراعل: جمع فُرْعل، وهو ولد الضبع. يَص ري: يحفظ ويمنع ويُنْجي إنسانًا من هَلكة.

[١٥٦] ديوانه: ٥٨. التثويب: الاستصراخ في الحرب وأصله التلويح بالثوب للدعاء والإنذار. والتداعي في الحرب أن يدعو القوم بعضهم بعضًا. يقول: ما زالت الخيل تستصرخ ويدعو بعضهم بعضًا من المنهزمين والمنقطعين ويلحق منها في الحرب اللاحقون والمنقطعون.

[١٥٧] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٧٥/١، ٧٦.

[١٥٨] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٧٦/١.

[١٥٩] شرح ديوان الفرزدق: ٣٥٤/٢.

[١٦٠] الكامل في اللغة والأدب: ٢٥٧/١.

- قول المتوكل الليثي بانيًا في قصيدةٍ واحدةٍ عددًا من تراكيبها على توكيد العموم الناشئ عن (التداعي الاشتقاقي)، كأنه يتوجَّسُ من عدوٍّ خفِيٍّ، أو يتمنَّى إبعاد ما كان من بَيْنٍ، يقول [من الكامل]:

دُومِي عَلَى الوُدِّ الَّذي بَينَنَا لا يَقُل الهُجرَ لَنا قائِلُ[١٦١]
لَيتَ الذِي أَضمَرتُ مِن حُبِّها يَنحَلّ أو يَنقُله ناقِلُ[١٦٢]
مِثلُ نَوارِ الوَحشِ لَم يَرمِهَا رامٍ مِن النَاسِ وَلا حابِلُ[١٦٣]
تَغَيَّرَت رَيطَةُ عَن عَهدِنا وَغَالَ وُدِّي بَعدَها غائِلُ[١٦٤]
نَاجٍ تَرى المِرفَقَ عَن زَورِه كَأَنَّما يَفتِلُه فاتِلُ[١٦٥]

- قول الشاعر [من الطويل]:

تَرَكْتُ ابنَ أَوْسٍ والسِّنانُ كأنَّما يُوَتِّده في مُقْدِمِ الرأسِ واتِدُ[١٦٦]

- "قال شبيب ابن البرصاء [من الطويل]:

دعيني أُمَاجِدْ في الحياة فإنَّني إذا ما دَعَا دَاعِي الوفاةِ مجيبُ"[١٦٧]

- قول كعب بن سعد الغنوي [من الطويل]:

وداعٍ دعَا يا منْ يجيبُ إلى الندى فلم يَسْتَجِبْهُ عندَ ذاكَ مجيبُ[١٦٨]

- قول المهلهل [من الوافر]:

كَأَنِّي إذْ نَعَى النَّاعِي كُلَيْبًا تَطَايَرَ بَيْنَ جَنْبَيَّ الشَّرَارُ[١٦٩]

- وقوله أيضًا [من الكامل]:

لَمّا نَعى النّاعي كُلَيبًا أَظلَمَت شَمسُ النَهارِ فَما تُريدُ طُلوعًا[١٧٠]

- قول مزاحم ابن عمرو السلولي معرّضًا بابن الدُّمَيْنة [من البسيط]:

يا بنَ الدُّمَيْنة كم من طعنةٍ نَفَذٍ يعوي خلافَ انتزاعِ الجَوفِ عَاويها[١٧١]

- وقوله أيضًا [من البسيط]:

أو تُبغضوني فكم مِنْ طعنةٍ نَفَذٍ يَغْذُو خِلاَلَ اختلاجِ الجَوْفِ غَاذِيها[١٧٢]

---

[١٦١] شعر المتوكل الليثي: ٢٢٨.

[١٦٢] المرجع السابق: ٢٣٠.

[١٦٣] المرجع السابق: ٢٣٣.

[١٦٤] المرجع السابق: ٢٣٩.

[١٦٥] المرجع السابق: ٢٤٠.

[١٦٦] أساس البلاغة، قدم: ٢٣٤/٢. وفي [لسان العرب، وتد]: "الوتِدُ بالكسر والوَتْدُ والوَدُّ ما رُزَّ في الحائِط أَو الأَرض من الخشب والجمع أَوتادٌ".

[١٦٧] المرجع السابق، مجد: ٣٦٧/٢.

[١٦٨] الأصمعيات: ٩٦. وقد استعمل الشاعر (مجيب) موضع (مستجيب) إجراءً لـ(استفعل) مجرى (أَفْعَلَ) كما يقال استخلف لأهله بمعنى أخلف واستوقد بمعنى أوقد [ينظر، خزانة الأدب: ٤٣٦/١٠].

[١٦٩] ديوانه: ٣٣.

[١٧٠] ديوانه: ٤٨.

[١٧١] بقية أشعار بني سلول: ٧٨، وينظر، كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٨٨/٢.

حتى يظلَّ هِدَان القوم يَحْسبُها بِكْرًا وقَبْلُ هَوى في الدَّار هاويها[١٧٣]

- قول كعب بن مالك الأنصاري [من الكامل]:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أن سَتَغْلِب رَبَّهَا وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلَّابِ[١٧٤]

- قول الأخطل [من البسيط]:

وَما سَعى فِيهِم ساعٍ لِيُدرِكَنا إِلّا تَقاصَرَ عَنّا وَهوَ مُنبَهِرُ[١٧٥]

- قول الراعي النميري [من الطويل]:

دَعاهُنَّ داعٍ للخَرِيفِ ولم تَكُنْ لَهُنَّ بِلادًا فانْتَجَعْنَ روافِعَا[١٧٦]

وقوله أيضًا [من الطويل]:

لَهَا فَأْرَةٌ ذَفْرَاءُ كلَّ عَشِيَّةٍ كَمَا فَتَقَ الكافُورَ بالمِسْكِ فاتِقُهْ[١٧٧]

- قول جرير [من الطويل]:

لَعَلَّكَ يَومًا أَن يُساعِفَكَ الهَوى فَيَجمَعَ شَعبَى طِيَّةٍ لَكَ جامِعُ[١٧٨]

- قول ليلى الأخيليَّة [من الطويل]:

فآلَيْتُ لا أَنْفَكُّ أَبْكِيكَ ما دَعَتْ على فَنَنٍ وَرْقاءُ أَوْ طارِ طائِرُ[١٧٩]

وقولها أيضًا [من الطويل]:

وكم قَدْ رأى رائيهم ورأيتُهُ بها لِي منْ عمٍّ كريمٍ ومنْ أبِ[١٨٠]

- قول أبي تمام [من الكامل]:

قَدْ كان حزنُ الخطبِ في أحزانِه فَدَعَاهُ دَاعِي الْحَيْنِ للإسهَالِ[١٨١]

وقوله [من الطويل]:

لَقاحٌ فَلَم تَخدِجْهُ بِالضَيمِ مِنَّةٌ وَلا نالَ أَنفًا مِنهُ بِالذُلِّ نائِلُ[١٨٢]

وقوله [من الطويل]:

تَقَطَّعَتِ الأَسبابُ إِن لَم تُغِر لَها قُوًى وَيَصِلها مِن يَمينِكَ واصِلُ[١٨٣]

- قول أبي فراس الحَمْدَاني [من الطويل]:

وَكَم لَيلَةٍ ماشَيتُ بَدرَ تَمامِها إِلى الصُبحِ لَم يَشعُر بِأَمرِيَ شاعِرُ[١٨٤]

---

[١٧٢] المرجع السابق : ٧٦.

[١٧٣] المرجع السابق : ٧٧. الهِدَان: البليد الذي يرضيه القول، والأحمق الوخيم الثقيل في الحرب.

[١٧٤] ديوانه: ١٨٢.

[١٧٥] ديوانه: ١٥٣. المنبهر: يقال: انبهر إذا انقطع نفَسه وتتابع من الإعياء.

[١٧٦] ديوانه: ١٧٥.

[١٧٧] ديوانه: ١٩٠.

[١٧٨] ديوانه: ٩٢٠. المساعفة: المداناة. الشَّعب: الحي العظيم. الطية: المذهب.

[١٧٩] ديوانها: ٤٢.

[١٨٠] ديوانها: ٢٥.

[١٨١] ديوانه: ١٣٧/٣.

[١٨٢] ديوانه: ١٢٦/٣.

[١٨٣] ديوانه: ١٢٧/٣.

وقوله [من الطويل]:

فَجَدّي الَّذي لَمَّ العَشيرَةَ جُودُهُ وَقَد طارَ فيها بالتَفَرُّقِ طائِرُ[١٨٥]

وقوله [من الطويل]:

وَكانَ أَخي إِن يَسعَ ساعٍ بِمَجدِهِ فَلا المَوتُ مَحذورٌ وَلا السُمُّ ضائِرُ[١٨٦]

- قول البحتري [من الطويل]:

إِذا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بيَ الْهَوَى أصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجّ بهَا الْهَجْرُ[١٨٧]

وقوله أيضًا [من البسيط]:

وَيَومَ جَدَّ بِنا عَنها الرَحيلُ عَلى صَبابَةٍ وَحَدا الأَظعانَ حَادِيهَا[١٨٨]

وَاستَنكَرَت ظَعَنِي عَنها فَقُلتُ لَها إِلى الخَليفَةِ أَمْضَى العيسَ مُمضِيهَا[١٨٩]

- قول أبي العلاء المعري [من الوافر]:

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ[١٩٠]

- قول علي بن جبلة [من السريع]:

يَرْتُقُ ما تَفْتُقُ أَعْداؤُهُ ولَيْس يَأْسُو فَتْقَهُ آسِي[١٩١]

- قول أبي العتاهية [من المديد]:

عَلِمَ العَالِمُ أَنَّ المَنايا سامِعاتٌ لَكَ فيمَن عَصاكَ[١٩٢]

- قول الحكم بن زهرة [من البسيط]:

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيهِم أمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أحْسَابِهِمْ أنْ يُقْتَلُوا قَوَدَ[١٩٣]

- و"أنشد ثعلب لحسين بن مطير الأسدي [من الطويل]:

قَضَى اللهُ يا أَسماءُ أَن لَسْتُ زائِلاً أُحِبُّكِ حتى يُغْمِضَ العَيْنَ مُغْمِضُ"[١٩٤]

- قول الزبيدي النحوي [من المنسرح]:

عناية بالعلوم معجزة قَدْ بَهِظ الأوَّلِيَن بَاهِظُها[١٩٥]

- قول ابن سناء الملك [من السريع]:

لمَّا دَعَا في الرّكْب دَاعِي الفِرَاقْ لبّاه مَاءُ الدَّمْعِ من كُلِّ مَاقْ[١٩٦]

---

[١٨٤] ديوانه: ١٠٦.

[١٨٥] ديوانه: ١٠٩.

[١٨٦] ديوانه: ١٢٠.

[١٨٧] ديوانه: ٨٤٤.

[١٨٨] ديوانه: ٢٤١٠. الحادي: الذي يسوق الإبل ويغني لها.

[١٨٩] ديوانه: ٢٤١١. العيس: الإبل يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفية.

[١٩٠] اللزوميات: ٤١٣/٢.

[١٩١] الكامل في اللغة والأدب: ١١٠/٣.

[١٩٢] ديوانه: ٣١٨.

[١٩٣] شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٢٥٠/١.

[١٩٤] لسان العرب، غمض: ١٢٣/١٠.

[١٩٥] ينظر، نفح الطيب: ٦/٤.

- قول حافظ إبراهيم [من المديد]:

حالَ بَينَ الجَفنِ وَالوَسَنِ حائِلٌ لَو شِئتَ لَم يَكُنِ[١٩٧]

وقوله [من الطويل]:

فَلا زالَتِ الأَعيادُ تَبغِي سُعودَها لَدَى مَلِكٍ يَسري عَلى عَدلِهِ الساري[١٩٨]

- قول أحمد شوقي [من الرجز]:

لمّا دَعَا دَاعِي أَبي الأَشبالِ مُبَشِّرًا بِأَوَّلِ الأَنجالِ[١٩٩]

- قول محمود حسن إسماعيل [من الطويل]:

ونادَى مُنادٍ للضياء فكبَّرتْ جفوني وَصَلَّتْ للنداء خواطري[٢٠٠]

- قول الشاعر [من الرجز]:

إنّي إذا حذّرتْنِي حَذورُ حُلْوٌ عَلَى حَلاوَتي مَرِيرُ[٢٠١]

وفيه مجيء الفاعل على وزن (فَعُول)، مؤديًا دلالة الفاعلية الصرفية على جهة المبالغة.

ومنه أيضًا مجيء الفاعل على وزن (فَعَّال)، كقول غُرَيْفَة بن مُسَافِع العبسي [من الطويل]:

جُمُوعٌ خلالَ الخيرِ من كلِّ جانب إذا جَاءَ جَيَّاءٌ بهنَّ ذهوبُ[٢٠٢]

الأغلب- إذن- في الصفات المنتزعة من مادة فعلها في موقع الفاعلية أن تكون دالّة على معنى الفاعل، لكن قد تأتي دالّة على معنى المفعول صرفيًّا لإبراز المفارقة في الدلالة، وشاهده قول ابن الدُّمَيْنَة [من الطويل]:

عليها ولا مبُدٍ لليلى شَكيَّةً وقد يَشْتَكِي المُشكَى إلى كلِّ صاحبِ[٢٠٣]

معنى (يَشْتَكِي المُشْكَى) أنه قد يشتكي من ذهبتَ تشكو إليه ليزيلَ شكواك، أو قد يشتكي مَنْ أحوجكَ واضطرك إلى الشكوى.

ومنه ما جاء فيه الفاعل مثنى كقول زهير بن أبي سلمى في معلقته [من الطويل]:

سَعَى ساعِيا غَيظِ بنِ مُرَّةَ بَعدَمَا تَبَزَّلَ ما بَينَ العَشيرَةِ بِالدَّمِ[٢٠٤]

ومنه ما جاء فيه الفاعل جمع سلامة بالواو والنون، كقول كعب بن زهير [من البسيط]:

نَوّاحَةٌ رَخوَةُ الضَبعَينِ لَيسَ لَها لَمّا نَعى بكْرَها الناعونَ مَعقولُ[٢٠٥]

---

[١٩٦] ديوانه: ٥٩٢.

[١٩٧] ديوانه: ٣.

[١٩٨] ديوانه: ١٢.

[١٩٩] ديوانه: ٢٧٥/٢.

[٢٠٠] الأعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل: ٤٩٥/٢.

[٢٠١] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٨٢/٢.

[٢٠٢] الأصمعيات: ٩٩، وينظر، خزانة الأدب: ٤٣٤/١٠.

[٢٠٣] البيت بلا نسبة في أساس البلاغة، مرر: ٣٧٧/٢.

[٢٠٤] شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب: ٢٣. الساعيان: الحارث بن عَوف وهَرِمُ بن سنان. وغَيْظُ بن مُرَّة: حيّ من غَطَفان. وتبَزَّل بالدم أي: تَشَقَّق.

[٢٠٥] شرح ديوان كعب بن زهير: ١٨.

- قول كثير عزة [من الوافر]:

ويَرْقِينِي لكَ الراقونَ حتّى أجابكَ حيّةٌ تحت الحجابِ[٢٠٦]

- قول ابن الرومي [من مجزوء الكامل]:

فكأنني بِكَ قد نُعِيـ ـتَ وقد بَكَى الباكُونَ فَقْدَكْ[٢٠٧]

- قول الشاعر [من المتقارب]:

قَطَعْتُ إذا سَمِعَ السَّامِعُون مِن الجُنْدبِ الجَوْنِ فيها صَرِيرَا[٢٠٨]

- قول الحصري القيرواني [من الطويل]:

وَشى عِندَكَ الواشونَ بي فَهَجَرتَني وَحَمَّلتَني في الحُبِّ ما لَم أَكُن أَقوى[٢٠٩]

ومنه ما جاء فيه الفاعل مزيدًا بالألف والتاء قول الشاعر [من الوافر]:

لِتَبْكِ الباكياتُ أَبَا خُبَيْبٍ لدَهْرٍ أَو لنَائبةٍ تَنُوبُ[٢١٠]

أبي الطَّمَحان القينيّ [من الوافر]:

حَنَتني حانياتُ الدَهرِ حَتّى كَأَنّي خاتِلٌ يَدنو لِصَيدِ[٢١١]

وكذا قول الشاعر [من الطويل]:

وقد عجمتنِي العاجماتُ فأسأرتْ صليبَ العَصَا جلدًا على الحدثانِ[٢١٢]

ولا يغيب في كل ذلك أنّ مباشرة الفاعل المشتق من جذر فِعْلِه قد اجتُذِبَ- بنسبة ما- إلى الاسمية ليقوى على تلك المباشرة، وقد نجد ذلك بارزًا في استعمال الصفة الواحدة مسبوقة بموصوفها تارة[٢١٣] ومباشرة للفعل أخرى، ومن ذلك: "وسنةٌ أَزْمَةٌ وأَزِمَةٌ وأَزُومٌ وآزِمةٌ"[٢١٤]، قال زهير بن أبي سُلمى [من الوافر]:

كما قَدْ كان عوَّدَهُم أبوهُ إذا أَزَمَتْ بهم سَنَةٌ أَزُومُ[٢١٥]

"ويقال: قد أَزَمت أَزامِ، قال [من الوافر]:

أَهان لها الطَّعامَ فَلم تُضِعْه غَداةَ الرَّوْعِ إذ أَزَمَتْ أَزامِ[٢١٦]

قال ابن بري وأنشد أبو علي هذا البيت [من الوافر]:

---

[٢٠٦] كتاب الصناعتين: ٧٥، وفي [ديوانه: ٢٨٠] رواية أخرى: ويَرْقِيني لكَ الحاوونَ.

[٢٠٧] ديوانه: ١٨٧٠/٥.

[٢٠٨] البيت بلا نسبة في لسان العرب، جدب: ١٩٦/٢.

[٢٠٩] أبو الحسن القيرواني: ٢٣٨.

[٢١٠] البيت بلا نسبة في أساس البلاغة، وجأ: ٤٩٢/٢.

[٢١١] خزانة الأدب: ٩٥/٨، وينظر، أمالي المرتضى: ٤٦/١.

[٢١٢] البيت بلا نسبة في أساس البلاغة، قلص: ٢٧٢/٢.

[٢١٣] سبقت شواهد دالة على ذلك كما في قوله تعالى: (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) [الحاقة: ١٢]

[٢١٤] لسان العرب، أزم: ١٣٧/١.

[٢١٥] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٥٥. ويروى: إذا أَزَمَتْ مُطوِّحَةٌ أَزُومُ.

[٢١٦] ديوان النابغة الجعدي: ١٥٤. الروع: الخوف، وهنا انحباس المطر. أزمت: اشتدت ومنها الأزمة، أي: الضائقة. الأزامِ: اسم مطلق للأزمة مبني على الكسر معدول عن الفعل أزم.

أَهانَ لها الطعامَ فَأَنْفَذَتْهُ غَداةَ الرَّوْعِ إذ أَزَمَتْ أَزُومُ[٢١٧]

ويقال: نزلتْ بهم أَزامِ وأَزُومٌ، أَي: شدَّة"[٢١٨]. "ومن المجاز: أَزَمَ الدهر علينا، وأزمتنا أزمةٌ، وسنة آزِمةٌ وأَزُوم، وسنون أَوَازِم، وقال [من الطويل]:

جذامُ سيوفُ اللهِ في كلّ موطنٍ إذا أزمتْ، يومَ اللّقاءِ، أزام[٢١٩]"[٢٢٠]

وقد يأتي الفاعل بدلا من اسم الإشارة المباشر للفعل، كقول أبي تمام [من الطويل]:

لَهُ الْخَلواتُ اللأْء لَولا نَجِيُّها لما احْتَفلتْ لِلْمُلكِ تِلْكَ الْمَحافِلُ[٢٢١]

ومن الصفات التي لحقتها (تاء النقل) فغلبت عليها الاسمية:

- قول النابغة الذبياني [من البسيط]:

أَسْرَتْ عليه مِن الجَوزاءِ سَارِيةٌ تُزْجِي الشَّمالُ عليهِ جامِدَ البَرَدِ[٢٢٢]

- "قال شُتَيْم بنِ خُوَيْلِدٍ [من المتقارب]:

فإنْ يَكُنِ المَوتُ أَفْنَاهُمُ فلِلْمَوْتِ، ما تَلِدُ الوَالِدَهْ"[٢٢٣]

- قول الرَّبيع بن أبي الحُقَيق اليهودي [من البسيط]:

أنا ابنُ عمّك إنْ نابتْك نائبةٌ ولستُ منك إذا ما كعبُك اعْتدَلا[٢٢٤]

- قول نهار بن توسعة يرثي أخاه [من الكامل]:

فَلِمَنْ أقُولُ إذا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ أرِنِي بِرَأيِكَ أمْ إلى مَنْ أفزَعُ[٢٢٥]

---

[٢١٧] ينظر، لسان العرب، أزم: ١٣٧/١، والرواية نفسها وردت في [شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٥٥].

[٢١٨] المرجع السابق، أزم: ١٣٧/١.

[٢١٩] ديوان جميل بثينة: ١٢٠.

[٢٢٠] أساس البلاغة، أزم: ١١/١.

[٢٢١] ديوانه: ١٢٣/٣.

[٢٢٢] ديوانه: ١٨.

[٢٢٣] أساس البلاغة، ملح: ٣٩٨/٢.

[٢٢٤] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٧١/١.

[٢٢٥] شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، المجلد الأول: ٩٥٢/١.

- قول غُرَيْقَةُ بن مُسَافِعِ العَبْسيّ [من الطويل]:

لَعَمْرِي لَئِنْ كانَتْ أَصابَتْ مُصيبَةٌ أخِي، والمَنايا للرِّجالِ شَعُوبُ[٢٢٦]

- قول عنترة بن شداد [من الطويل]:

ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحرب دائرةٌ على ابنَيْ ضَمضَمِ[٢٢٧]

- قول المتنبي [من الكامل]:

راعَتْكِ رائِعَةُ البَياضِ بِعارِضي وَلَوَ انَّها الأولى لَراعَ الأَسحَمُ[٢٢٨]

ورُوي: (راعية الشيب) وكلاهما اسم فاعل[٢٢٩] لحقته تاء النقل.

ومنه ما غلب عليه الاسمية دلالةً لِعلَميّته، كقول امرئ القيس [من الطويل]:

لَقَد طَمِحَ الطَّمَّاحُ مِن بُعدِ أَرضِهِ لِيُلبِسَني مِن دائِهِ ما تَلَبَّسا[٢٣٠]

فـ(الطَّمَّاحُ) صفة غالبة، إذ يقال: إنّه رجل من بني أسد وشى بامرئ القيس عند قيصر، فسُمِّي الطَّمَّاحُ بقول امرئ القيس. وقيل: هو (الطَّمَّاحُ الأسديّ)[٢٣١]. بَيْدَ أنَّ العلمية تهوّن العلاقة الدلالية بين الفعل وفاعله، لكن لا يمكن نفيها جملةً بدليل اختيار امرئ القيس للفعل (طمح) الموافق لمادة الفاعل وكان في الإمكان غيره. إنَّ هذه الموافقة تؤكد إصرار هذا الواشي على الغدر بامرئ القيس، فضلا عن ضعته- أي: الواشي- إذ جيء بحَدَث (الطموح) متكرّرًا لبيان علو منزلة امريء القيس حتى صار الغدر به طُموحًا عند هذا الواشي الوضيع.

وانتزاع الصفة من العَلَم وإسناده إلى فعل من مادته قد جاء في قول أبي تمام [من الكامل]:

تَغزو فَتَغلِبُ تَغلِبٌ مِثلَ اِسمِها وَتَسيحُ غَنمٌ في البِلادِ فَتَغنَمُ[٢٣٢]

ونظير ذلك- على جهة الأصل- (سَتَشْعَبُه شَعُوبُ) في قول النابغة الذبياني [من الوافر]:

وَكُلُّ فَتًى سَتَشْعَبُه شَعُوبُ وإنْ أَثْرَى وإنْ لَقِيَ الفَلَاحَا[٢٣٣]

ومثله قول الفرزدق [من الطويل]:

بِحَقِّي أُضِيمُ العَالَمِينَ بِخِنْدِفٍ وَقَدْ قَهَرَ الأَحْيَاءَ مِنّا قَهُورُها[٢٣٤]

ومنه في النثر:

- "وعن قتيبة: إنْ وَلِيَكُمْ والٍ شديدٌ عليكُم قُلتُمْ: جَبَّارٌ عنيدٌ، وإنْ وَلِيَ عليكم والٍ رؤوفٌ بكُم قلتُم: قُباعُ بنُ ضَبَّةَ. وهو رجل محمّق كان في الجاهلية"[٢٣٥].
- في المَثَل: "سُرِقَ السارقُ فانتحَر"[٢٣٦].

---

[٢٢٦] الأصمعيات: ٩٨.

[٢٢٧] شرح ديوان عنترة: ١٨٦.

[٢٢٨] ينظر، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: ٤٦٠/٢.

[٢٢٩] المرجع السابق: ٤٦٠/٢. "يقول: راعتك الشعرات البيض التي انتشرت في عارضي، ولو كان الشعر يبدو أبيض ثم يسود، لخفتِ من السواد خوفك من البياض، والذي راعكِ سنّي لا البياض". [المرجع السابق: ٤٦١/٢].

[٢٣٠] ديوانه: ١٠٨.

[٢٣١] ينظر، ديوانه: ١٠٨.

[٢٣٢] ديوانه: ١٩٨/٣.

[٢٣٣] ديوانه: ٢١٤.

[٢٣٤] شرح ديوان الفرزدق: ٣٧٤/١.

[٢٣٥] أساس البلاغة، قبل: ٢٢٥/٢.

- "ومن أمثالهم: (إلى أُمّه يَلهَفُ اللَّهفان)... يقال ذلك لمن اضطُرَّ فاستغاث بأهل ثقته"[٢٣٧].
- يقال: "ونجمَ في بني فلان ناجمٌ، ونجم فيهم شاعر أو فارس"[٢٣٨].
- قول الحسن بن علي- رضي الله عنهما-: "جَرَّبْنَا وجَرَّبَ المجَرّبون، فلم نر شيئا أنفع وجدانًا، ولا أضر فقدانًا من الصبر، تداوى به الأمور، ولا يداوى هو بغيره"[٢٣٩].
- "وقلّس المقلّسون، وهم الذين يلعبون في الأعياد بين يدي الأمراء بالسيوف والحراب ويضربون الطّبول"[٢٤٠].
- اختلف الخليفة هشام بن عبد الملك مع الإمام الزهري، فقال هشام: كذبت. فقال الزهري: "أنا أكذب لا أبَا لك! والله لو نادى منادٍ من السماء إنَّ الله أباح الكذب ما كذبت"[٢٤١].
- "فهذا من الفرق لا يدفعه دافعٌ، ولا يشكُّ فيه شاكٌّ"[٢٤٢].
- "هي أحْسَنُ النّاسِ حَيْثَ نَظَرَ ناظِرٌ"[٢٤٣].
- "خاف أن يتوهم متوهم أنَّ نحو: (حبلى)،... ناقضٌ لما قرره"[٢٤٤].
- ومن دعاء العرب في الفقد: "... وهَبَلَتْهُ الهَبُولُ، وعَبَلَتْهُ العَبُول، وثَكَلَتْهُ الثَّكُولُ"[٢٤٥]، أي: أخذتْه المَنيَّةُ. والفاعل في كل ذلك صفة للأُمّ التي حُذِفت لمزيد اختصار وتوكيد للفقد بحكم الاشتقاق الجامع بين الفعل وفاعله لفظًا ومعنى.
- وفي الأمثال العاميّة: "خَرَطَه الخرَّاطْ وادَّقْلِجْ مات"[٢٤٦].

تنضح كل هذه (المتداعيات الاشتقاقية) حيوية خاصة تُكسب التراكيب التي ترِدُ فيها انفعالية حية الأثر في وجدان السامع. ذلك أنّ إعادة صوغ الجذر المعجمي للفعل في صورة فاعل يوقظ وعي المتلقّي بإيقاع صوتي متكرر في تركيب بالغ الكثافة الدلالية يلفت الانتباه إلى طبيعة فريدة في هذا التركيب الذي تحقّقت فيه تضفيرة صوتية ودلاليّة صافية الجذر خالصة المعنى لوجه الحدث بإخفاء الفاعل في رداء فِعله دون حذف أو استتار.

ومن الصفات التي لحقتها (تاء النقل) فغلبت عليها الاسمية:

---

[٢٣٦] المرجع السابق، سرق: ٤٢٨/٢، وفي تفسير المثل يقول الميداني في [مجمع الأمثال: ٣٣٩/١]: "يقال: (انْتَحَرَ الرجلُ) إذا نَحَر نفسه حزنا على ما فاته. وأصله أن سارقاً سرق شيئاً فجاء به إلى السوق ليبيعه فسُرِقَ فنحر نفسه حزناً عليه فصار مثلاً للذي يُنتزع من يده ما ليس له فيجزع عليه".

[٢٣٧] تهذيب اللغة: ١٦١/٦. وينظر، مجمع الأمثال: ٢١/١، وأساس البلاغة، لهف: ٣٦١/٢. وروي المَثَل: "إلى أُمّه يفزَعُ اللَّهفانُ. وإلى أُمّه يجْزَعُ اللَّهفانُ" [الألفاظ الكتابية: ٢٣٩] على جهة التداعي التأويلي، كما سيأتي تفصيله.

[٢٣٨] أساس البلاغة، نجم: ٤٢٨/٢.

[٢٣٩] شرح نهج البلاغة: ٣١٩/١.

[٢٤٠] أساس البلاغة، قلس: ٢٧١/٢.

[٢٤١] سير أعلام النبلاء: ٣٣٩/٥.

[٢٤٢] دلائل الإعجاز: ١١٢.

[٢٤٣] المخصص: ٣٣٩/١.

[٢٤٤] شرح المفصل: ١٩٥/١.

[٢٤٥] المزهر: ٢٦٩/٢.

[٢٤٦] الأمثال العاميَّة: ٢٥٠.

- في الحديث الشريف: "تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ بَادِيَةً لَهُ صَفَحَاتُكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ"[٢٤٧]. و"وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ"[٢٤٨]. كما ورد في سند الأحاديث: "أَخْبَرَنِي مُخْبِرٌ عَنْ... "[٢٤٩].
- قول العرب: "فقرتْهم الفاقرةُ وصلّتهم الصّالّةُ"[٢٥٠].
- قولهم: "ما بَقِيَتْ منهم باقِيةٌ ولا وَقاهم الله من واقِيَةٌ"[٢٥١]. وكذا في الحديث: "من عَصَى الله لم تَقِهِ منه واقية إلّا بإحداث توبة"[٢٥٢]. ولا يمتنع في (خافية، وباقية، وواقية) الحمل على المصدر[٢٥٣]، كـ(عافية).
- "ومن المجاز: لا تزال تقرصني منك قارصةٌ: كلمة مؤذية"[٢٥٤].
- "ومن المجاز: زالتْ له زائلةٌ: شَخَصَ له شَخْص"[٢٥٥].
- يقال: "وَقَبِلَتْ الْقَابِلَةُ الْوَلَدَ"[٢٥٦]، أي: تَلَقَّتْهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ.
- يقال: "لقد عبلت عنَّا فلانًا عابلةٌ، أي شغلته شاغلةٌ"[٢٥٧].
- ويقال: "وما تنهاه عَنَّا ناهِيةٌ، أي: ما تكفّه كافّةٌ"[٢٥٨] بتفسير المتداعي الاشتقاقي بتركيبٍ آخرَ على نسقه كما اعتيد في هذا النحو من الأنساق المهيمنة.
- ومن التعابير الاصطلاحية: "(أمرٌ) لا تشوبه شائبةٌ: نقيٌّ خالصٌ، لا ريبة فيه"[٢٥٩].
- وفي الأمثال العامية: "دَارت الدُّورَه عَليكي يا عُورَهْ"[٢٦٠].

كما جرى هذا التركيب عفوًا على أقلام العلماء، ومنه ما جاء في:

---

[٢٤٧] مسند أحمد: ١٤/٤.

[٢٤٨] صحيح البخاري (٦٨٣٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٢٠٨/٨. دافّة: عدد قليل، وأصله من الَّفّ وهو السير البطيء في جماعة.

[٢٤٩] سنن البيهقي الكبرى: ٣٢٠/٢، وينظر، موطأ مالك: ١٦/٢.

[٢٥٠] المخصص: ٣٦٧/٣.

[٢٥١] أساس البلاغة، بقي: ٥٨/١، وينظر، تهذيب اللغة: ٢٦١/٩، ولسان العرب، بقي: ٤٦٧/١.

[٢٥٢] كتاب العين: ٢٣٨/٥، وينظر، لسان العرب، وقي: ٣٧٨/١٥.

[٢٥٣] ينظر، لسان العرب، بقي: ٤٦٧/١. وجاء في [المرجع السابق، وقي: ٣٧٨/١٥]: "والوِقاءُ والوَقاء والوِقايةُ والوَقايةُ والوُقايةُ والواقِيةُ كلُّ ما وقَيْتَ به شيئًا. وقال اللحياني: كلُّ ذلك مصدرُ وَقَيْتُه الشيء".

[٢٥٤] أساس البلاغة، قرص: ٢٤٤/٢.

[٢٥٥] المرجع السابق، زول: ٤١٢/١.

[٢٥٦] المرجع السابق، قبل: ٢٤٤/٢.

[٢٥٧] المزهر: ٢٦٨/٢.

[٢٥٨] أساس البلاغة، نهي: ٤٨٦/٢.

[٢٥٩] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ٤٢٣.

[٢٦٠] الأمثال العاميَّة: ٢٦٠.

- دلائل الإعجاز: "وإن تعسَّف مُتَعَسِّفٌ في تلاؤم الحروف فبلغ به أن يكون الأصل في الإعجاز..."[٢٦١].
- الكشاف: "... لَمَّا جعل الجبل عاصمًا من الماء قال له: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد"[٢٦٢].
- شرح نهج البلاغة: "... وهم مع هذه الكثرة أيضًا لا يبقى منهم أحد إلا إذا دعا داعي الموت سمع دعاءه ونداءه"[٢٦٣].
- مقدمة نواهد الأبكار: "صلوات الله عليه وسلامه ما حدا حادٍ، وشدا شادٍ، وبدا بادٍ، وعدا عادٍ، وما غدا أو راح رائح وغادٍ، وعلى آله الأمجاد وأصحابه الأنجاد"[٢٦٤]. ومثله ما يقوله الداعون: "الحمد لله كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون". و"الله أكبر ما طاف بالبيت الطائفون".
- وفيات الأعيان: "وإنما نبهت على ذلك لئلا يظنَّ ظانٌّ أن هذا غلط"[٢٦٥].
- مصابيح الجامع: "ولو ذهبَ ذاهبٌ إلى أن المراد باليد الجارحة... لكان وجهًا"[٢٦٦].
- التحرير والتنوير: "... لأن المعاصي من شأن أهل الشرك الذين لا يزعهم عن الفسوق وازع"[٢٦٧].
- ومن كلام البلغاء فيه أيضًا: "أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمتَهُ العاجماتُ..."[٢٦٨].

في هذا التركيب سلاسة وطواعية تُيَسِّران توليده وشيوعه على الألسنة، ومنه في العربية المعاصرة:

- "كانت تحدثُ الحادثةُ، أو يتخالج الناس معنى من الهم الذي يعمّهم..."[٢٦٩].
- "كان يتوجّه الظن على شوقي رحمه الله فيزعمُ الزاعمُ أن شوقيًّا... يشيع حوله قوة الجذب من مغناطيس الثروة والمكانة"[٢٧٠].
- "ونسَأت اللجنةُ الأجَلَ المضروب، وسعى الساعون إلى الشاعرين الكبيرين ليحملوهما على الاشتراك في المباراة"[٢٧١].
- "فإذا كتب الكاتبون منهم لم يستعملوها، ظنًّا منهم أنها تجانب الفصاحة"[٢٧٢].

---

[٢٦١] دلائل الإعجاز: ٦٠.

[٢٦٢] الكشاف: ٣٧٥/٢.

[٢٦٣] شرح نهج البلاغة: ٢٥٠/٦.

[٢٦٤] نواهد الأبكار وشوارد الأفكار: ١/١.

[٢٦٥] وفيات الأعيان: ١٩٧/٤.

[٢٦٦] مصابيح الجامع: ٣٦٤/٣، ٣٦٥.

[٢٦٧] التحرير والتنوير: ٢٠٨/٢٦.

[٢٦٨] شرح نهج البلاغة: ٤٥٥/١، ينظر، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٨٨/١٩.

[٢٦٩] وحي القلم: ٢٩٦/٣.

[٢٧٠] المرجع السابق: ٢٩٦/٣.

[٢٧١] حياة الرافعي: ٨٦.

[٢٧٢] مختارات وقطوف من تراثنا العربي: ١١٤.

- "أعطنا كلمة شرف جديدة حتى لا يغدر بالخارج غادر"[٢٧٣].
- "ويومًا طرَق باب الدار طارقٌ"[٢٧٤]. و"في باكر الصباح طرق طارق باب البدروم"[٢٧٥]. ولا يخلو المتداعيان النكرتنان في مثل ذلك من الترقب والمفاجأة.

ومن هذا الباب قول القائل:

- سأهاتفكَ إذا جَدَّ جديدٌ.
- في النهاية لا يصحُّ إلا الصحيحُ[٢٧٦].

ومنه ما يتوَلَّدُ موافقًا لطبع العربية السيَّال، نحو:

- ما أشدَّ خشيتي أن يشمت بي الشامتون!
- سأقول الحق مهما خوَّفني الخائفون وأرجف المرجفون وتَجَبَّر المتجبرون.
- سيتم الله نوره ولو كره الكارهون.
- سأمضي فيما رأيتُه صوابًا وحقًّا مهما خذَّلني المُخَذِّلون أو لامني اللائمون.
- لا أفرِّط في كرامتي مهما فرَّط المفرِّطون وتذلل المتذللون وخضع الخاضعون.
- لا يعنيني أن يتخاذل المتخاذلون ما دمتُ ثابتًا على الحقّ.

وقد يأتي لاحقًا بهذا الباب نمط آخر للفاعل منفكٌّ في صورة (اسم موصول + فعل من جنس عامل الموصول)، ومنه قوله تعالى: (**إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ١٦**) [النجم: ١٦] "(ما يَغْشى): تعظيم وتكثير لما يغشاها، فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله: أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف"[٢٧٧]. وعليه قول النبي- ε- في وصف (السِّدْرَة) تركيبًا مناظرًا دلالة وتفسيرًا: "فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا"[٢٧٨]. والعجزُ عن الوصف من ثمار بناء التركيب على جهة التداعي الاشتقاقي بـ(ما) الموصولة التي أغرقت التركيب في هذا الإبهام المقصود به التفخيم والتعظيم.

وهذا التفخيم المتحقق بذكر (الموصول) تزداد كثافته بجملة الصلة التي تتكرر فيها الفعل، وليس تجاوزًا القول أنّ تلك هي الصورة الخام لفكرة التداعي الاشتقاقي بتكرار ذات الفعل عبر وسيط (الموصول)، ففيها دوران حول (الفعل/ الحدث) وإخفاء-بنسبة ما- للذات دون التحول إلى صورة اشتقاقية كاسم الفاعل وما يلحق به. والتداعي باسم الفاعل أكثر تخصيصا بحكم احتماله للذات.

ونظير ذلك قوله تعالى: (**وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ٥٤**) [النجم: ٥٤][٢٧٩] "(مَا غَشَّى) فَاعل فَغَشَّاهَا، و(مَا) موصولة, وجيء بصلاتها من مادة وصيغة الفعل الذي أسند إليها, وذلك لا يفيد خبرًا جديدا زائدًا على مفاد الفعل.

---

[٢٧٣] أولاد حارتنا: ١٢٥.

[٢٧٤] المرجع السابق: ٢٤٨.

[٢٧٥] المرجع السابق: ٣١٨.

[٢٧٦] ينظر، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٤٦٥.

[٢٧٧] الكشاف: ٤٢٢/٤، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣٧٥٢.

[٢٧٨] صحيح مسلم: ١٤٥/١.

[٢٧٩] المؤتفكة: أي: المنقلبة، وهي قُرَى قوم لوط.

والمقصود منه التهويل كأن المتكلم أراد أن يبين بالموصول والصلة وصف فاعل الفعل فلم يجد لبيانه أكثر من إعادة الفعل إذ لا يستطاع وصفه"[٢٨٠].

ومن هذا البحر قوله تعالى: **(فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ٧٨)** [طه: ٧٨]. (ما) موصولة[٢٨١]، و(مَا غَشِيَهُمْ) فاعل[٢٨٢] "يفيد ما أفاده قوله: (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ) إذ من المعلوم أنهم غشيهم غَاشٍ، فتعيَّن أنَّ المقصود منه التهويل، أي بلغ من هول ذلك الغرق أنه لا يستطاع وصفه"[٢٨٣]. وإعادة الحدث مرة أخرى في فاعله من "باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي: غشيهم ما لا يُعْلَم كنهه إلا الله"[٢٨٤]. ففي إبهام (المسند إليه) بـ(الموصول والتكرار) ما فيه، "ولو قيل: فغشيهم الغرق، لم يفد هذا التفخيم"[٢٨٥].

ما زال لتركيب التداعي الاشتقاقي هيمنته على طريقة أهل التفسير، يقول الآلوسي: "علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الأمر الهائل الذي لا يُقَادر قدره ولا يبلغ كنهه"[٢٨٦].

كُلَّما غلَب على التركيب العموم كان "أبلغ، لأنَّ السامع يذهب وَهْمُه فيه كلَّ مذهب"[٢٨٧]. وقياسًا على هذا الأصل كان قولُه تعالى: **(فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ٥٤)** [النجم: ٥٤] أغرقَ في العموم وإبهام الأمر الذي غشّاها به[٢٨٨] من قوله تعالى: **(فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ٧٨)** [طه: ٧٨] لـ"ذكر (اليمّ) وهو البحر فصار الذي غشيهم إنما هو منه خاصة"[٢٨٩]، فالتعيين يهوّن الإيغال في الإبهام. على أنَّ لتعيين (اليمّ) في هذا السياق بلاغته الخاصة، فهو الذي حمل موسى- عليه السلام- طفلا إلى قصر فرعون، وهو الذي أهلك (فرعون وجنوده) ونَجَّى (موسى وبني إسرائيل)، فلذكر (اليمّ) ها هنا خصوصية يستدعيها السياق العام.

وتبقى لـ(ما) في التركيبين معنى الوصف بالهول كأنه قيل: (غَشَّاها غَشَيَانٌ مَهول) و(غشيهم من اليم غاشٍ هائل) وفي تكرار الفعل انحناء للتركيب على ذاته.

ومنه كذلك قوله- ε-: "لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ"[٢٩٠]، فـ(مَا أَصَابَهُمْ) فيه تهويل للجزاء الواقع.

هذا التكرار المراد به تفخيم الأمر وتكبيره[٢٩١] في الآيات الكريمة والحديث الشريف مما يليق حمله على استعمال العرب في نحو "قولهم للرجل: هذا هذا، وأنتَ أنتَ. وفى القوم: هُمُ هُمُ، قال الهذليّ [من الطويل]:

---

[٢٨٠] التحرير والتنوير: ١٥٣/٢٧، وينظر، روح المعاني: ٥٤٨/٨.

[٢٨١] ينظر، روح المعاني: ٧/١٤.

[٢٨٢] ينظر، المرجع السابق: ٥٤٨/٨.

[٢٨٣] التحرير والتنوير: ١٥٧/١٦.

[٢٨٤] الكشاف: ٧٩/٣.

[٢٨٥] عروس الأفراح: ١٧١/١.

[٢٨٦] روح المعاني: ٥٤٨/٨.

[٢٨٧] المثل السائر: ٢٦/٢.

[٢٨٨] ينظر، المرجع السابق: ٢٦/٢.

[٢٨٩] المثل السائر: ٢٦/٢.

[٢٩٠] سنن الترمذي: ٤٣٠/٣.

[٢٩١] وسيرِدُ مثل ذلك في تداعي الفعل مع مفعوله.

رَفَوْنِي وقالوا: يا خُوَيْلِدُ لا تُرَعْ فَقُلْتُ وأَنْكَرتُ الوُجُوهَ: هُمُ هُمُ[٢٩٢]"[٢٩٣]

وقال أبو النجم [من الرجز]:

أنا أبو النَّجْمِ وشِعْرِى شِعْرِى[٢٩٤]

والتناهي في المعنى في كل ذلك مما لا يخفى[٢٩٥].

"ومما يجري على هذا النهج قول الشاعر في وصف الخمر [من البسيط]:

مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا وَفِي الزُّجَاجَةِ بَاقٍ يطْلُبُ الْبَاقِي"[٢٩٦]

(ما مَضَى) فاعلٌ لـ(مَضَى)، وفي إعادة الحدث مسبوقًا بـ(ما) الموصولة مزيد تفخيم لِما ذهبَ من عقول شاربي الخمر.

كذا قول البعيث المجاشعي في بيت شعر كان سببًا في تسميته (البعيث) [من الطويل]:

تَبَعَّثَ منِّي ما تَبَعَّثَ بَعْدَمَا أَمَرّت حبالٌ كل مرتها شَزَرَا[٢٩٧]

وجاء عليه أيضًا قول ابن الرومي [من الطويل]:

سَقَى اللهُ أَوْطَارًا لَنَا وَمَآرِبًا تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَانِهَا مَا تَقَطَّعَا[٢٩٨]

فـ(ما) الموصولة فاعلة لـ(تَقَطَّعَ)، وأُعِيدَ تكرارُ الحدَث في جملة الصلة لتهويله وتعظيمه.

ومن نسجه قول الشاعر [من السريع]:

يَطويهِ مِن أَيّامِهِ ما طَوَى لَكِنَّهُ تُنشَرُ أَسرارُهُ[٢٩٩]

ففي الفاعل (ما طوى) الإغراق في آلام الحسرة على ما انطوى وذهب من العمر.

وكذا قول حافظ إبراهيم [من الطويل]:

وَرُحتُ إِلى حَيثُ المُنى تَبعَثُ المُنى وَحَيثُ حَدَا بي مِنْ هَوَى النَفسِ مَا حَدَا[٣٠٠]

فالإغراق في الهوى لاءمه بناء التركيب على تكرار الحدَث (حَدَا) في جملة الصلة (مَا حَدَا) ليتناهى المعنى إلى غير حدٍّ.

ومنه أيضًا قول أحمد محرَّم واصفًا مصرع أبي جهل مهوِّلا الوقعة [من الطويل]:

أصابَكَ فيها ما أصابَكَ من أذًى وفاتَكَ ما نالَ الرُّوَيْعِيُّ من فَضْلِ[٣٠١]

من وشائج هذي التراكيب قولهم في المَثَل: "إنَّ وَرَاءَ الأكَمةِ مَا وَرَاءَهَا"[٣٠٢]، وكذا "قولُ بعض المتأخرين: (فؤادٌ فيه ما فيه)"[٣٠٣]، وشبيهٌ بذينِ قولُ بعض المعاصرين: (فلانٌ له ما له، وعليه ما

---

[٢٩٢] ديوان الهذليين: ١٤٤/٢.

[٢٩٣] أمالي المرتضى: ٣٥٠/١. وقد نبَّه المرتضى في مذهبه هذا على أنه انفرد به إذ لم ير أحدًا ذكره فيها. ولعله أصاب في ذلك إذ لم يقع للباحث مثله فيما استقصى من التفاسير والله تعالى أعلى وأعلم.

[٢٩٤] ديوان أبي النجم العِجْلِي: ١٩٨. والرجز من استدلالات الشريف المرتضى أيضًا.

[٢٩٥] قد تناول الباحث هذه الظاهرة تفصيلا في بحثه (المكملات اللازمة: دراسة تركيبية دلالية).

[٢٩٦] المثل السائر: ٢٧/٢، وينظر، عروس الأفراح: ١٧١/١. ولم أقف على نسبة الشاهد.

[٢٩٧] شعر البعيث المجاشعي: ٢٩.

[٢٩٨] ديوانه: ١٤٧٣/٤.

[٢٩٩] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٣٧/٢.

[٣٠٠] ديوانه: ٨.

[٣٠١] ديوان مجد الإسلام: ٤٦.

عليه) و(دعني، فإنَّ النفسَ فيها ما فيها)، وإنْ خَلَا كل ذلك من الحضور الفعلي المباشر، إذ شبه الجملة في كل ذلك متعلِّق بفعل محذوف.

من هذا البحر أيضًا استعمال (مَن) الموصولة في هذا الضرْب من التراكيب وشاهده قوله تعالى: **(يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ٩)** [الذاريات: ٩] "يريد: يُصْرَفُ عن القرآن والإيمان من صُرِفَ"[٣٠٤]، وفي إعادة الحدث إشعار بأن هذا الصرف "لا أشدَّ منه وأعظمَ، ووجهُ المبالغة من إسناد الفعل إلى من وُصف به، فلولا غرض المبالغة لكان من توضيح الواضح، فكأنه أُثْبِتَ للمصروف صرفٌ آخرُ حيث قيل: (يُصْرَفُ عَنْهُ المصروفُ) فجاءت المبالغة من المضاعفة ثم الإطلاق في المقام الخطابي له مدخل في تقوية أمر المضاعفة، وكذلك الإبهام الذي في الموصول، وهو قريبٌ من قوله تعالى: (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ) [طه: ٧٨]"[٣٠٥]. وظاهرٌ أنَّ الإغراقَ في الإبهام بـ(ما) الموصولة أدخلُ في هذا المعنى مِن (مَنْ) الموصولة.

وفي التركيبِ- على هذه القراءة[٣٠٦]- ملاءمةٌ بين بناء الفعل (أُفِكَ) للمجهول وما أُسْنِدَ إليه، وهي الملاءمة نفسها الواردة في قوله تعالى: **(وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ)** [فاطر: ١١] على ما بيَّنَّا فيما سبق.

ومنه كذلك قوله تعالى: **(وَأُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ)** [هود: ٣٦] فأعيد الحدث على صورة الماضي (آمَنَ) ليؤكدَ اقتصارَ الإيمان على من آمن له قبلُ.

وقوله تعالى: **(أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ)** [فاطر: ٣٧] والمعنى: ألم نمهلكم ونعمركم عمرًا يتذكر فيه مَن تذكر، أي: يتمكن فيه من أراد التذكر وتحققت منه تلك الإرادة من التذكر والتفكر[٣٠٧]، وهذا التفكر يلائمه إعادة الحدث في (المسند إليه) لمزيد تأكيد، وإمهال لا حجة فيه لأحد.

وكذا قوله تعالى: **(وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ٤٢)** [الأنفال: ٤٢]. البيِّنة: "إقامة الحجة والبرهان. أي: ليموت من يموت عن بينة رآها وعبرة عاينها، فقامت عليه الحجة. وكذلك حياة من يحيا. وقال ابن إسحاق: ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره، ويؤمن من آمن على

---

[٣٠٢] مجمع الأمثال: ١٣/١. "أصله أن أَمَةً واعدت صديقها أن تأتيه وراء الأكمة إذا فرغَت من مهنة أهلها ليلا فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل فقالت حين غلبها الشوقُ: حبستموني وإن وراء الأكَمَة ما وراءها. يضرب لمن يُفْشِي على نفسه أَمْرَاً مستورًا".

[٣٠٣] المثل السائر: ٢٧/٢.

[٣٠٤] معاني القرآن: ٨٣/٣.

[٣٠٥] روح المعاني: ٦/١٤، ٧.

[٣٠٦] "وقرأ سعيد بن جبير: (يُؤفَك عنه من أَفِك)، على البناء للفاعل، أى: من أفك الناس عنه وهم قريش، وذلك أنّ الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأى ليسأل عن رسول الله- ﷺ-، فيقولون له: احذره، فيرجع فيخبرهم" [الكشاف: ٤٠٠/٤] وجاء في [إعراب القراءات الشواذ: ٥١٣/٢]: "قوله تعالى (يُؤفَك) بفتح الياء والفاء، أي: يأفَك الله عن طريق الجنة مَن كذَب، أي: يَصْرِفُ، ويجوز أن يكونَ من أَفِكَ بكسر الفاء في الماضي، أي: يَصْرِف نفسه عن التصديق مَنْ كَذَّبَ".

[٣٠٧] ينظر، روح المعاني: ٣٧٣/١١.

ذلك"[٣٠٨]. وعلى هذا المعنى فإن بناء التركيب على إعادة الحدث في جملة صلة الموصول القائم بوظيفة الفاعل شِعارٌ بهول الابتلاء وشدته في أمر الحياة والموت أو الكفر والإيمان أيًّا ما كان التأويل. ولا يكون ذلك إلا عن بينة دامغة لذا لاءم المعنى تكرار (بينة) في الحالين.

مما يَجري على هذا النهج قول الشاعر [من الوافر]:

عَزَمتُ على إقامةِ ذي صَبَاحٍ لأمرٍ ما يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ[٣٠٩]

وقد تأتي جملة الصلة الضامنة للجذر نفسه اسمية أيضًا، كقول القائل [من الطويل]:

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ ومَسَّحَ بالأَرْكانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ[٣١٠]

وقول أبي فراس الحَمْداني [من الطويل]:

وَلَم يَبقَ إِلّا صِهرُهُ وَابنُ بِنتِهِ وَثَوَّرَ بالباقينَ مَن هُوَ ثائِرُ[٣١١]

العموم وتعظيم الأمر وتفخيمه متحققٌ في هذا الضرْب من التراكيب.

من هذا الباب في كلام العرب: "إلى أُمّه يَلْهَفُ مَنْ لَهِفَ"[٣١٢].

ومنه ما جرى عفوًا في مصنفات العلماء من نحو:

- "... وقد هلكَ من العرب مَنْ هلكَ بالموت والقتل"[٣١٣].
- "... كان أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن يتبين له يتكلم فيه غَضِبَ مَن غَضِبَ ورضي من رضي"[٣١٤].
- "... وأنه مظهر دينه رضي من رضي وسخط من سخط"[٣١٥].

ومنه ما تولّد على الألسنة وفي الكتابات المعاصرة موافقًا لطبع العربية:

- الهواتف الذكية أخطر ما تكون عَلِمَ ذلك من عَلِمَه وجهله من جهله.
- "ولقد مضى ما مضى منذ ترك الرافعي دنياه، فهل رأيت أحدًا منهم كتب شيئًا عنه يناله بالمدح أو المذمة؟"[٣١٦]... وهو بابٌ واسعٌ.

ثم لنا أن نقول: إنّ هذا النمط التركيبي هو الصورة الخام لفكرة (التداعي الاشتقاقي) بتكرار الفعل عبر وسيطٍ هو (الموصول)، ففيه دورانٌ حول (الفعل/ الحدث) بتكراره وإخفاء للذات بنسبة ما، دون التحول إلى صورة اشتقاقية كاسم الفاعل وما يلحق به. وهو- أي: اسم الفاعل- أكثر تخصيصا بحكم دلالته على الذات أو احتماله لها. وتبقى (ما) في هذا النمط أوغل إبهامًا مِن (مَنْ) الموصولة كما ذُكِرَ.

---

[٣٠٨] الجامع لأحكام القرآن: ٢٢/٨، ينظر، روح المعاني: ٢٠٥/٥. وينظر حاشية الطيبي على الكشاف: ١١٥/٧.

[٣٠٩] نسبه صاحب الصحاح، وصاحب اللسان (صبح) إلى الشاعر أَنس بن نُهَيْك، وورد فى خزانة الأدب منسوبًا لأنس بن مدركة الخثعمي . ينظر، خزانة الأدب: ٣/ ٨٨.

[٣١٠] البيت منسوب لكثير عزة ولغيره، ينظر، ديوان كثير عزة: ٥٢٥.

[٣١١] ديوانه: ١١٩.

[٣١٢] أساس البلاغة، لهف: ٣٦١/٢.

[٣١٣] طبقات فحول الشعراء: ٢٥/١.

[٣١٤] صفة الصفوة: ٢٠٧/٤.

[٣١٥] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٩٣/٣.

[٣١٦] حياة الرافعي: ٢١٧.

ب) إسناد الفعل إلى جامد من جنسه.

لم تعدم العربية بابًا في وشج الفاعل بمادة فعله إلا وسلكته تبتغي من وراء ذلك تمكين التوكيد في قرار مكين من الجذر المعجمي المتمدِّد في تركيب مكتفٍ بذاته الجذرية التي تَخَلَّقَ منها هذا المركَّبُ الإسناديُّ (الفعل وفاعله) تامُّ الفائدة.

ولم تكتفِ العربية أن يكون هذا المركَّب الإسنادي المنحني على ذاته مكوَّنًا من (فعل وفاعل مشتق من مادته) إذ فيه من طواعية الصوغ لغرض دلالي خاصّ ما يهوّن مخالفة مبدأ (التغاير) المذكور، بل أقدمت- كعادتها في الجسارة والإدهاش- على الإتيان بفاعل جامد متدرجة في ذلك من (المشتق المحض) إلى (الوصف المَشوب بالاسمية) حتى (اسم الجنس الجامد المرتجل)- وهو صميم الاسمية- إمعانًا في تطويع ما يُتوَهَّمُ فيه الاستعصاءُ على الإذعان لموقعية (الفاعل) المصوغ من مادة (الفعل) الصرفية على جهة التأكيد بانتزاع المعنى المشترك بينهما.

على أنَّ ذلك أهون في تحقيق الكثافة الدلالية المتحققة في حالة الفاعل المشتق من مادة فعله بحكم الترادف الذي لا شوب فيه، فضلا عن ازدواج دلالة الفاعلية صرفيًّا ونحويًّا.

بَيدَ أنَّ سبيل الاشتقاق هنا يبدأ من الاسم، هو اشتقاق من الجامد، إذ يشتق الاسم لنفسه فعلا من مادته ويتخذ موقع الفاعل لفِعْلٍ اصطنعه على عينه.

من شواهد هذا الباب قوله تعالى: **(أَوَ لَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ١٩٧)** [الشعراء: ١٩٧] وتكرار معنى الحدث (العِلْم) في الفعل (يعلمه) وفاعله (علماء) أكَّد ثبوت هذا العلم عندهم، ليُثبت من جهة أخرى جحودهم في الانقياد للحق وهو الإقرار بنبوة النبي محمد– ع–[٣١٧].

قوله تعالى: **(فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ)** [الأعراف: ١٦٩] وقوله تعالى أيضًا: **(فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ)** [مريم: ٥٩] والخلْف: هم الذين أعقبوهم، "ولا يكون الخَلْف إلا من الأشرار"[٣١٨] على الأشهر[٣١٩]. وقيل: هو مصدر "يقع على الواحد والجمع، وقيل: هو اسم جمع"[٣٢٠]، وهو- على ذلك- وثيق الصلة بفعله تقويةً لمعناه، ويزيد المعنى تقويةً قوله: "(مِنْ بَعْدِهِمْ)، "أي: من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة"[٣٢١]، إبرازًا للبون الكبير بين الفريقين.

---

[٣١٧] ينظر، معاني القرآن: ٢٧٨/٢.

[٣١٨] المحكم، خلف: ١٩٨/٥.

[٣١٩] جاء في [الجامع لأحكام القرآن: ٣١٠/٧]: "(الخَلف) بالفتح الصالح، وبالجزم الطالح". على أن هذا التفريق لم يخلُ من خلاف أوجزه الرازي في [مفاتيح الغيب: ٣٩٥/١٥، ٣٩٦]: "وحاصِلُ الكَلامِ: أنَّ مِن أهْلِ العَرَبِيَّةِ مَن قالَ: الخَلْفُ والخَلَفُ قَدْ يُذْكَرُ في الصّالِحِ وفي الرَّدِيءِ، ومِنهم مَن يَقُولُ: الخَلْفُ مَخْصُوصٌ بِالذَّمِّ؛ قالَ لَبِيَد:

وبَقِيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ

ومِنهم مَن يَقُولُ: (الخَلْفُ) المُسْتَعْمَلُ في الذَّمِّ مَأْخُوذٌ مِنَ الخُلْفِ، وهو الفَسادُ، يُقالُ: لِلرَّدِيءِ مِنَ القَوْلِ خُلْفٌ، ومِنهُ المَثَلُ المَشْهُورُ (سَكَتَ ألْفًا ونَطَقَ خَلْفًا)". ونبّه الخطابي في [غريب الحديث: ٥٤] أنه يقال "فلان خلَفُ صِدقٍ من أبيه، وخَلَفُ سَوْءٍ– متحركة اللام– فإذا لم تذكر خيرًا ولا شَرًّا قلتَ في الخير (خلَف)، وفي الشرّ (خلْفُ)".

[٣٢٠] روح المعاني: ٩٠/٩.

[٣٢١] ينظر، الكشاف: ١٥٢/١.

وأوغل من ذلك في وثاقة الاتصال المعنوي تأويله- أي: الخَلْف- على أنه "مصدر أُرِيدَ به اسمُ الفاعل، أي: خَالِف"[٣٢٢] مما يُعمِّق تكرار الحدث فيه ويزيده كثافة دلالية.

وقد يُحمل عليه أيضًا قوله تعالى: **(يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ)** [النور: ٣٧] فبرغم إشارة البلاغيين إلى أنّ علاقة (تتقلّب) و(القلوب) تجنيس لا اشتقاق[٣٢٣] لافتقاد الترادف، فإنّ في (القلوب) شوبَ وصفٍ، إذ يشير بعض أهل اللغة إلى أنَّ (القَلْب) سُمِّي "قَلْبًا لتَقَلُّبِه... وقال الشاعر [من البسيط]:

ما سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبه والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإنْسان أَطْوارَا"[٣٢٤]

هذا الشَّوْب الوصفيّ يتلَبّس بالفعل مؤكدًا حالة الفزع وعدم القرار إيغالًا في المعنى.

وقد نبَّه الرُّمَّاني على هذا الأصل في الآية الكريمة، فذهب إلى أنه جونس "بالقلوب التقلُّب, والأصل واحد, فالقلوب تتقلب بالخواطر... والأصل التصرف"[٣٢٥].

من هذا البحر في الحديث النبوي الشريف: "إنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ..."[٣٢٦]. و"... وَعَلَيْكُمْ بِالدَّلْجِ، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ، وَإِذَا تَغَوَّلَتْ لَكُمُ الْغِيلاَنُ، فَبَادَرُوا بِالأَذَانِ"[٣٢٧]. و"فذلك الذي سبَقَت له السَّوابِقُ"[٣٢٨].

من شواهد هذا الباب الساطعة في كلام العرب قولهم في الذم: لا دَرَّ دَرُّه، أي: لا زَكَا عَمَلُه، على المَثَلِ"[٣٢٩]. وهو تركيبٌ كثيرُ الدوران في الشعر، ومنه قول حسان بن ثابت [من الطويل]:

فَجَّعَنَا فَيروزُ لا دَرَّ دَرُّهُ بأبْيَضَ يَتْلُو المُحْكَمَاتِ مُنِيبِ[٣٣٠]

وقول الأحوص [من الطويل]:

---

[٣٢٢] التحرير والتنوير: ٣٣٩/٨.

[٣٢٣] كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر: ٣٢٢. كما أشار أبو هلال العسكري [المرجع السابق: ٣٢٣] إلى أنَّ قوله تعالى: (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) [النجم: ٥٧] من باب التجنيس لا الاشتقاق تعويلا على غلبة الاسمية على (الْآزِفَةُ)، بيدَ أنّ أهل اللغة من المفسرين ذهبوا في تحليلهم مذهبًا آخر كما بينَّا سابقًا. والخلاف نفسه نجده في مواضع أخرى مما غلبت عليه الاسمية وكان من مادة فعله، وهذا الخلاف مفهوم بحسب زاوية النظر ومنطلق التحليل عند كل فريق، وهي مساحة اشتباه في التركيب تغفر للفريقين اختلافهما.

[٣٢٤] تهذيب اللغة: ١٤٣/٩، وينظر، لسان العرب، قلب: ٢٧٤/١١.

[٣٢٥] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٠٠.

[٣٢٦] سنن الترمذي: ٤٣٤/٥.

[٣٢٧] مسند أحمد: ٣٠٥/٣. "(إذا تغوّلت لكم الغيلان)، أي: ظهرت وتلوّنت بصور مختلفة وهم جنس من الجن تزعم العرب أنها تتراءى للناس في الفلوات فتتلون في صور شتى فتغولهم، أي: تضلهم عن الطريق". [التيسير بشرح الجامع الصغير: ١٧١/١].

[٣٢٨] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣٢٦٩.

[٣٢٩] المحكم والمحيط الأعظم: ٣٦٣/٩. وجاء في [الكليات، فصل اللام: ٦٧٥]: "وكذا يقال في المدح: (لله دَرُّه) والدَّرّ في اللغة: اللبن وفيه خير كثير عند العرب فأريد الخير مجازا. ويقال في الذم (لا دَرَّ دَرُّه)، أي: لا كثر خيره".

[٣٣٠] ديوانه: ٢٧٣/١.

فما يبتغي بالشَّرِّ لا دَرَّ دَرُّهُ وفي بيتهِ مثلُ الغزالِ المُرَبَّبِ[٣٣١]

وقول المتنخّل [من البسيط]:

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أَطعَمتُ نازِلَكُم قِرفَ الحَتِيِّ وَعِندي البُرُّ مَكنوزُ[٣٣٢]

وقول الشاعر [من المنسرح]:

أَخَشْيَةَ المَوْتِ دَرَّ دَرُّكُمُ أَعْطَيْتُم القَوْمَ فَوْقَ مَا سَأَلُوا[٣٣٣]

وقول كُثَيِّر عزّة [من الطويل]:

فما أعيْفَ النَّهْديَّ لا دَرَّ دَرُّهُ وأزجرَهُ للطّيْرِ لا عَزَّ ناصِرُهُ[٣٣٤]

وقول ابن الرومي [من الطويل]:

وَمَا الحَسَبُ المورُوثُ- لا دَرَّ دَرُّه- بِمُحْتَسَبٍ إلّا بِآخَرَ مُكْتَسَبْ[٣٣٥]

ومن بحره أيضًا:

- قول ابن الدُّمَيْنة [من الطويل]:

متَى الدَّينُ يا أُمَّ العلاءِ فقد أَنَى أناهُ مؤدًى للغريمِ المُطالبِ[٣٣٦]

- قول الأعشى [من الطويل]:

فَإن كانَ هَذا حُكمُكُم في قَبيلَةٍ فَإن رَضِيَت هَذا فَقَلَّ قَليلُهَا[٣٣٧]

- وقوله [من الطويل]:

فما مِيتَةٌ إنْ مِتُّهَا غَيرَ عَاجِزٍ بعارٍ، إذا ما غَالتِ النّفسَ غُولُهَا[٣٣٨]

"والغُول المَنيّة"[٣٣٩]، أي: أهلكت النفسَ هَلكتُها أو مَنيَّتُها.

ونظيرها قول الشريف الرضيّ [من الخفيف]:

ما يُبالي الحِمامَ أَينَ تَرَقّى بَعدَما غالَتِ ابنَ فاطِمَ غُولُ[٣٤٠]

وقوله أيضًا [من الطويل]:

مَحَا بَعدَكُم تِلكَ العُيونَ بُكائُها وَغَالَ بِكُم تِلكَ الأَضالِعَ غُولُها[٣٤١]

وقوله [من الطويل]:

---

[٣٣١] شعر الأحوص الأنصاري: ١٠٥. المُرَبَّب: المُنَعَّم الذي لا يعمل شيئًا.

[٣٣٢] ديوان الهذليين: ١٥/٢. "يقول: لا رُزِقَتُ الدَّرُّ، كأنه قال لنفسه كالهازئ. وقِرْف كلِّ شيء ما قُرِفَ يعني قِشْره. والذي يُقلَع عنه يؤكل. والحَتِّي: المُقْل، وهو الذَّوْم".

[٣٣٣] البيت بلا نسبة في شرح نهج البلاغة: ٣٤٨/٣.

[٣٣٤] ديوانه: ٤٦٢. ما أعَيْفه: ما أمهره في العيافة وهي الزجر.

[٣٣٥] ديوانه: ١٥٠/١.

[٣٣٦] ديوانه: ٢٥. أنى أناهُ: حان وقت أدائه.

[٣٣٧] ديوانه: ١٧٧.

[٣٣٨] ديوانه: ١٧٧. غُولُها: ما يغتالها من الهلاك، وينظر، شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١٠٦٨/٣.

[٣٣٩] لسان العرب، غول: ١٤٦/١٠.

[٣٤٠] ديوانه: ١٦٣/٢.

[٣٤١] ديوانه: ١٦٠/٢.

وَلا ظَفِرَت مِنكَ اللَيالي بِفُرصَةٍ وَلا غالَ قَلبًا بَينَ جَنبَكَ غولُ[٣٤٢]

- قول طَرَفَة بن العبد [من الرّمل]:

وإذَا تَلْسُنُنِي أَلْسُنُها إنَّنِي لَسْتُ بمَوْهُونٍ فَقِرْ[٣٤٣]

في قوله (تَلْسُنُنِي أَلْسُنُها) طرافة اشتقاق، إذ الفعل منتزع انتزاعًا من مادة الاسم ، فكأنَّ الفعل هنا جاء لمضاعفة قدرة اللسان الذي جاء جمعًا للمبالغة في الفخر على الشاعر، فاستنفره ذلك للرد.

- قول الحارث بن حِلِّزة [من الخفيف]:

فَهَدَاهُمْ بِالأَسْوَدَيْنِ، وَأَمْرُ اللهِ بِلْغٌ يَشْقَى بِهِ الأَشْقِيَاءُ[٣٤٤]

وفي مجيء الفاعل هنا من مادة الفعل حسن تمثيل لمعنى من قُدِّر له الشقاء، فهو موسوم به في ذاته قبل إسناده للفعل، فليس الفعل ها هنا إلا إبداءً للقدَر المخطوط.

- قول ضمرة بن جابر الدارمي[٣٤٥] [من الكامل]:

وإذا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أدْعَى لَهَا وَإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ[٣٤٦]

- قول جَرادة بن عُميلة العنزي [من الكامل]:

أَنَّى اهتديتِ وكنتِ غَيْرَ دَليلةٍ شَهِدَتْ عليكِ بما فعلتِ شُهودُ[٣٤٧]

- قول أبي الشيص الخزاعي [من الكامل]:

أَجِدُ المَلاَمَةَ في هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِك فَلْيَلُمْنِي اللوّمُ[٣٤٨]

- قول البحتري [من الكامل]:

وَتَنَفَّسَت أَنفاسُ كُلَّ قَرارَةٍ وَتَغَنَّتِ الأَطيارُ في الأَفنانِ[٣٤٩]

- قول أبي تمام [من الطويل]:

---

[٣٤٢] ديوانه: ١٦٩/٢.

[٣٤٣] ديوانه: ٦٨. "يقول: إذا أخذتني بلسانها وفخرت عليّ، انتصرتُ لنفسي، وقابلتُها بمثل ذلك، لأنني قوي عزيز النفس، لا أحتمل الضيم وضعف النفس".

[٣٤٤] ديوانه: ٣٠. "معناه: هدى الله عمرو بن هند أصحابه وجمْعهم حين غزا بهم... وقوله (وَأَمْرُ اللهِ بِلْغٌ) معناه بالغٌ بالسعادة والشقاء، فمن كان سعيدًا بلغته السعادة، ومن كان شقيًّا بلغه الشقاء فيشقَى به" [شرح القصائد السبع الجاهليات: ٤٨٩، ٤٩٠].

[٣٤٥] هو ضَمْرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم شاعر جاهلي، ونُسِبَ إلى همام بن مرة أخي جساس بن مرة قاتل كليب، وقيل هو لزراقة الباهلي [خزانة الأدب: ٣٨/٢] ونُسبَ في [الحماسة البصرية: ٤٦/١] إلى الفُرْعُل الطائي، وتروى لهُنَيّ بن أَحْمَرَ الكِنَانيّ، جاهليّ.

[٣٤٦] خزانة الأدب: ٣٨/٢، وينظر، الحماسة البصرية: ٤٧/١. حاس الحَيْسُ: عمله. والحَيْسُ: تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن وتُسوّى كالثريد.

[٣٤٧] كتاب فحولة الشعراء: ١٥.

[٣٤٨] ديوانه: ١٠٢.

[٣٤٩] ديوانه: ٢٣٧٧. القرارة: القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر.

ألا فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ عُطِّلَتْ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ اللهِ وانثَغَرَ الثَّغْرُ[٣٥٠]

و(انثَغَرَ) من طريف اشتقاق أبي تمام مأخوذًا من فاعله الجامد (الثَّغرُ). والنقد الموجَّه لأبي تمام في وزن الفعل أنه ليس في كلام العرب[٣٥١] قد حَجَّر على الشاعر فطرته التوليدية التي تنتصر لقصده ومعناه.

وقوله أيضًا [من الكامل]:

بَحْرٌ مِن الأَحْزَانِ عَبَّ عُبَابُهُ وَلَقَدْ بَدَا وَشَلًا مِن الأَوْشَالِ[٣٥٢]

- قول أحمد شوقي [من الخفيف]:

وَدَوِيًّا كَما تَأَهَّبَتِ الخَيـ ـلُ وَهاجَت حُماتَها الهَيجاءُ[٣٥٣]

- قول الشاعر [من الطويل]:

لِيَبْكِ يَزِيدَ ضارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوائِحُ[٣٥٤]

"وطَوَّحَتْه الطَّوائِح: قَذَفَتْه القَواذِفُ"[٣٥٥]، "والطَّائِحُ المُشرِفُ على الهلاك... وطَوَّحَتْهم طَيْحاتٌ: أَهلكتهم خُطوبٌ"[٣٥٦]. وظاهرٌ تكرار الحدَث في فاعله إيغالًا في معنى الهلاك، وفي ذلك تمجيدٌ للممدوح الذي يُغيث مَن أصابته شدة السنين.

ونظير هذا التركيب (الفعل + فاعل من مادته على وزن "فواعل" أو ما يماثله صوتيًّا) سائرٌ في الشعر[٣٥٧]، ومنه:

قول النابغة الذبياني [من الوافر]:

عَدَتْنَا مِن زِيَارَتِها العَوَادِي وحَالَتْ بَيْنَنَا حَرْبٌ زَبُونُ[٣٥٨]

قول أوس بن حَجَر [من الطويل]:

---

[٣٥٠] ديوانه: ٤/٨٠.

[٣٥١] ديوانه: ٤/٨٠.

[٣٥٢] ديوانه: ٣/١٣٣. العُبَابُ: مُعْظَمُ السَّيْلِ أو المَوْج.

[٣٥٣] ينظر، المرجع السابق، هامش (٢): ١/١٦٩. "ذكر ابن المستوفى ما قاله ابن عمار في نقد هذا البيت. قال ابن عمار: وليس في كلام العرب (انثغر) إنما يقولون (اثغر) ولو كان مصيبًا في اللفظ لكان قد أبعد التشبيه وخرج عن المعنى".

[٣٥٤] نُسب البيت في [الكتاب: ١/٢٨٨] إلى الحارث بن نَهيك، كما نُسِب في [خزانة الأدب: ١/٣٠٩] إلى نهشل بن حرّيّ. وورد منسوبًا إلى مهلهل بن ربيعة في [ديوانه: ٢٣]. الضارع: الذليل السائل. المختبط: طالب المعروف. والمراد: أنَّ يزيد كان ملجأ للأذلاء والفقراء، فوصفه الشاعر بالنصر والكرم للذليل وطالب المعروف إذ يقصده الضارع للخصومة ويلتجيء إليه المختبط إذا أصابته شدة السنين.

ويروى البيت ببناء الفعل (لِيُبْكَ) للمجهول ورفع (يزيدُ) على أنه نائب فاعل.

[٣٥٥] لسان العرب، طوح: ٨/٢١٦.

[٣٥٦] المرجع السابق، طيح: ٨/٢٣٧، وينظر، شرح المفصل: ١/٢١٥.

[٣٥٧] وكذا النثر كما يأتي.

[٣٥٨] ديوانه: ٢١٨.

ما ينهَضُ البازي بِغيرِ جَنَاحِهِ ولا يَحْمِلُ المَاشِينَ إلاَّ الحَوَامِلُ[٣٥٩]

وقول عمرو بن برَّاقة الهَمْداني [من الطويل]:

ومَن يطلبِ المالَ الممنَّعَ بالقَنَا يَعِشْ ماجدًا أو تَخْترِمْه الخوارمُ[٣٦٠]

جاء في اللسان: "واخْتَرَمَهُم الدهرُ وتَخَرَّمَهُم أَي: اقتطعهم واستأصلهم. ويقال: خَرَمَتْهُ الخَوارمُ إذا مات"[٣٦١]. كأنه قيل: (أهلكَتْه المهالك).

وقول المخضع القيسي [من الطويل]:

مَنْ يَبْتَدِعْ خُلْقًا سِوَى خُلْقِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ فَتُرْجِعْهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ[٣٦٢]

ونظيره في التركيب قول عبيد السلاميّ [من الطويل]:

ولكن أُواسيهِ وأنسَى ذنوبَه لترجعَه يومًا إليَّ الرَّواجعُ[٣٦٣]

وقول المُرَقَّش الأكبر [من الطويل]:

ذَكَرْتُ بها أسماءَ لو أَنْ وَلْيَها قَرِيبٌ ولكنْ حَبَسْتْنِي الحَوابسُ[٣٦٤]

وقول الفرزدق [من الكامل]:

أولَئِكَ آبائي فَجِئني بِمِثلِهِم إذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المَجامِعُ[٣٦٥]

وقول كثيِّر عزة [من الطويل]:

جزتكَ الجَوَازِي عن صديقِكَ نضرةً وأدناك ربّي في الرّفيقِ المُقرّبِ[٣٦٦]

وقول جميل بثينة أيضًا [من الطويل]:

جَزَتْكِ الجَوازِي يا بُثَينَ سَلامَةً إذا ما خَليلٌ بانَ وَهُوَ حَميدُ[٣٦٧]

وقول ذي الرُّمّة [من الطويل]:

إذا سرحتْ من حبّ مَيّ سوارحٌ على القلبِ وافته جميعًا غرائبُه[٣٦٨]

وقول "سلمان بن محيي اليولان [من الطويل]:

إنّا لتحتلُّ الفضاءَ بيوتُنا إذا زَعْزَعَتْ مولَى الذليلِ الزعازعُ"[٣٦٩]

وقول ليلى الأخيليَّة [من الطويل]:

أَقْسَمْتُ أَرْثِي بَعْدَ تَوْبَةَ هالكًا وأَحْفِلُ مَنْ دارَتْ عَلَيْهِ الدَّوائِرُ[٣٧٠]

وقولها أيضًا [من الطويل]:

---

[٣٥٩] ديوانه: ٩٩.

[٣٦٠] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٨/١.

[٣٦١] لسان العرب، خرم: ٧٧/٤، وينظر، أساس البلاغة، خرم: ٢٢٦/١.

[٣٦٢] شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ٧٥٧/٤.

[٣٦٣] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٧٦/١.

[٣٦٤] المفضليات: ٢٢٥. وليها: حيث تولت وذهبت.

[٣٦٥] شرح ديوان الفرزدق: ٧٢/٢.

[٣٦٦] ديوانه: ٢٦٤.

[٣٦٧] ديوانه: ٣٨.

[٣٦٨] ديوانه: ٨٣٣/٢.

[٣٦٩] أساس البلاغة، زعزع: ٣٩٩/١. الزعازع: الشدائد.

[٣٧٠] ديوانها: ٤٠.

عَلَى مِثْلَ هَمَّامٍ ولابنِ مُطَرِّفٍ لتَبْكِ البَوَاكِي أو لبِشْرِ بْنِ عامِرِ[٣٧١]

وقول بثينة لما بلغها وفاة جميل [من الطويل]:

وإنَّ سُلُوّي عن جميلٍ لَساعَةٌ من الدهر ما حانَتْ ولا حَانَ حينُهَا[٣٧٢]

وقول حُمَيد بن ثور الهلالي [من الطويل]:

وقد كنتُ في بعضِ الصَّباوة أتَّقي أمورًا وأخشَى أن تدورَ الدَّوائرُ[٣٧٣]

وقول كثير عزة [من الطويل]:

أَمِنيّ صَرَمتِ الحَبلَ لَمّا رَأَيتني طَريدَ حُروبٍ طَرَّحَتهُ الطَوارِحُ[٣٧٤]

قول أبي فراس الحمداني [من الطويل]:

أَذاقَ العَلاءَ التَغلِبِيَّ وَرَهطَهُ عَواقِبَ ما جَرَّتْ عَلَيهِ الجَرائِرُ[٣٧٥]

وقول البحتري [من البسيط]:

تَروحُ بِالوابِلِ الداني رَوائِحُها عَلى رُبوعِكِ أَو تَغدو غَوادِيهَا[٣٧٦]

لَولا سَوادُ عِذارٍ لَيسَ يُسلِمُني إِلى النُهى لَعَدَت نَفسي عَوادِيهَا[٣٧٧]

وقول الشريف الرضيّ [من الكامل]:

طاحتْ بتلكَ المكرماتِ طوائحٌ وَعَدَتْ على ذاكَ الجوادِ عَوادي[٣٧٨]

– قول الشاعر [من الطويل]:

إذا وَرَدتْ ماءً عَلَتْهَا زِجاجُها وتَعلو عَواليها إذا الرّوعُ أَنْجَمَا[٣٧٩]

وينزل منزلة الفاعل نائبُه، كقول الشمَّاخ [من البسيط]:

إذا اِستَهَلّا بِشُؤبوبٍ فَقَد فُعِلَتْ بِمَا أَصَابَا مِنَ الأَرضِ الأَفاعيلُ[٣٨٠]

واشتقاق الفاعل من مادة فعله في كل ذلك إيغال في المعنى.

وقول أبي تمام [من الطويل]:

تُطِلُّ الطُلولُ الدَمعَ في كُلّ مَوقِفٍ وَتَمثُلُ بِالصَبرِ الدِيارُ المَواثِلُ[٣٨١]

فَقَد سَحَبَت فيها السَحائِبُ ذَيلَها وَقَد أُخمِلَت بِالنورِ فيها الخَمائِلُ[٣٨٢]

---

[٣٧١] ديوانها: ٦٠.

[٣٧٢] خزانة الأدب: ٣٩٨/١.

[٣٧٣] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٤١/١.

[٣٧٤] ديوانه: ١٨٢. وجاء في تعليق المحقق (١١): "صَرَمتِ الحَبلَ: قطعته، طَرّحته: كذا في منتهى الطلب، والأصوب (طوَّحته)– كما في السمط– (الطوائح): أي ذهبت بع هنا وهناك وتوهته، وقذفته القواذف".

[٣٧٥] ديوانه: ١١٥.

[٣٧٦] ديوانه: ٢٤١٥. الروائح: الأمطار والسحب التي تجيء رواحًا، واحدتها الرائحة. وتقابلها الغوادي وهي السحب التي تنشأ غدوة أو مطرة الغداة، واحدتها غادية. الوابل: المطرالشديد.

[٣٧٧] ديوانه: ٢٤١٥. العذار: جانب اللحية. النهى: العقل. عدت نفسي: ظلمت نفسي. العوادي: صروف الدهر وعوائقه.

[٣٧٨] ديوانه: ٤٢٥/١.

[٣٧٩] البيت بلا نسبة في أساس البلاغة، نجو: ٤٢٥/٢.

[٣٨٠] ديوانه: ٢٧٩. "إذا استهلا بشؤبوب: إذا اشتد عدوهما، مستعار من استهلال المطر، وهو شدة انصبابه، والشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره، والمراد هنا: الدفعة من العدو. ومعنى: فقد فعلت...: أنهما [أي: الظليم والنعامة] تؤثران في الأرض بأظلافهما من شدة العدو فيخددانها".

[٣٨١] ديوانه: ١١٣/٣. وينظر، شرح مشكلات ديوان أبي تمام: ٧١.

مِنَ البيضِ لَم تَنضُ الأَكُفُّ كَنَصلِهِ وَلا حَمَلَت مِثلًا إِلَيهِ الحَمائِلُ[٣٨٣]

وقوله أيضًا [من الطويل]:

إِذا ما اِمرُؤٌ أَلقى بِرَبعِكَ رَحلَهُ فَقَد طالَبَتهُ بِالنَجاحِ مَطالِبُه[٣٨٤]

وقول البحتري [من الخفيف]:

باكَرَتنا بَواكِرُ الوَسمِيِّ ثُمَّ راحَت وَأَقبَلَت بِالوَلِيِّ[٣٨٥]

ومن هذا الباب في النثر:

- "قولهم: جَزَتكَ عَنِّي الجوازي"[٣٨٦] معناه: "جَزَتكَ جوازي أفعالِكَ المحمودة، وحقوقِكَ الواجبة، والجوازي معناها الجَزاءَ: جمع الجازِية مَصْدَر على (فاعِلة)"[٣٨٧].
- "ومن المجاز:... وأردتُ أن أزورَك فخلجني بعضُ الأشغال. وخلجتني الخوالجُ. وخالجني هَمٌّ"[٣٨٨].
- "والجَوالِبُ: الآفَاتُ والشَّدَائِدُ، وفي الأَساس: ومنَ المَجَاز: جَلَبَتْه جَوالِبُ الدَّهْرِ"[٣٨٩].
- "ودارت به دوائر الزمان، أي: صروفه"[٣٩٠]. والدائرة: النازلة أو المصيبة. وما زال هذا التركيب حيًّا في العربية المعاصرة في مثل قولهم: "دارت على (فلان) الدوائر: انقلب الحال، تغيَّر الوضع"[٣٩١].
- "وَخَرَمَتْهُ الْخَوَارِم، إذا مات"[٣٩٢].
- "يقال: قَرَعَتْهُم قَوارِعُ الدهر، أي: أصابَتْهم وفَجَأَتْهُم"[٣٩٣].
- يقالُ: "عَدَتْ عَوادٍ عن كذا، أَي: صَرَفَتْ صَوارِفُ"[٣٩٤].
- "يقالُ: عاقتني عما أردتُ العوائقُ، ومنعتني الموانعُ، وحالتني الحوائلُ،... وحجزتني الحواجزُ، وصدفتني الصوادفُ"[٣٩٥]، "ويقالُ: أفكتني الأوافكُ، ولفتتني اللوافتُ، وشجرتني الشواجرُ"[٣٩٦]، و"يقال: نكبَتْهُ النكبَاتُ"[٣٩٧]، و"غالتْهم أغوالُ القدَر،... ولَحَظَتْهم لواحظُ الغِيَرِ"[٣٩٨].

---

[٣٨٢] ديوانه: ١١٤/٣.

[٣٨٣] ديوانه: ١١٩/٣.

[٣٨٤] الحماسة المغربية: ٣٢٨.

[٣٨٥] ديوانه: ٢٤٥١. الوسمي: أول المطر.

[٣٨٦] تهذيب اللغة: ١٠١/١١. وينظر، أساس البلاغة، جزي: ١٢٣/١.

[٣٨٧] المرجع السابق: ١٠١/١١. وينظر، أساس البلاغة، جزي: ١٢٣/١.

[٣٨٨] أساس البلاغة، خلج: ٢٤٥/١.

[٣٨٩] تاج العروس، جلب: ١٧٣/٢. وينظر، أساس البلاغة، جلب: ١٢٨/١.

[٣٩٠] أساس البلاغة، دور: ٢٨٧/١.

[٣٩١] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ١٩٦.

[٣٩٢] أساس البلاغة، خرم: ٢٢٦/١.

[٣٩٣] تاج العروس، قرع: ٥٤٥/٢١.

[٣٩٤] أساس البلاغة، عدو: ١٠٣/٢، وينظر، الألفاظ الكتابية: ٥٩.

[٣٩٥] الألفاظ الكتابية: ٥٩.

[٣٩٦] المرجع السابق: ٥٩.

- قول الإمام علي- كرَّم الله وجهه- لمَّا بلغه مقتل الأشتر النخعي: "... وعلى مثلك فلتبكِ البواكي"[٣٩٩].
- يقال: "ثَكِلَتَكَ الثَّوَاكِلُ"[٤٠٠]. "دعاء عليه وهو جمع ثاكلة... أي: ثَكِلَتَكَ نساؤك"[٤٠١]، ومنه قول الإمام علي- كرم الله وجهه-: "ثَكِلَتَكَ الثَّوَاكِلُ يا عقيلُ"[٤٠٢].
- "دالت له الدولة. ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوّهم: جعل الكرّة لهم عليه... وتقول دَوَالَيْكَ أي: دالت لك الدولة كرّة بعد كرّة"[٤٠٣].
- "وهؤلاء صاغيةُ فلان: قومُه الذين يميلون إليه... وصَغَتْ إلينا صاغيةٌ من بني فلان"[٤٠٤]. ومعنى الميل المتكرر في الفعل وفاعله بارز لا يخفى.
- "ومن المستعار: قولهم لمن مرّ في كلامه فأكثر: قد عَبَّ عُبَابُهُ"[٤٠٥].
- "وأَفْرَصَتْهُ الفُرْصَةُ: أَمْكَنَتْهُ"[٤٠٦].
- "ابن الأعرابي: يقال: لا آتيك ما سَمَرَ السَّمِيرُ. وهم الناس يسمرون بالليل"[٤٠٧].
- "حان حِينُه: جاء وقته"[٤٠٨]، "ويقال: حان حِينُهُ، وللنَّفْس قد حَانَ حِينُها إذا هلكت"[٤٠٩].
- "ويقال: غالَتْه غُولٌ، إذا وقع في مهلكة"[٤١٠].
- "آنَ أَيْنُك وإينُك وآنَ آنُك، أَي: حانَ حينُك"[٤١١]، وكلاهما اسم للزمان. وما زال منه في الاستعمال المعاصر: (آنَ الآوانُ)، و(آنَ آوانُ الجِدّ)، وقد قيل: (من مات أقرانُه فقد آنَ أوانُه).

ومما جرى عَفْوًا على أقلام العلماء في مصنفاتهم قديمًا وحديثًا:

- قولهم (إذا دَلَّ عليه دليلٌ)، إذ يكثر استعماله في مصنفات المفسرين والشُّرَّاح.

---

[٣٩٧] المرجع السابق: ١٧٦.

[٣٩٨] المرجع السابق: ١٧٦.

[٣٩٩] شرح نهج البلاغة: ٢٣٥/١٦.

[٤٠٠] أساس البلاغة، ثكل: ٩٦/١.

[٤٠١] شرح نهج البلاغة: ٢٤٧/١١.

[٤٠٢] المرجع السابق: ٢٤٥/١١.

[٤٠٣] أساس البلاغة، دول: ٢٨٨/١.

[٤٠٤] المرجع السابق، صغو: ١٨/٢. ولو حُمِلَت (صاغية) على الاسمية بطريق (تاء النقل) من (صاغٍ) كـ(طائفة) من (طائف) ما جافينا الصواب.

[٤٠٥] أساس البلاغة، عبب: ٩٥/٢.

[٤٠٦] المرجع السابق، فرص: ١٩٥/٢.

[٤٠٧] تهذيب اللغة: ١٦٥/٥.

[٤٠٨] أساس البلاغة، حين: ٢١٠/١.

[٤٠٩] تهذيب اللغة: ٢٩٢/١٢.

[٤١٠] لسان العرب، غول: ١٤٧/١٠.

[٤١١] المرجع السابق، أين: ٢٩١/١.

- "ذكر في هذه الأبيات ما تدور عليه دوائر الأيام، وصروف الأزمان"[٤١٢].
- "لا يخفى عليه الخفيّات"[٤١٣].
- "... إلى أنْ آنَ أوانُه وحَانَ إبَّانُه فشمّرت عن ساعد الاجتهاد واستعملت الجد في تحصيل ذلك المراد"[٤١٤].
- "تَنَافَسَ الْعُلَمَاءُ وَتَفَاضَلَ الْفُضَلَاءُ"[٤١٥].
- "إلى أنْ نبَغت فيهم نوابغُ الخروج على السنَّة"[٤١٦].
- "رَوَى الرواةُ أَن رَوْح بْنَ زِنْباع كَانَ تزوَّج هندَ بِنْتَ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِير..." [٤١٧].
- "على أن من الحق أن ابن السراج قد ذكر في سياق حديثه... بعضًا مما عرف من بعدُ بأصول النحو بمعنى أدلته التي تأصَّلت بها أصولُه، وتَفرَّعَت فروعُه"[٤١٨].

ومن أشهر هذه التراكيب في العربية المعاصرة: (على الباغي تدور الدوائر)[٤١٩]، وهو منتزع انتزاعًا من قول الشاعر [من الطويل]:

قَضَى اللهُ أنَّ البَغْيَ يَصْرَعُ أَهْلَه وأَنَّ عَلَى البَاغِي تَدُورُ الدَّوَائِرُ[٤٢٠]

وجاء في (شرح نهج البلاغة): (وإنَّ عَلَى البَاغِي تَدُورُ الدَّوَائِرُ). والدائرة: الهزيمة، والدوائر أيضًا: الدواهي[٤٢١].

ويُحمل على هذا الباب المصدر المضاف إلى فاعله، نحو (لومة لائم) في قوله تعالى: **(وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ)** [المائدة: ٥٤]، أي: "لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض"[٤٢٢]، و"(لومة): مصدرٌ مضافٌ لفاعله في المعنى"[٤٢٣]. وكذا (عمَلَ عامِلٍ) في قوله تعالى: **(فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ**

---

[٤١٢] شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١٢٠٩/٣.

[٤١٣] أمالي الشريف المرتضى: ٣٩/١.

[٤١٤] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ٢/١.

[٤١٥] الفروق، للقرافي: ٦٢.

[٤١٦] الاعتصام: ١٤/١.

[٤١٧] لسان العرب، هجن: ٤٣/١٥.

[٤١٨] أصول النحو العربي: ١٩، ٢٠.

[٤١٩] لم أقف في معجمات التعابير الاصطلاحية المعاصرة على هذا التعبير رغم شيوعه.

[٤٢٠] البيت بلا نسبة في صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٣٤٨/١٣.

[٤٢١] ينظر، شرح نهج البلاغة: ١٤٤/١٧.

[٤٢٢] الكشاف: ٦٨١/١، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣١٣٤. وظاهرٌ هيمنة التداعي الاشتقاقي على الجمل التفسيرية.

[٤٢٣] الدر المصون: ٣١٢/٤. وقد نبَّه الطاهر على أنَّ (اللومة) هي "الواحدة من اللوم. وأريد بها هنا مطلق المصدر، كاللوم، لأنها لما وقعت في سياق النفي فعمَّت زال منها معنى الوحدة كما يزول معنى الجمع في الجمع المعمم بدخول (أل) الجنسية لأن (لا) في عموم النفي مثل (أل) في عموم الإثبات، أي: لا يخافون جميع أنواع اللوم من جميع اللائمين" [التحرير والتنوير: ١٣٧/٥].

أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ) [آل عمران: ١٩٥]. و(شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) في قوله تعالى: **(فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ٤٨)** [المدثر: ٤٨].

ومنه قوله- ع-: "وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِيَ اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لاَ يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ"[٤٢٤].

من هذا البحر قول أبي حَيَّة النُّمَيْرِيّ [من الطويل]:

أرَى خيرَ يَوْمَيَّ الخسيسَ وإنْ غلا بيَ اللّومُ لمْ أحفلْ ملامةَ لائمِ[٤٢٥]

وقول عبد الله بن الزَّبير الأسَدِيّ [من الوافر]:

سَمِعْتَ بُكاءَ بَاكِيَةٍ وَبَاكٍ أبَانَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الفَقِيدَا[٤٢٦]

قول سليمى بنت المهلهل ترثي أباها [من الطويل]:

أَعَينَيَّ إن تَفنَى الدُموعُ فَأَوكِفا دِماً بِإِرفِضاضٍ عِندَ نَوحِ النَوائِحِ[٤٢٧]

وقول منصور النمري [من الكامل]:

يَمضي مِنَ الحَلَقِ المُضاعَفِ نَسجُهُ وَمِنَ الحُشاشَةِ قَبلَ نَزعِ النازِعِ[٤٢٨]

وقول منظور بن مرثد [من الرجز]:

أَزْمانَ عَيْناءُ سُرورُ المَسْرورْ عَيْناءُ حَوْراءُ منَ العينِ الحِيرْ[٤٢٩]

وقول الشاعر [من المتقارب]:

عملتُ بها في نجاة المَدين وأعمَلُ في توبةِ التَّائبِ[٤٣٠]

ومن الشائق أن نجد هذا السيل من المتداعيات في قول ابن الرومي [من الطويل]:

فتُلفَى الدلافينُ الكريمُ طباعُها هناك رِعالاً عند نَكبِ النواكبِ[٤٣١]
وما أنا بالراضي عن البَحْرِ مَرْكَبًا ولكنني عَارضتُ شَغْبَ المشاغبِ[٤٣٢]
وَأَجْدَى مِن التَعْنيفِ حُسْنُ معونةٍ برأيٍ ولِينٍ من خطابِ المُخَاطبِ[٤٣٣]
وما اعتَقَلَتْنِي رغبةٌ عنك يَمَّمت سواك ولكن أيُّ رِهبةِ راهبِ[٤٣٤]

كأني أرى بالظعن طَعْنَ مُطاعِنٍ وبالضرب في الأقطار ضَربَ مُضَارِبِ[٤٣٥]

وقول المتنبي [من الكامل]:

---

[٤٢٤] سنن البيهقي الكبرى: ١٥٦/٩.

[٤٢٥] شعر أبي حية النميري: ٨٩.

[٤٢٦] الحماسة المغربية: ٨٤٠.

[٤٢٧] ديوان مهلهل بن ربيعة: ١٠١.

[٤٢٨] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٤٤/٢.

[٤٢٩] أدب الكاتب: ٦٠٠.

[٤٣٠] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٣٦/٢.

[٤٣١] ديوانه: ٢١٧/١.

[٤٣٢] ديوانه: ٢١٧/١.

[٤٣٣] ديوانه: ٢١٨/١.

[٤٣٤] ديوانه: ٢٢٢/١.

[٤٣٥] ديوانه: ٢٢٢/١.

عَذْلُ العَواذِلِ حَولَ قَلبِ التائِهِ وَهَوى الأَحِبَّةِ مِنهُ في سَودائِهِ[٤٣٦]

ومنه قول الإمام علي- رضي الله عنه-: "اللهم فارحم أنين الآنّة، وحنين الحانّة!"[٤٣٧].

ومنه في الاستعمالات الدارجة أيضًا: "بقدرةِ قادر: بقوة خفية، دون توقع، على غير المألوف، بصورة عجيبة"[٤٣٨].

ومنه في الاستعمال المتداول: (بفعلِ فاعل) و(تطبيع المطبّعين) و(مكر الماكرين) و(كيد الكائدين) و(إرشاد المُرشد) و(تحقيق المحقّقين) و(قضاء القاضي)... وغير ذلك كثير من المستعمل ومما يتولَّد في الكتابات المعاصرة.

واضحٌ أنَّ البيئة الفعلية هي الموطن الأصيل الخصب للمتداعيات الاشتقاقية، إذ الاشتقاق بابه الفعل الذي ينسلّ منه مشتقاته الوصفية، لأنه مركز الدلالة في هذه الظاهرة التركيبية الاشتقاقية الخصبة، فالأصل الابتداء بالفعل وقد يتقدّم الاسم عليه فيتوسّط الفعل بين الاسم المشتق (المبتدأ) وضميره المستكِنّ في الفعل، ومن شواهده:

- قول النابغة الذبياني [من الوافر]:

بِتَبْلٍ غَيْرِ مُطَّلَبٍ لَدَيْها ولكِنَّ الحَوائنَ قد تَحِينُ[٤٣٩]

- قول عبدة بن الطبيب [من الكامل]:

ومَقَامُ أَيامٍ لَهُنَّ فَضِيلةٌ عندَ الحِفِيظَةِ والمَجامِعُ تَجْمَعُ[٤٤٠]

---

[٤٣٦] شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: ٣/٣١٣.

[٤٣٧] شرح نهج البلاغة: ٧/٢٦٢.

[٤٣٨] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ٩٩.

[٤٣٩] ديوانه: ٢١٨. الحوائن: النوازل.

[٤٤٠] المفضليات: ١٤٦. الحفيظة: الغضب.

- قول الأعشى [من الطويل]:

وأَحْمَدْتَ أَنْ أَلْحَقْتَ بِالأَمْسِ صِرْمَةً لَهَا غُدُرَاتٌ واللَّواحِقُ تَلْحَقُ[٤٤١]

- قول الفرزدق [من الطويل]:

لآتيَ مِنْ آلِ المُهَلَّبِ ثَائِرًا بأعْرَاضِهَا، والدّائِرَاتُ تَدُورُ[٤٤٢]

- وقوله أيضًا [من الطويل]:

وَقَائِمَةٍ قامَت فَقالَت لِنائِحٍ تَفيضُ بِعَينَيهِ الدُموعُ السَّوَاجِمُ[٤٤٣]

- قول عبيد بن أيوب العنبري [من الطويل]:

وَلا تَخْذُلِ المَوْلَى إذا ما مُلِمَّةٌ أَلَمَّتْ وَنازِلْ فِي الوَغَى مَنْ يُنازِلُهْ[٤٤٤]

من هذا البحر قوله- ع-: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ"[٤٤٥]. وفي هذا التركيب أرحام شتى موصولة، إذ يتوسط فعل الرحمة بين مبتدأ من جنسه وضمير مفعول يعود على المبتدأ، فإذا رددناه إلى أصله الظاهر عاد موصولَ الرحم الجذريّ بفعله، ثم يتلوه فاعلٌ هو (الرحمن) والرحمةُ شُجنةٌ منه في هيمنة كاملة لتراحمية العربية معجميًّا وتركيبيًّا وصوتيًّا وصرفيًّا ودلاليًّا وبيانًا خالصًا لصميم هذا المعنى.

وعلى نحوِ ما توسطت (ما) بين فعلين فيما سبق، كذا جاءت بين ضميرين- والضمير من أقسى صور الجمود اللغوي- إيغالا في الإبهام وتناهيًا في المعنى، كقول ذي الرُّمَّة [من الطويل]:

وَمَا الْفُحْشُ مِنْهُ يرهبون وَلَا الْخَنَا عَلَيْهِم وَلَكِن هيبةٌ هِيَ مَا هِيَا[٤٤٦]

ففي قوله (هِيَ مَا هيا) "تعجبٌ من عظيم هيبته"[٤٤٧].

في هذه التراكيب جميعًا صفاء تنغيم وسهولة توليد وطواعية ترتيب تضمن لها انقيادًا للمعنى على أي وجه أراده اللسان المبين بوحدات تركيبية صافية الجذر طيعة النمط، فنجت بذلك من آفة جمود القالَب الذي أصاب غيرها كالتعابير الاصطلاحية والأمثال[٤٤٨] وإن دخلت هي- أي المتداعيات الاشتقاقية- في بعضها ليشرق بها وجه المعنى، فكفلت لنفسها بذلك تماسُك البناء وجدة البيان معًا.

ج) إسناد الفعل إلى جنس مصدره.

يُسند الفعل إلى مصدره على جهة المجاز العقلي، وينهض هذا المركب المجازي على فعلٍ أَنْسَلَ فاعلَه المصدري من مادته، ليصيرَا لُحمة واحدة في أداء المعنى، وشاهده النماذجي قول تأبط شرًّا [من الطويل]:

إذا المَرءُ لَم يَحتَلْ وَقَد جَدَّ جِدُّهُ أَضاعَ وَقاسى أَمرُهُ وَهوَ مُدبِرُ[٤٤٩]

"(جَدَّ جِدُّه): أي: ازداد جِدُّه جِدًّا"[٤٥٠]، تأكيدًا للمعنى وإغراقًا في الدلالة.

---

[٤٤١] ديوانه: ٢٢٣. غدرات جمع غُدْرَة، وهو ما بقي من الشيء. اللواحق جمع لاحقة، وهو الثمر بعد الثمرة الأولى.

[٤٤٢] ديوانه: ٣٣٨/١.

[٤٤٣] ديوانه: ٥٠٨/٢.

[٤٤٤] شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١١٥٧/٣.

[٤٤٥] سنن الترمذي: ٣٢٣/٤.

[٤٤٦] ديوانه: ١٣١٥/٢.

[٤٤٧] المرجع السابق، هامش (٣): ١٣١٥/٢.

[٤٤٨] أقول أيضًا: لكلٍّ بلاغته وحاجته عند المتكلم.

[٤٤٩] ديوانه: ٨٦.

ونظيره قول ابن ميَّادة [من الطويل]:

فَواللهِ ما أَدري أَيَغْلِبُني الهَوى إذا جَدّ جِدُّ البَينِ أَم أَنا غالِبُه[٤٥١]

فقوله (إذا جَدّ جِدُّ البَينِ): أي: ازداد جِدُّه جِدًّا، كأنه يظهر من جلية أمره ما يزول اللَّبْس والشبهة معه[٤٥٢].

وقد تكرر هذا التركيب كثيرًا على ألسنة الشعراء، ومنه قول ذي الرُّمَّة [من الطويل]:

فأيقنتُ أنَّ الجِدَّ قدْ جَدَّ جِدُّهُ وأنَّ التي أرجو منَ الحيِّ لا هِيَا[٤٥٣]

وقول ابن الرومي [من الطويل]:

وَلَمَّا رأيتُ البَينَ قد جَدَّ جَدُّه وقد قُرِنَتْ للبينِ عشرُ سفائنِ[٤٥٤]

وقول أبي فراس أيضًا [من الطويل]:

سَيَذكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُم وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ[٤٥٥]

وأصل المعنى في هذا ونحوه على التسمية بالمآل[٤٥٦]، فمبتدأ الكلام: "صار غير الجِدّ جِدًّا[٤٥٧] بمآله، وهذا كما يقال: (رِيعَ رَوْعُه)، و(خرجت خوارجُه)، و(جُنَّ جنونُه)... وإنما هو: (رِيعَ أمنُه)، و(خرجت دواخله)"[٤٥٨]... وعليه سائر هذا الباب قياسًا سويًّا.

فعلى ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي [من الطويل]:

رَآها الفُؤادُ فَاستَضَلَّ ضَلالُهُ نِيافًا مِنَ البيضِ الحِسانِ العَطابِلِ[٤٥٩]

(استُضِلَّ ضَلالُهُ): استزيد ضلالُه، أي: زيدَ ضلالُه ضلالًا، كأنه لما تَفَكَّرَ في محاسنها وتقصَّاها ازداد بها وَلوعًا، فجعل ذلك استضلالا للضلال، والأصل: (استُضِلَّ رشادُه) فسمِّيَت بما آلت إليه كـ(خرجت خوارجُه) والمعنى (دواخلُه)[٤٦٠].

البناء للمجهول هنا مما يلفت، إذ فيه معنى الطلب الذي يَؤُول إلى المطاوعة[٤٦١]، و"المطاوعة هي انفعال في المفعول يكون له قابلية للواقع به، فيتأثر له"[٤٦٢]، وهو المعنى المتحقق هنا، إذ المعنى:

---

[٤٥٠] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، المجلد الأول: ٧٥/١، وخزانة الأدب: ٥٠٤/٧.

[٤٥١] شعر ابن ميادة: ٧٣، وينظر، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، المجلد الثاني: ١٣٣٤/٤.

[٤٥٢] ينظر، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، المجلد الثاني: ١٣٣٤/٤.

[٤٥٣] ديوانه: ١٣٠٥/٢. يقول الأصمعي: "(لا هِيَا)، أي: ليست هي، لا تلك الخَلَّة".

[٤٥٤] ديوانه: ٢٥٩١/٦.

[٤٥٥] ديوانه: ٢١٣.

[٤٥٦] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، المجلد الأول: ٧٥/١- المجلد الثاني: ١٣٣٤/٤، وخزانة الأدب: ٣٥٣/١-٤٩٦/٥.

[٤٥٧] وفي تعليق المرزوقي على بيت ابن ميادة [شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١٣٣٤/٤] يقول: "... ويجوز أن يريد: إذا صار هَزْلُه جِدًّا، فسماه بما يؤول إليه". فاستعمل مضاد الإيجاب (هَزْلُه) بدلا من سلب الجِدّ.

[٤٥٨] المرجع السابق، المجلد الأول: ٧٥/١. وجاء في [تاج العروس، خرج: ٥١٤/٥]: "من المجاز: فُلانٌ (خَرَجَتْ خَوَارِجُه)، إذا ظَهَرَتْ نَجَابَتُهُ وتَوَجَّهَ لإبْرامه الأُمورِ وإحْكَامِهَا وعَقَلَ عَقْلَ مِثْلِهِ بَعْدَ صِباهُ".

[٤٥٩] ديوان الهذليين: ١٤١/١. نيافا: أي منيفة طويلة عظيمة، وناقةٌ نيافٌ: هي الطويلة المشرفة. العاطبل: طويلة العنق.

[٤٦٠] ينظر، خزانة الأدب: ٤٩٧/٥.

طُلِبَ منه أن يَضِلَّ فَضَلَّ[٤٦٣]، ورائحة المطاوعة وما فيها من مبالغة هي التي مَكَّنَت هذا التركيب في باب الإسناد المجازي، ولهذا خرج منه نحو قوله تعالى: **(فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ١٣)** [الحاقة: ١٣]، لغياب دلالة المبالغة، فـ(نَفْخَةٌ) محدودة بـ(التاء) مما يناقض المبالغة المرادة في نحو (جُنَّ جنونُه) بالإسناد المجازي وإطلاق المصدر من محدوديَّة (التاء)، كما أنّ الفاعل مستحضر في السياق بطريق الحذف الذي يُمكنُ تقديره، بخلاف (استُضِلَّ ضَلالُهُ) إذ الفاعل الحقيقي غائب ومغيَّب ولا قَصْدَ إليه إطلاقًا.

وعليه يصحُّ لو قيل: استُكْبِرَ كِبْرُه، واستُنْفِرَ نَفْرَتُه... على معنى: طُلِبَ كِبْرُه فَتَكَبَّر، وطُلِبَ إليه الاستنفارُ فَنَفَرَ... وهكذا في كل ما يتولَّد على هذا النسج.

من شواهد هذا الباب أيضًا قول أعرابي لقارئ أخطأ في بيت شعر لأبي ذؤيب: "ضُلَّ ضَلالُك أيها القارئ"[٤٦٤] بالبناء للمجهول، كأن (ضُلَّ) قد حُوِّلَ فيه الفعل إلى صيغة البناء للمجهول لفرط المبالغة والتعجب[٤٦٥]، يرشِّح ذلك سياق الحال والمقال، كما تُغيَّرُ صيغة الفعل الثلاثي إلى (فَعُل) لقصد التعجب.

ويَعضُد ذلك أيضًا مجيءُ الفعل نفسه على صيغة البناء للمعلوم مُسندًا إسنادًا مجازيًّا إلى مصدره في قول الشاعر [من الطويل]:

ولولا دفاعُ اللهِ ضَلَّ ضَلالُنا ولَسَرَّنَا إنَّا نُثَلُّ ونوأَد[٤٦٦]

وكذا في قول أوس بن حجر [من الطويل]:

إذا ناقَةٌ شُدَّت بِرَحلٍ وَنُمرُقٍ إلى حَكَمٍ بَعدي فَضَلَّ ضَلالُها[٤٦٧]

ومن أصول هذا الباب كذلك قول ابن ميادة [من الطويل]:

فَلَمّا أَتاني ما تَقولُ مُحارِبٌ تَغَنَّت شَياطيني وَجُنَّ جُنونُها[٤٦٨]

---

[٤٦١] الأصل في معنى المطاوعة التأثر وقبول أثر الفعل، سواء أكان الفعل متعديًا، أم لازمًا [ينظر، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٣/١] كذلك نبَّه الرضي- بعد سرد معاني استفعل- على أنَّها قد تجيء لمعانٍ أُخَر غير مضبوطة [ينظر، المرجع السابق: ١١٢/١] ويجري هذا الحكم على سائر الصيغ الفعلية كما أشار في غير موضع.

[٤٦٢] البحر المحيط: ٣٢٧/٢.

[٤٦٣] ينظر، خزانة الأدب: ٤٩٧/٥.

[٤٦٤] الشعر والشعراء: ٨٣/١.

[٤٦٥] نبَّه ابن المنيِّر في حاشيته على الكشاف على أنَّ صورة الفعل المبني للمجهول قد يؤتي بها للتعجب، يقول في تعليقه على قول المتنبي [من الكامل]: فَلَشَدَّ ما جاوَزتَ قَدرَكَ صاعِدًا وَلَشُدَّ ما قَرُبَت عَلَيكَ الأَنجُمُ

"... واللام للتأكيد، و(شُدّ) على صورة المبني للمجهول للتعجب، وأصله (شَدُدَ) كـ(حَسُنَ). فنقل ضم الدال إلى الشين وأدغم، كما هو قياس بناء التعجب، أي: ما أشد مجاوزتك لقدرك!".

بقيت ملاحظتان مهمتان: الأولى: ورد نص ابن المنير في طبعة مكتبة العُبيكان [٤٤٠/٤]، وخَلَتْ منه طبعة دار إحياء التراث. الثانية: الرواية الواردة في الديوان بفتح الشين لا ضمها [شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: ٤٦٨/٢]. على أنَّ ما يعنينا هنا هو أصل الفكرة التي نبَّه عليها ابن المنيِّر تعضيدًا لما ذكرناه آنفًا.

[٤٦٦] التمام في شرح أشعار هذيل: ٩٢. نثلّ: نهلك.

[٤٦٧] ديوانه: ١٠٠.

[٤٦٨] شعر ابن ميادة: ٢٣١.

وكذا قول الشاعر [من الطويل]:

هِيَ البازِلُ الكَوْماءُ لا شَيْءَ غَيْرُها وشَيْطانَةٌ قَدْ جُنَّ مِنها جُنُونُها[٤٦٩]

وقول مُدرك بن حُصين [من الطويل]:

كأَنَّ سُهَيْلًا رامَها، وكأَنَّها حَليلةُ وخْمٍ جُنَّ منه جُنونها[٤٧٠]

وقول الشاعر [من الطويل]:

هَبَّتْ له رِيحٌ فجُنَّ جُنونُه لمَّا أَتاه نَسِيمُها يَتَوَجَّسُ[٤٧١]

ومثله قول أبي تمام [من الطويل]:

تَكادُ عَطاياهُ يُجَنُّ جُنونُها إِذا لَم يُعَوِّذْهَا بِنَغمَةِ طالِبِ[٤٧٢]

"وقوله: (يُجَنُّ جُنونُها)، إنما يريد: يُجنُّ صحتُها، أي: يصير بدلَ صحتها جنون، لكنه سمَّاها بما يؤول إليه كما يقال: خرجت خوارجُه"[٤٧٣].

فـ"(جُنَّ جنونُها) مَثَلٌ وُضع للمبالغة، يقال: جُنَّ جُنونُها، وجاعَ جُوعُها، والجنون في الحقيقة لا يُجنُّ، وكذلك الجُوعُ لا يَجوعُ، ولكنهم يريدون به الشدَّة والإفراط"[٤٧٤].

وقوله أيضًا [من الكامل]:

هيْهَات رُوِّعَ رُوعُهُ بفَوارِسٍ في الحرْبِ لا كُشُفٍ ولا أَمَيالِ[٤٧٥]

في قوله (رُوِّعَ رُوعُهُ) ضربٌ من المبالغة بطريق التداعي الاشتقاقي، فـ"كأنه تكَلَّمَ على ما رجعَ إليه وآلَ، والمعنى: (رُوِّعَ أمنُهُ) الذي صار بدله الفزع"[٤٧٦].

وكذا قول عوف بن الأحوص [من الطويل]:

وكَعْبٌ فإِنِّي لَابْنُهَا وحَليفُهَا وناصِرُها حيثُ استَمَرَّ مَريرُها[٤٧٧]

قوله (استَمَرَّ مَريرُها)، أي: جَدَّ أَمْرُها[٤٧٨]، فالمعنى محمولٌ على الإسناد المجازي.

---

[٤٦٩] البيت غير منسوب، وهو من شواهد البحر المحيط: ١٩٤/١، ولسان العرب، جنن: ٣٨٨/٢، وروح المعاني: ١٥٩/١. البازل: من بزل ناب البعير إذا طلع، والكوماء: الناقة طويلة السنام.

[٤٧٠] ينظر، لسان العرب، جنن: ٣٨٨/٢. يقول ابن منظور: "إنما أَراد مَرْأَة كالجِنِّيَّة إمَّا في جمالها وإما في تلَوُّنِها وابتِدالها".

[٤٧١] البيت بلا نسبة في لسان العرب، جنن: ٣٨٨/٢.

[٤٧٢] ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٢٠٥/١.

[٤٧٣] خزانة الأدب: ٣٥٣/١. وفي البيت نفسه يتتبع البغدادي (التسمية بالمآل) في قوله: "(عطاياه)، أي: أمواله التي تصير عطاياه، فسماه بما يؤول إليه"، لكنها ليست من باب (التداعي الاشتقاقي).

[٤٧٤] ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٢٠٥/١.

[٤٧٥] ينظر، المرجع السابق: ١٣٨/٣. رُوعه: نفسه. وفي البيت رواية أخرى بذكر (أَعْزَال) موضع (أَمْيَال).

[٤٧٦] شرح مشكلات ديوان أبي تمام: ٢٢.

[٤٧٧] المفضليات: ١٧٨. جاء في هامش (١٩) "(كعب): هو ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة. استمرّ مريرها: حيث جَدَّ أمرها، أخذه من المريرة، وهي الحبل إذا فُتِلَ. أراد أنه ناصر لها في شدة أمرها".

[٤٧٨] المرجع السابق: ١٧٨. جاء في هامش (١٩) "(كعب): هو ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة. استمرّ مريرها: حيث جَدَّ أمرها، أخذه من المريرة، وهي الحبل إذا فُتِلَ. أراد أنه ناصر لها في شدة أمرها". فالمعنى محمول على الإسناد المجازي.

ومثله قول البحتري في وصف الذئب [من الطويل]:

طَواهُ الطَوى حَتّى اِستَمَرَّ مَريرُهُ فَما فيهِ إِلّا العَظمُ وَالروحُ وَالجِلدُ[٤٧٩]

وقول الأعشى [من الكامل]:

هَذا النَهارُ بَدا لَهَا مِن هَمِّها ما بالُهَا بِاللَيلِ زالَ زَوالُها[٤٨٠]

وقول أبي دواد الإيادي [من الكامل]:

سَأَلَتْ مَعَدٌّ هذه بِجَدِيَّةٍ مَنْ جارُ يَقدُم عامَ زالَ زَوالُهَا؟[٤٨١]

فاعلُ (زَالَ) هو (زَوالُها) المضافُ إلى ضمير المؤنَّث، "فيصير بمنزلة قولهم: خرجتْ خوارجه، وما أشبه ذلك، ممَّا يفيد فيه الفاعل، الذي من لفظِ الفعل، زيادةً على إفادةِ الفعل"[٤٨٢].

ومنه كذلك قول الفرزدق [من الطويل]:

أَطَعتُكَ يا إِبْلِيسُ سَبعينَ حِجَّةً فَلَمّا اِنتَهى شَيبي وَتَمَّ تَمامي[٤٨٣]

"أي: بلغت غايتي، ونسبة التمام إلى التمام ترد على معنى التأكيد، كما قال الشاعر (فَجُنَّ جنونُها)، والجنون لا يُجَنُّ، وإنما المرء يُجَنُّ"[٤٨٤]. والمعنى على التسمية بالمآل، فالأصل: تمَّ نقصُه، فآلت إلى (تمَّ تَمَامُه) للمبالغة، بطريق (التداعي الاشتقاقي).

وكذا قولُ ليلى الأخيلية [من الطويل]:

أَتَتْه المَنايا حينَ تمَّ تَمَامُه وأَقْصَرَ عنْهُ كلُّ قِرْنٍ يُطاوِلُه[٤٨٥]

ونظيره قول حسان بن ثابت [من الطويل]:

رَبَّاهُ وَليدًا فَاِستَتَمَّ تَمامُهُ عَلى أَكرَمِ الخَيراتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ[٤٨٦]

ومنه قول رؤبة بن العجاج [من الرجز]:

والسَّيْرُ مُحْزَوْزٍ بنا احْزِيزاوُه
ناجٍ وقد زَوْزَى بنا زِيزاوُه[٤٨٧]

يقول ابن جني: "(زِيزاوُه) مصدرٌ من زَوْزَيْتُ، فيكون الفعل منسوبًا إلى المصدر، كقولهم: سار بنا السيرُ، وقام بهم القيامُ. فهو على قولك: سَيرٌ سائرٌ، وقِيامٌ قائمٌ. ومنه: شِعرٌ شاعرٌ، وموتٌ مائتٌ، وويلٌ وائلٌ"[٤٨٨]. وكذا قوله (مُحْزَوْزٍ احْزِيزاوُه)، فـ(مُحْزَوْزٍ) اسم فاعل بمنزلة الفعل.

ومثله قول أبي هلال العسكري [من الكامل]:

---

[٤٧٩] ديوانه:٢/٧٤٣.

[٤٨٠] ديوانه: ٢٧.

[٤٨١] ديوانه: ١٤١، وينظر، كتاب الشعر: ٢/٥٤٨، ٥٤٩. جديّة: أرض بنجد كانت دارًا لبني شيبان، و(يَقْدُمَ): هو ابن أفصى بن دُعمي بن إياد.

[٤٨٢] كتاب الشعر: ٢/٥٤٩.

[٤٨٣] ديوانه: ٢/٤٠٧.

[٤٨٤] أمالي المرتضى، هامش (٢): ١/٦٤.

[٤٨٥] ديوانها: ٧٧.

[٤٨٦] ديوانه: ١/٤٥٧.

[٤٨٧] مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج: ٤. حَزَأَ الإبلَ: جمعها وساقها. زوزى الرجل يزوزي زوزاة، نصب ظهره، وأسرع، وقارب الخطو.

[٤٨٨] المحتسب: ١٨٥. وسيأتي الحديث في الصفة المشتقة من موصوفها، نحو (شِعرٌ شاعرٌ).

هل أنتَ إلّا البدرُ تمَّ تَمَامُه والغيثُ باكرَ وبلهُو سجامُه[٤٨٩]

وقول البحتري [من الطويل]:

فَكَيْفَ رأيْتَ الحَقّ قَرّ قَرَارُهُ؟ وَكَيْفَ رأيتَ الظّلْمَ آلَتْ عَوَاقِبُهْ؟[٤٩٠]

ومنه أيضًا قول ابن سناء الملك [من الطويل]:

وَيأْبَى إبائِي أَن يَرَانِيَ قَاعِدًا وَأَلَّا أَرَى كُلَّ البريَّةِ مُقْعَدَا[٤٩١]

والأصل: (وَيأْبَى إذْعَانِي)، فصار (وَيأْبَى إبائِي) تسمية بالمآل.

وكذا قول أبي فراس الحمْداني [من الطويل]:

وَكَيْفَ يَرِثُّ الحَبلُ أَو تَضعُفُ القِوى وَقَد قَرُبَت قُرْبَى وَشُدَّت أَواصِرُ[٤٩٢]

من هذا الباب كذلك قول شوقي على لسان كليوباترا [من الكامل]:

وَلَرُبَّمَا رَشَدَتْ فسِرْتُ بِرُشْدِهَا وَغَوَتْ فَأَغْوَتْنِي وَضَلّ ضَلَالِي[٤٩٣]

ومن هذا البحر في محكم التنزيل قوله تعالى: **(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠)** [الأعراف: ٢٠٠]

"النَّزْغ والنَّسْغ: الغَرْز والنَّخْس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي"[٤٩٤]، "وإطلاقه على وسوسة الشيطان مجازٌ حيث شبه وسوسته إغراء للناس على المعاصي وإزعاجًا بغرز السائق ما يسوقه، وإسناد الفعل إلى المصدر مجازي كما في (جَدّ جِدُّه)، وقيل: النزغ بمعنى النازغ[٤٩٥] فالتجوُّز في الطرف، والأول أبلغ وأولى"[٤٩٦].

قوله تعالى: **(وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ)** [لقمان: ٣٣- فاطر: ٥] و**(وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ١٤)** [الحديد: ٢٤] على قراءة (الغُرُور) بضم الغين[٤٩٧] "هو مصدر غَرَّه غُرُورًا ، وجَعَلَ الغُرُور غَارًّا، كما قيل: (جَدّ جِدُّه)"[٤٩٨]، أما الغَرور بفتح الغين فهو الشيطان[٤٩٩]، "ويجوز التعميم، أي: لا يَغُرنَّكم كلُّ

---

[٤٨٩] ديوان المعاني: ٢٠٧/١.

[٤٩٠] ديوانه: ٢١٥/١.

[٤٩١] ديوانه: ٥٥٩/١.

[٤٩٢] ديوانه: ١٠٩. جاء في [لسان العرب، قرب: ٨٤/١١]: "والقَرابَة والقُرْبَى: الدُّنُوُّ في النَّسب، والقُرْبَى في الرَّحِم، وهي في الأَصل مصدر".

[٤٩٣] مصرع كليوباترا: ١٠٤.

[٤٩٤] الكشاف: ١٨٠/١.

[٤٩٥] وهو صفة غالبة على الشيطان، لأنه "ينزغ الإنسان، كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغًا، كما قيل: جَدَّ جِدُّه أو أريد وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ نازغ وصفًا للشيطان بالمصدر" [مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٥٦٥، وينظر، الكشاف: ١٨٠/١].

[٤٩٦] روح المعاني: ١٣٧/٥.

[٤٩٧] ينظر، إعراب القراءات الشواذ: ٢٩٢/١.

[٤٩٨] الكشاف: ٥١٠/٣، وينظر، روح المعاني: ١٠٦/١١، وإعراب القراءات الشواذ: ٢٩٢/١.

[٤٩٩] ينظر، إعراب القراءات الشواذ: ٢٩٢/١، وروح المعاني: ١٠٦/١١.

مَنْ شأنُه المبالغة في الغُرور بأن يمنيَكم المغفرة مع الإصرار على المعصية قائلا: إنَّ الله يغفر الذنوب جميعًا"[٥٠٠].

وثمة فرق هو خلو التركيب في الآية الكريمة من الضمير، وكذا قول أبي فراس (قَرُبَت قُرْبَى) قَبْلَه، وللضمير شأنٌ في إغراق المعنى في التفخيم والمبالغة، ومثلها قول أبي دُوَاد الإيادي [من الخفيف]:

وَسَبَتني بِناتُ نَخلَةَ لَو كُنـ ـتُ قَريبًا أَلَمَّ بي إِلمامُ[٥٠١]

فـ(أَلَمَّ بي إلمامُ) دون الضمير ليس في فخامة (جَدَّ جِدُّه)، ولا في استحضار الفاعل الحقيقي المكنيّ عنه بضمير الغائب الذي ناب عنه الفاعل المجازي (جِدُّه). كما أنَّ التنكير في (إلمام) قد يذهب بالمعنى إلى تقليل وتحقير أو إلى تهويل وتفخيم حسب الدلالة، لكنّ نحو (جَدَّ جِدُّه) لا يلج على السامع إلا من باب الفخامة والامتلاء بحكم إضافته إلى الضمير وتعريفه.

أما من جهة (التركيب) الشكلي، فكلاهما إسناد فعل لمصدره إسنادًا مجازيًّا عقليًّا. وفي العربية ليس تركيبٌ كتركيب وإن سَارَا على نفس الترتيب، ويكفي أن نضع التركيب السابق خاليًا من الضمير إزاء مثيله في قول السمهري العلكي [من الطويل]:

أَلا حَيِّ لَيلى إِذ أَلَمَّ لِمَامُها وَكانَ مَعَ القَومِ الأَعادي كَلامُهَا[٥٠٢]

فيتبدَّى لنا فرق الفخامة التي يجلبها الضمير.

وقد يجيء المصدر على وزن (فَاعِلة)، كقوله تعالى: (**يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ٦**) [النازعات: ٦]. "الرَّاجِفَةُ: الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال"[٥٠٣]، وهي: الصيحة والزلزلة[٥٠٤]. و(الرَّاجِفَةُ)- على ذلك- مصدر كالعاقبة والعافية[٥٠٥]، فإسناد (تَرجُفُ) إلى (الرَّاجِفَةُ) إسناد مجازي[٥٠٦]، "نحو: (جَدَّ جِدُّه)، والأصل: ترجُفُ الأرضُ بسبب حدوث الراجفة، أي: الواقعة الهائلة، فأُسْنِدَ إلى السبب مبالغة"[٥٠٧].

وقد يَرِدُ الفاعل ها هنا مصدرًا مؤولا وهو نادرٌ، ومنه قول امرئ القيس [من الطويل]:

صَحَا اليَوْمَ قَلْبِي عَنْ لَمِيسَ وَأَقْصَرَا وَجُنَّ بِهَا مَا جُنَّ ثُمَّتَ أَبْصَرَا[٥٠٨]

والمعنى الأرجح في الشاهد: وجُنَّ بها جنونُه[٥٠٩]، والإسناد المجازي هنا هو أقومُ توجيه لملاءمته الإغراق في الهوى الذي يقصده الشاعر.

---

[٥٠٠] روح المعاني: ١٠٦/١١.

[٥٠١] ديوانه: ١٦٠. سبتني: أسرتني وذهبت بعقلي، وأراد بقوله (بنات نخلة): نساء ذلك الموضع.

[٥٠٢] الأغاني: ٢٤٥/١٠- ٢٤٥/٢١.

[٥٠٣] الكشاف: ٦٩٣/٤.

[٥٠٤] ينظر، التحرير والتنوير: ٦٠/٣٠.

[٥٠٥] ينظر، التمام في تفسير أشعار هذيل: ٩٣.

[٥٠٦] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٢٧٠/١٦.

[٥٠٧] المرجع السابق: ٢٧٠/١٦.

[٥٠٨] ديوانه: ٢٦٥.

[٥٠٩] ولا يجوز فيها المفعول المطلق، إذ منع النحاة إيقاع المصدر المؤول موقع المصدر وأجازه الأخفش [ينظر الأشباه والنظائر، المجلد الأول: ١٩٥/٢] والحمل على مذهب الأخفش هنا ضعيف، لأن المعنى في البيت يتطلب الإسناد

ويُحْمَل على هذا الباب قول رؤبة [من الرجز]:

هَيْهَاتَ من مُنْخَرِقٍ هَيْهَاؤُه[٥١٠]

"فكأنه قال: بَعُدَ بُعْدُهُ، وهو كقولهم: جُنَّ جُنُونُـهُ، وضَلَّ ضَـلالُه، وقولهم: موتٌ مائتٌ، وشعرٌ شاعرٌ[٥١١] على طريقة المبالغة"[٥١٢]. إذ عُومِلَ (اسم الفعل وفاعله المشتق منه) معاملة إسناد الفعل إلى مصدره إسنادًا مجازيًّا، وفيه طرافة اشتقاقية مقيسة على المصدر ذلك "أنه بَنَى من هذه اللفظةِ فَعْلالًا، فجاء به مجيءَ (القَلْقَال والزَّلْزال)"[٥١٣].

وقد يحل محل (الفعل) (مشتق عامل يرفع فاعله) كما في قول في الخنساء [من البسيط]:

حُلْوٌ حَلاوتُهُ فَصْلٌ مقالتُهُ مَاضٍ مَرِيرَتُهُ في الهَيجِ مِغْوَارُ[٥١٤]

(حُلْوٌ حَلاوتهُ) تركيبٌ موغلٌ في المبالغة بحكم مناظرته لنمط (جَدّ جِدُّه). وقد صدَر عن صفاء طبع في العربية يمكن أن تتولَّدَ على نمطه (مُتداعياتٌ) متماثلةٌ، نحو: (مُرٌّ مرارتُه) و(حَسَنٌ حُسْنُه) و(غَزيرٌ غزارتُه) و(رَفيعٌ رِفعتُه) و(مَجيدٌ مجدُه) و(نبيلٌ نَبَالتُه)... وهلمَّ جرًّا.

قد يأتي هذا الإسناد المجازي في صورة (المبتدأ والخبر)، لكنه مشوب بمعنى الفعل، كقول "العرب للمبالغ في الجنون: (جنونُه مجنونٌ)"[٥١٥]، إذ جاء المبتدأ مصدرًا والخبر وصفٌ مبنيٌّ للمجهول، كأنَّه استعادة لصورته الفعلية الأصيلة (جُنَّ جُنُونُه). ومنه قول الإمام الشافعي [من الطويل]:

جُنونُكَ مجنونٌ ولستَ بواجِدٍ طَبِيبًا يُداوِي منْ جُنونِ جُنونِ[٥١٦]

من كلام العرب في هذا الباب، "وكلامُ العرب كلُّه جارٍ مَجْرَى الأمثال"[٥١٧]:

يقال: "ما بَقِيَتْ منهم باقِيةٌ ولا وَقاهم الله من واقِيَة"[٥١٨]. "والباقِيةُ توضع موضع المصدر"[٥١٩] على معنى (بقاء)[٥٢٠]، كذا لا يمتنع في (واقِيَة) الحمل على المصدريَّة.

"ويقال للرجل إذا ثار غَضَبُه: ثار ثَائِرُه، وطار طائرُه، وفار فائرُه"[٥٢١]، و"هاج هائجُه"[٥٢٢]، و"نَبَضَ نابضُه"[٥٢٣]. وعليه قول كُثَيِّر عزة [من الطويل]:

المجازي كما ذُكِرَ في المتن. بيد أنَّ الحمل على المفعول المطلق أو الظرفية قد يكون أنسب تركيبيًّا ودلاليًّا في مواضع أُخَر على نحو ما مرَّ.

[٥١٠] مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج: ٤.

[٥١١] سيأتي تفصيل القول في التداعي الاشتقاقي في باب (الموصوف وصفته) في موضعه من البحث.

[٥١٢] المحتسب: ٩٢/٢.

[٥١٣] الدر المصون: ٣٣٧/٨، وينظر، المحتسب: ٩٢/٢.

[٥١٤] ديوانها: ٣٨٧، وينظر، أمالي المرزوقي: ٢٥٣.

[٥١٥] عقلاء المجانين: ٥٣.

[٥١٦] ديوانه: ١١٨. وينظر، الحيوان: ١٠٩/٣- ٢٤٣/٦، وعقلاء المجانين: ٥٣.

[٥١٧] التمام في شرح أشعار هذيل: ١٥٨.

[٥١٨] أساس البلاغة، بقي: ٥٨/١، وينظر، تهذيب اللغة: ٢٦١/٩، ولسان العرب، بقي: ٤٦٧/١.

[٥١٩] لسان العرب، بقي: ٤٦٧/١.

[٥٢٠] ينظر، المرجع السابق، بقي: ٤٦٧/١، وتهذيب اللغة: ٢٦١/٩.

[٥٢١] تهذيب اللغة: ١٢/١٤، وينظر، أساس البلاغة، ثور: ١٠٣/١.

[٥٢٢] المخصص: ٨٠/٤.

مَا بَالُ ذَا البيتِ الذي كُنْتَ آلِفًا أنارَكَ فيهِ بعدَ إلفكَ نائرُ[٥٢٤]

الاستعمال المعاصر يميل إلى التأنيث في نحو هذه التراكيب، فيقول القائل مثلا: (وقد ثارت ثائرته أو "ثارت ثائرة فلان: غضب، اهتاج، انفعل بشدة"[٥٢٥]). وتأنيث (الثائرة) على معنى (العداوة والشحناء) مستعمل في كلام العرب، ومنه قول عمر بن الخطاب: "الشعر جَزل من كلام العرب، يُسكَّن به الغَيظ، وتُطفأ به الثائرة،..."[٥٢٦]. وجاء في المصباح المنير استعمالها على معنى المصدر: "... وَقَوْلُهُمْ: لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، أَيْ: لِإِصْلَاحِ الْفَسَادِ بَيْنَ الْقَوْمِ، وَالْمُرَادُ: إسْكَانُ الثَّائِرَةِ"[٥٢٧].

إن هذا باب واسع في العربية[٥٢٨] يَغرقُ به الكلامُ في المبالغة، ويعلو بِمِثْلِه شعرُها ونثرُها، ومنه في النثر:

- "وزِيلَ زَويلُه وزَوَالُه إذا استُفِزَّ من الفَرَق وهو من إسناد الفعل إلى مصدره"[٥٢٩].
- "ومن المجاز: وقُضِيَ قضاؤُه"[٥٣٠]. ومنه ما ورد في الحديث الشريف "عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ– ε– فَسَأَلَهُ: أَنَبْتَدِئُ الأَعْمَالَ أَمْ قَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟.."[٥٣١]. وفي الحديث أيضًا: "لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ"[٥٣٢]، وأَمِرَ أَمْرُه، أي: ارتفع شأنه[٥٣٣]. ومنه أيضًا قول "أعرابي من بني كلاب من أفصح الناس كأنه مُسْتَوْحِش من الناس بَدَوِيٌّ...: قُضِيَ القَضاءُ وجَفَّتِ الأقْلامُ"[٥٣٤].
- عبارة التنزيه والتعظيم: (الله جَلَّ جَلَالُه)، ومنها: "جَلَّ جَلَالُ الله"[٥٣٥] بالإضافة للظاهر.

كما جرى هذا التركيب عفوًا على أقلام العلماء قديمًا وحديثًا، ومنه ما جاء في:

- أساس البلاغة: "... أي: مثل الظبي إنْ رَابَه رَيب لم يقرّ"[٥٣٦].
- مقدمة خزانة الأدب: "وقد تَمَّ تَمَامُه وخُتِمَ اختتامُه"[٥٣٧].

---

[٥٢٣] أساس البلاغة، نبض: ٤١٥/٢.

[٥٢٤] ديوانه: ٣٧٨. وأنار: ألقى النائرة، وهي الحقد والعداوة، يريد أنه أصبح يتجنب ذلك البيت الذي كان يألفه، فكأنَّ نائرة ثارت في صدره نحْوَه.

[٥٢٥] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ١٤٤، وينظر، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٢١٤.

[٥٢٦] العقد الفريد: ٢٨١/٥.

[٥٢٧] المصباح المنير، بين: ٦٨.

[٥٢٨] ينظر، خزانة الأدب: ٤٩٧/٥.

[٥٢٩] أساس البلاغة، زول: ٤١٢/١.

[٥٣٠] المرجع السابق، قضي: ٢٦١/٢.

[٥٣١] الآحاد والمثاني: ٥٥١/١.

[٥٣٢] صحيح البخاري (٧) حسب ترقيم فتح الباري: ٧/١.

[٥٣٣] ينظر، تاج العروس، أمر: ٧٢/١٠.

[٥٣٤] المخصص: ٣٤٠/٤.

[٥٣٥] تهذيب اللغة: ٢٦٠/١٠.

[٥٣٦] أساس البلاغة، قضي: ٢٦١/٢.

- بغية الطلب في تاريخ حلب: "أردتُ أن أقول له: استرحتُ من حيث تعب الكرام، فخشيتُ جنونه، لأنه كانَ جنونُه مجنونًا"[٥٣٨].
- التحرير والتنوير: "فإذا قال: إنهم في عذاب، ثارت ثائرة أبنائهم فصاروا أعداء لموسى"[٥٣٩].
- وحي القلم: "ومن ثم كان النابغةُ في الأدب لا يتمُّ تمامُه إلا إذا أحب وعشق"[٥٤٠].
- وحي الرسالة: "قال الأستاذ وقد نبضَ من الغيظ نابضُه..."[٥٤١]،... وغير هذا كثير مما يمكن تتبُّعه في النمط العالي من الكلام.

من طريف هذه الظاهرة تفسير بعض تراكيبها بطريق (التداعي الاشتقاقي) نفسه على نحو ما مرّ سابقًا، ومنه في المُحْكَم: "نأرَتْ نائِرَةٌ في الناس: هاجَتْ هائجة"[٥٤٢]، "والنائرة هي الحقد والعداوة"[٥٤٣].

وما زالت الظاهرة حيوية في الاستعمال المعاصر الذي يستدعي من تراث العربية القديم ويُطْرِفُه بجديد الاستعمال، ومن ذلك: "قامتْ قيامةُ فلان: أحدث هياجًا واضطرابًا عظيمًا"[٥٤٤]. "قامت القيامةُ على فلان: ثار الجميع عليه، هوجم بعنف"[٥٤٥]. و"جَدَّ الجِدُّ: حان وقت الاجتهاد"[٥٤٦]. و"جُنَّ جنون (فلان): اشتدت ثورتُه"[٥٤٧]. و(لا يقِرّ له قرارٌ)، أي: كثير الحركة والنشاط أو شديد القلق والتوتر[٥٤٨]. وجاء في الأمثال العاميّة: "ما يِعْجِبُه العَجَبْ ولا الصِّيَام في رَجَبْ"[٥٤٩].

ثمة كثافةٌ دلاليَّة في إسناد الفعل إلى مصدره المشتق منه بحكم الاشتراك في الجذر نفسه والإسناد المجازي وجَرْيه مجرى المَثَل، فصار هذا التركيب نسيجًا مستقلًا ونمطًا وحده ونسقًا مُغْلَقًا يجري على الألسنة مَثَلًا صارخًا في الانفعال والمبالغة.

ثانيًا: الفعل ومتعلقاته:

تتحدد نقطة البدء في الجملة الفعلية بوجود (الحدث/ الفعل)، فحيثما وُجِدَ الفعلُ فثمة جملةٌ مثقلةٌ بدلالة الحدث والزمن، متبوعًا بسلسلة من المعمولات أو المتعلقات المحتملة.

---

[٥٣٧] خزانة الأدب: ٢٨/١.

[٥٣٨] بغية الطلب في تاريخ حلب: ٢٥٣٩.

[٥٣٩] خزانة الأدب: ٢٨/١.

[٥٤٠] وحي القلم: ٢١٨/٣.

[٥٤١] خزانة الأدب: ٢٨/١.

[٥٤٢] المرجع السابق: ٢٨/١.

[٥٤٣] المرجع السابق: ٢٨/١، وينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٣٨٥/٤.

[٥٤٤] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ٣٨٧.

[٥٤٥] لسان العرب، نير: ٣٤٨/١٤.

[٥٤٦] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ١٥٤، وينظر، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٢١٩.

[٥٤٧] المرجع السابق: ١٦٢، وينظر، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٢٢٦.

[٥٤٨] ينظر، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٤٦٦.

[٥٤٩] الأمثال العامية: ٥٣٥.

الأصل الغالب مغايرة هذه المعمولات أو المتعلقات لمادة الفعل الاشتقاقية[٥٥٠] إلا في حالتين قياسيتين: المفعول المطلق بصوره المختلفة، واسم المكان الواقع ظرفًا أو ما يقوم مقامه، نحو: قعدتُ مقعدًا حسنًا، وجلستُ مجلسًا، وصلّيتُ مُصَلَّى زيدٍ[٥٥١]. وهذان واردانِ على الأصل فلا إشكال فيهما، وهما مما أدركتهما آفة القياس التي بدَّدَتْ منهما دهشة التلقِّي.

والمصدر هو الأصل في كل ذلك، "لأنه هو الفعل في المعنى، ولا فائدة في ذكره مع الفعل إلا أن تريد التوكيد أو تبيين النوع منه"[٥٥٢]. فكان الأصل- عدا ذلك- المغايرة.

الوجه في تفسير هذه المغايرة المشار إليها- كما سبق بيانه- "أنه لا بدَّ في الفاعل والمفعول وغيره من متعلقات الفعل من زيادة فائدة، فلا تقول: (قامَ قائمٌ)، و(ضربتُ مَضْروبًا)، وما أوهمَ ذلك فليُؤَوَّل، كقوله تعالى: **(كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا)** [المزمل: ١٥]... ولعل الجواب عَمَّا وردَ من ذلك أنه يُقدَّر له صفة محذوفة. التقدير: رسولا عظيما"[٥٥٣]. بيدَ أنَّ التأويل- هنا- أبعد من مجرد تقدير صفة، بل هو اكتشاف الغرض الدلالي من مجيء التركيب على هذا النحو المخالف لمعتاد بناء الجملة وَفقًا لمبدأ التغاير المقرَّر عند أهل اللغة والنحو والبلاغة.

ويمكن تتبُّع هذه الطبيعة الاشتقاقية للفعل ومعمولاته- في مستوييه الصرفي والتركيبي- على النحو الآتي:

أ) (المفعول به) المشتق من مادة فعله.

يقرر البلاغيون أنَّ أحوال "الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل، في أنّ الغرض من ذكره معه إفادة تلبّسه به، لا إفادة وقوعه مطلقًا"[٥٥٤]، لذا كان التغاير بينهما أصلا غالبًا لتحقيق الإفادة. ذلك أن لفظ الفعل يدل على مطلق الفاعل والمفعول به، فقولنا (ضرَبَ) يقتضي الدلالة على (ضارِب) وكذلك (مضروب) بهذا اللفظ[٥٥٥]، "ولكن لا فائدة عند المخاطب في الضارب المطلق، ولا في المفعول المطلق، لأنّ لفظ الفعل قد تضمنهما، فوَضْعُ الاسمِ المعيّن[٥٥٦] مكان الاسم المطلق[٥٥٧] تبيينًا له"[٥٥٨].

---

[٥٥٠] سبق التنبيه على هذا الأصل في علاقة (الفعل وفاعله).

[٥٥١] ينظر، المقاصد الشافية: ٢٩٨/٣.

[٥٥٢] نتائج الفكر: ٢٩٧.

[٥٥٣] عروس الأفراح: ٣٧٤/١. وهو تركيب كثير الورود في القرآن الكريم.

[٥٥٤] المرجع السابق: ٣٧١/١.

[٥٥٥] ينظر، نتائج الفكر: ٢٩٧، ٢٩٨. ونص عبارة السهيلي المسوقة على سبيل المُعْطَى والبرهان: "الفعل لا يدلّ على الفاعل معينًا ولا على المفعول معينًا، وإنما يدل عليهما مطلقًا، لأنك إذا قلت: (ضَرَب) لم يدل على (زيد) بعينه، وإنما يدل على (ضارب). وكذلك (المضروب)".

[٥٥٦] أي: الاسم الجامد المغاير للفظ الفعل. ينظر، نتائج الفكر: ٢٩٧، ٢٩٨.

[٥٥٧] أي: الاسم المشتق من لفظ الفعل، لأنه حينئذ كالمفعول المطلق، ينظر، نتائج الفكر: ٢٩٧، ٢٩٨. وفي هذا يقول السهيلي: "إذا قلتَ: (ضَرَب) اقتضى هذا اللفظ: (ضرْبًا) و(ضاربًا) و(مضروبًا). وأقوى دلالته على المصدر، لأنه هو الفعل في المعنى".

[٥٥٨] نتائج الفكر: ٢٩٨.

إذا كانت العربية قد خالفت هذا الأصل في العلاقة الإسنادية بين الفعل وفاعله حقيقةً أو مجازًا، فقد كان أهون عليها بعد ذلك أن تمضي في جموحها ذاك مع المفعول به، إذ "إنَّ دلالة الفعل على (الفاعل) أقوى من دلالته على (المفعول به)"[٥٥٩].

من شواهد هذا الباب الساطعة قوله تعالى: **(وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ)** [البقرة: ٢٨٢] جاء المفعول به (شَهِيدَينِ) على صيغة المبالغة "إيماء إلى طلب مَنْ تكررتْ منه الشهادة، فهو عالِمٌ بموقعها مُقتدرٌ على أدائها، وكأن فيه رمزًا إلى العدالة، لأنه لا يتكرر ذلك من الشخص عندَ الحكَّام إلا وهو مقبولٌ عندهم ولعله لم يقل رجلينِ لذلك"[٥٦٠].

على هذا يَؤُولُ المعنى إلى الحصر، كأنه قيل: لا تستشهدوا إلا شهيدين متصفين بالعدالة والصدق، وهذا من مُستتبع التركيب[٥٦١] بحكم اتفاق المفعول به مع الفعل المتسلط عليه في جِذره. ويُحسِّن القصر حمل الأمر في (استشهِدُوا) على الوجوب، وإلا فالخلاف في الندب أو الوجوب وارد في ذلك[٥٦٢].

إن عدالة الشهادة هي مركز الدلالة في هذا السياق، لذا تكررت مادة (شهد) في الآية القرآنية سبع مرات (وَٱستَشهِدُواْ– شَهِيدَينِ- ٱلشُّهَدَاءِ (مرتين)- لِلشَّهَادَةِ- وَأَشهِدُواْ – شَهِيدٌ)، تأكيدًا على هذا المعنى. ومن هذا الباب جاء المفعول به (شَهِيدَينِ) لا (رجلينِ) متلبِّسًا بلفظ الفعل (وَٱستَشهِدُواْ) استيثاقًا لعدالة الشهادة وكمالها.

قوله تعالى: **(وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ٨)** [الأنفال: ٧، ٨]. في "قوله: (لِيُحِقَّ الْحَقَّ) جناس الاشتقاق. وفيه دلالة على أن أصل مادة الحق هو فعل حق. وأن أصل مادة الباطل هي فعل بطل"[٥٦٣].

في تكرار مادة الفعل في (المفعول به) في الحالين للتناهي في إثبات الحق واستئصال الباطل مهما كانت كراهية المجرمين الذين يريدون إثبات الباطل وإبطال الحق، إنفاذًا لإرادة الله فيهم، ومن ثم كان الاتفاق في المادة الصرفية بين الفعل ومفعوله منسجمة مع هذا القصد.

وفي الآية تعليل الفعل بـ"عين محصول المعلَّل"[٥٦٤]، "وشأن العلة أن تكون مخالفة للمعلَّل، إذ فائدة التعليل إظهار الغرض الذي يقصده الفاعل من فعله، فمقتضى الظاهر أن لا يكون تعليل الفعل

---

[٥٥٩] المرجع السابق: ٢٩٧.

[٥٦٠] روح المعاني: ٥٦/٢، وينظر، البحر المحيط: ١٧٧/٢.

[٥٦١] أي: من لوازمه. وهو المصطلح الوارد عند الطاهر بن عاشور كما سيأتي، وللمصطلح جذوره عند أهل البلاغة. ينظر مثلا: المطول، حاشية الشريف الجرجاني: ٦٤٩.

[٥٦٢] ينظر، روح المعاني: ٥٦/٢.

[٥٦٣] التحرير والتنوير: ٢٩/٩.

[٥٦٤] المرجع السابق: ٣٠/٩.

بعين ذلك الفعل"[٥٦٥]، ومن ثم كان هذا الضرب من التعليل قصْد ذات الفعل، بلا غرض آخر زائد عليه، تحقيقًا لمعنى الحصر[٥٦٦].

الحصر هنا من (مُسْتَتبعات التركيب)- باصطلاح الطاهر بن عاشور- وليس من دلالة اللفظ[٥٦٧]، ذلك أنَّ إلباس المتكلم (المفعول به) هيئة جذر الفعل ليبين أنه ما أراد إلا أن يقصر هذا الفعل على المفعول به، حتى إنه لا يظهره إلا متلبسًا بجذر الفعل المتسلِّط عليه.

وقصدُ (القصر) في هذا الضرْب من التراكيب متحقق من جهة العدول عن مبدأ المغايرة التي هي الأصل في (الفعل والمفعول به)[٥٦٨] وهو مقتضى الظاهر، "لأن السامع لا يجهل أن الفاعل المختار ما فعل فعلا إلا وهو مراد له، فإذا سمعنا من كلام البليغ تعليل الفعل بنفس ذلك الفعل كان ذلك كناية عن كونه ما فعل ذلك الفعل إلا لذات الفعل، لا لغرض آخر زائد عليه"[٥٦٩]. وكأنَّ المعنى أنَّ الله لا يحق إلا الموصوف بجدارة الحق، ولا يبطل إلا المستحق أن يكون باطلا من الأصل. هذا بخلاف عمل الفعل في المفعول المطلق الذي يجيء من مادة الفعل ابتداءً، قصدًا للتوكيد، فهو- أي المفعول المطلق- ضربٌ آخرُ من تكرار الفعل للتوكيد دون قصر.

هذا الحُكم بالقصر باعتباره من (مُسْتَتبعات التركيب) يجري على هذا الضرْب من المُتَداعيات الاشتقاقيَّة المكونة من (الفعل والمفعول به) بوجه عام.

قوله تعالى: **(وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا٨)** [الإنسان: ٨] (الطعام) مفعول به من لفظ فعله، "والتصريح بلفظ الطعام مع أنه معلوم من فعل (يُطْعِمُون) توطئة ليبنى عليه الحال وهو (عَلَى حُبِّهِ)"[٥٧٠]، تحقيقًا للإيثار. كما "أنَّ ذِكرَ الطعام بعد (يُطْعِمُون) يفيد تأكيدًا مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة"[٥٧١].

قوله تعالى: **(وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا)** [المائدة: ٢٧]، (القُربان): "اسمٌ لِما يُتَقَرَّب به إلى الله من نسيكة أو صدقة، كما أنَّ الحُلْوان: اسمُ ما يُحَلِّي"[٥٧٢]، وذهب أبو البقاء إلى أنَّ "(قربانًا) هو في الأصل مصدر وقد وقع هنا موضع المفعول به، والأصل إذ قرَّبَا قربانينِ لكنه لم يثَنِّ لأن المصدر لا يُثَنَّى"[٥٧٣].

ومجيء المفعول به- هنا- من مادة الفعل ومعناه يفيد التناهي في التقرب وشدة الحرص على تقبل الله له.

ومنه أيضًا قوله تعالى: **(فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا)** [الكهف: ١١٠] (عملا): يجوز فيه أنْ يكون مفعولا به أو مطلقًا، ووصفه بـ(صالحًا) يزيده تعيينًا فتقوَى فيه الاسمية ويترجّح في توجيهه المفعول به.

---

[٥٦٥] المرجع السابق: ٣٠/٩.

[٥٦٦] ينظر، المرجع السابق: ٣٠/٩.

[٥٦٧] ينظر، المرجع السابق: ٣٠/٩.

[٥٦٨] كما كان ذلك هو الأصل في (الفعل وفاعله) فيما ذكرنا سابقا.

[٥٦٩] التحرير والتنوير: ٣٠/٩.

[٥٧٠] المرجع السابق: ٣٥٦/٢٩.

[٥٧١] المرجع السابق: ٣٥٦/٢٩.

[٥٧٢] الكشاف: ٦٥٨/١.

[٥٧٣] التبيان في إعراب القرآن: ٤٣٢/١.

وإذا ترجَّح (المفعول به) فالتوكيد والقصر من مستتبعات التركيب فيه، وإلا فهو التوكيد فحسب إذا حُمِلَ على المفعول المطلق.

نبَّه الرضيُّ على هذا التنازع في نصب المصدر بعد فعله إمَّا على أنه مفعولٌ مطلقٌ إذا غُلِّب فيه جانب المصدرية وإمَّا على أنه مفعول به إذا غُلِّب فيه جانب الاسمية، نحو: "قولهم: حردتُ حردَه[٥٧٤]، وحمدت حمدَه، وقصدت قصدَه ونحوت نحوَه، ونحو ذلك، فليس انتصاب الأسماء في ذلك على المصدر، بل هو مفعول به، على جعل المصدر بمعنى المفعول... والمعنى: قصدتُ به جهتَه التي ينبغي أن يقصدها من يطلبه، ويجوز أن يكون المعنى: حردتُه حردَه الذي يليق به، وحمدته حمدَه الذي ينبغي، فيكون مضافًا لبيان النوع"[٥٧٥].

ومن هذا الباب المتنازَع فيه قوله تعالى: **(وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا١٩)** [الإسراء: ١٩] "قوله تعالى (سعيها) يجوز أن يكون مفعولا به لأن المعنى عمل عملها...، وأن يكون مصدرًا"[٥٧٦]. وقوله تعالى: **(وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ٤٦)** [إبراهيم: ٤٦] و(مَكْرَهُم) مفعول مطلق أو مفعول به[٥٧٧]. ويُعظِّم من شأن (السعي) و(المكر) انتزاعهما من مادة الفعل، والإضافة للضمير[٥٧٨].

مستتبع التركيب هنا يؤول بالمعنى إلى: إنما مكرهم مكرٌ عظيم، ودلّ عليه بزوال الجبال في بعض توجيهات المعنى[٥٧٩]، وخاصة على قراءة فتح اللام الأولى ورفع الثانية في (لَتزولُ)[٥٨٠].

نظير هذا الضرب من التركيب قول مالك بن الريب [من الرجز]:

وَكَرِهوا مَكروهَهُ فَفَرُّوا[٥٨١]

وكذا قول عامِر بن جُوَيْن الطّائيّ [من المتقارب]:

فَلاَ مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا[٥٨٢]

أي: فلا سحابة أمطرت مطرها أو إمطارها، فيجوز في (وَدْقَهَا) أن تكون مفعولا به أو مفعولا مطلقًا. ويتناهى التركيب في خصوبته الاشتقاقية بحكم انتزاع المفعول به من مادة الفعل وإضافته للضمير[٥٨٣] أيضًا.

---

[٥٧٤] أي: قصدتُ.

[٥٧٥] شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: ٣٠٤/١.

[٥٧٦] التبيان في إعراب القرآن: ٨١٦/٢، وينظر، الدر المصون: ٣٣١/٧. قوله (عَمِل عملَها) من تفسير المتداعيات بنظائرها كعادة التركيب في استيلائه على العبارات التفسيرية منسوجة على مثاله.

[٥٧٧] ينظر، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: ٣٠٤/١.

[٥٧٨] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٦٣٢/٨.

[٥٧٩] ينظر، معاني القرآن، للفراء: ٧٩/٢، والكشاف: ٥٢٩/٢، ٥٣٠، والبحر المحيط: ٤٢٥/٥، ٤٢٦، وروح المعاني: ٢٣٦/٧، والتحرير والتنوير: ٢٧٠/١٢، ٢٧١.

[٥٨٠] ينظر، شواذ القراءات: ٢٦٣.

[٥٨١] ديوانه: ٧٣.

[٥٨٢] ينظر، الكتاب: ٤٦/٢. (المُزنة): السّحابة. و(الوَدَق): المطر. و(أبقلتْ) أخرجت البقل، وهو من النّبات ما ليس بشجر.

[٥٨٣] في عود الضمير إشكال نبّه عليه ابن الحاجب [الأمالي النحوية، المجلد الأول: ٨١/٢]: "الضمير في (وَدْقَها) و(إبقالها) راجع إلى غير المزنة والأرض المذكورتين. ولا يستقيم أن يعود إلى المذكورتين لأن المعنى: فلا مزنة

قوله تعالى: (**وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ**) [التوبة: ١٢٠] "والمَوْطِئ إمّا مصدر كالمورِد، وإمّا مكان. فإن كان مكانًا فمعنى يغيظ الكفار: يغيظهم وطؤه. والنيل أيضًا يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا، وأن يكون بمعنى المنيل"[٥٨٤]. واشتقاق المفعول به من مادة فعله فيه تناهٍ في الأثر والجزاء معًا، وقد جاءا نكرتين ليكونا عامّين في كل ما يسوء الكفار وينكبهم ويلحق بهم ضررًا[٥٨٥].

قد يتنازع الاسمَ المنصوبَ المصوغَ من مادة الفعل أكثرُ من وجه، كقوله تعالى: (**فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ٣٢**) [ص: ٣٢] فـ(حُبَّ) منصوب على أنه مفعولٌ به لـ(أَحْبَبْت) لأنه بمعنى آثَرْتُ أو مصدرٌ تشبيهيٌّ أي: حُبًّا مثلَ حُبِّ الخير أو مفعولًا مِنْ أجله، والمعنى: قَعَدْتُ عن ذِكْر ربي حُبًّا للخير، أي: الخيل[٥٨٦]. واشتقاق المفعول به من مادة فعله فيه دلالة على "كمال المحبة"[٥٨٧]، "فَقَوْلُه: (أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْر) بِمَعْنَى أَحْبَبْتُ حُبِّي لِهَذِهِ الْخَيْلِ"[٥٨٨]. وكذا (الجزاءَ) في قوله تعالى: (**ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ٤١**) [النجم: ٤١] جزم أبو البقاء أنَّ "(الجزاءَ الأوفَى) هو مفعول (يُجزى) وليس بمصدر، لأنه وُصف بالأوفى وذلك من صفة المجزيّ به لا من صفة الفعل"[٥٨٩]، وذهب فريق من المفسرين إلى أنّه مصدرٌ مبيّنٌ للنوع[٥٩٠].

ومما جاء مفعولًا به فقط (القَصَصَ) في قوله تعالى: (**فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ**) [القصص: ٢٥] "أي: ما جرى عليه من الخبر المقصوص، فإنه مصدرٌ سُمِّيَ به المفعول"[٥٩١]، و(حَمْلًا) في قوله تعالى: (**فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا**) [الأعراف: ١٨٩]، و(دينَ الحق) في قوله تعالى: (**وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ**) [التوبة: ٢٩]، وتَناهِي المعنى بحكم التداعي الاشتقاقي بين الفعل ومفعوله يجعلُ النفيَ مُضاعفًا كأنه متكرر. وكذلك (قَرْضًا) في قوله تعالى: (**إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا**

وَدَقَت وَدْقَهَا ودقًا مثل ودقها. فلو رجع الضمير إليها لصار مخبرًا أنه ليس مزنة تدق ودقا مثل ودق نفسها، وهو فاسد، لأنها تدِق ودْقَ نفسها، فلا يستقيم أن يقصد إلى أن ينفي عنه فعل يماثله. وإن لم تقدر محذوفًا كان أفسد، إذ يصير المعنى: أنه لبس مزنة تدِق ودقَ نفسها، وهو فاسد، لأن الأمر على خلافه؛ إذ لا تدق مزنة ودق نفسها، فوجب أن يكون التقدير: فلا مزنة ودقت ودقا مثل ودق هذه المزنة المحذوفة".

[٥٨٤] الكشاف: ٣٠٧/٢.

[٥٨٥] ينظر، المرجع السابق: ٣٠٧/٢.

[٥٨٦] ينظر، الدر المصون: ٣٧٦/٩، وأمالي ابن الشجري: ٨٧/١، ٨٨. وجاء في [معاني القرآن: ٤٠٥/٢]: "والخير في كلام العرب: الخيل".

[٥٨٧] مفاتيح الغيب: ١٦١/٧.

[٥٨٨] المرجع السابق: ٣٩٠/٢٦.

[٥٨٩] التبيان في إعراب القرآن: ١١٩٠/٢.

[٥٩٠] ينظر، الدر المصون: ١٠٤/١٠. ويجوزُ أَنْ يكونَ الضميرُ في (يُجْزَاهُ) للجزاء، ثم فَسَّره بقولِه (الجزاءَ) على أنه عطف بيان أو بدل [ينظر، الكشاف: ٤٢٨/٤]. وقد رجح الطاهر نصب الجزاء على المفعول المطلق الْمُبَيِّنِ لِلنَّوْعِ على اعتبار أنّ الضمير في "(يُجْزاهُ) عَائِدٌ إِلَى السَّعْيِ، أَيْ يُجْزَى عَلَيْهِ، أَوْ يُجْزَى بِهِ فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ وَنَصَبَ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ فَقَدْ كَثُرَ أَنْ يُقَالَ: جَزَاهُ عَمَلُهُ، وَأَصْلُهُ: جَزَاهُ عَلَى عَمَلِهِ أَوْ جَزَاهُ بِعَمَلِهِ" [التحرير والتنوير: ١٤٠/٢٧].

[٥٩١] روح المعاني: ٢٧٤/١٠.

حَسَنًا يُضَٰعِفَهُۥ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ) [التغابن: ١٧]، و(عُدَّةً) في قوله تعالى: **(وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ)** [التوبة: ٤٦]، و(بُنيانًا) في قوله تعالى: **(فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ)** [الكهف: ٢١]، و(حُبَّ الخَيرِ) في قوله تعالى: **(فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي)** [ص: ٣٢].

قد يأتي المفعول به في نحو هذا التركيب مجرورًا بحرف جرّ زائد، كقوله تعالى: **(وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا)** [يونس: ٦١] (من) حرف جر زائد، و(عملٍ) مفعول به[٥٩٢] والمراد: "أيّ عملٍ كان"[٥٩٣]، "كأنه قيل: ولا تعملون من عملٍ ما وعملٍ عظيم تفيضون فيه إلا كنا عليكم شهودًا حين تعملونه"[٥٩٤]. ففي قوله (تَعمَلُونَ مِن عَمَلٍ) إغراق في توكيد العموم بانتزاع المفعول به من مادة الفعل، و(مِن) الزائدة، وفضلا عن الحصر الذي هو من مستتبعات التركيب، فالقصر المتحقق في الآية كلها بطريق النفي والاستثناء.

ومنه كذلك (من رسول) في قوله تعالى: **(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ)** [النساء: ٦٤]. و**(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ)** [الأنبياء: ٢٥] (مِن) حرف جر زائد للتنصيص على توكيد عموم النفي. و(رسولٍ) مفعول به لـ(أرسل)[٥٩٥]، و(رسول) بمعنى (مُرْسَل). وفي هذا التركيب ما فيه من التفخيم، وفيه حصر من مستتبعات التركيب، فضلا عن القصر بالنفي والاستثناء.

وظاهرٌ أنَّ أغلبَ ورود (المفعول به المشتق من مادة فعله) في محكم التنزيل على هيئة المصدر مُجتذَبًا إلى الاسمية على معنى اسم المفعول، وهو أيسرُ سبيلٍ لإقامة هذا التركيب الاشتقاقي، لأنَّ نصبَ الفعل لمصدره من معتاد عمل الفعل.

اجتذاب المصدر إلى الاسمية على معنى اسم المفعول وكذا غيره من الصيغ كـ(رسول) بمعنى (مُرْسَل) بالغ الانسجام في موقع (المفعول به)، كما كان الشأن في مجيء الفاعل المشتق من مادة فعله على معنى اسم الفاعل، وذا من السمات اللافتة لهذا التركيب الفريد، أي: ذلك التعانق البارز بين النظامين: الصرفي والنحوي.

ومنه في الحديث الشريف: "أَلاَ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ قَتَلْتُمْ هَذَا الْقَتِيلَ مِنْ هُذَيْلٍ، وَأَنَا وَاللَّهِ عَاقِلُهُ، مَنْ قَتَلَ بَعْدَهُ قَتِيلاً فَأَهْلُهُ بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ: إِنْ أَحَبُّوا قَتَلُوا وَإِنْ أَحَبُّوا أَخَذُوا الْعَقْلَ"[٥٩٦]. و"مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ"[٥٩٧]. "وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ"[٥٩٨]، و"الحيُّ لا يُقتَلُ القتيل، لأن قتل

---

[٥٩٢] ينظر، المفصل في تفسير القرآن الكريم: ٧٧٠.

[٥٩٣] روح المعاني: ١٣٦/٦.

[٥٩٤] التحرير والتنوير: ٢٠/١١.

[٥٩٥] ينظر، المفصل في تفسير القرآن الكريم: ٣٠٠.

[٥٩٦] سنن البيهقي الكبرى: ٥٢/٨، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٤٥٩.

[٥٩٧] صحيح البخاري (٤٣٢١) حسب ترقيم فتح الباري: ١٩٦/٥.

[٥٩٨] المرجع السابق (٢٤٣٤) حسب ترقيم فتح الباري: ١٦٤/٣.

القتيل محال"[٥٩٩]، "والمراد: القتيل بهذا القتل، لا بقتل سابق"[٦٠٠]، فهو تسمية للشيء بما يؤول إليه، فهو من باب (خرجتْ خوارجُه)[٦٠١]، ومجيء التركيب على هذا الوجه لثبوت الحدث مرتين تحقيقًا له.

ومن شواهده الدّالّة في الشعر قول سُحَيْم عبد بني الحسحاس [من الطويل]:

فأدْبرنَ يخفِضْنَ الشُّخوص كأنّما قتلنَ قتيلًا أو أصَبْنَ الدَّوَاهِيَا[٦٠٢]

وظاهرٌ في قوله (قتلنَ قتيلًا) قصدُ القتل مع التمكُّن من تحقيق المراد.

وقول الفرزدق [من الطويل]:

قَتَلْتَ قَتِيلًا لم يَرَ الناسُ مِثْلَه أُقَلِّبُه ذا ثُومَتَيْنِ مُسَوَّرَا[٦٠٣]

إنَّ هذا بابٌ مُحْكَمٌ في العربية لم تخلُ منه العامية كذلك، وشاهده الساطع الذي ينتح من عِرق العربية الأول قولهم في الأمثال: "يِقْتِلْ الْقَتِيلْ ويِمْشِي في جَنَازْتُهْ"[٦٠٤].

من شواهد هذا الباب الموغل في كثافته الدلالية في الحديث الشريف: "إنَّ الله أعطى كل ذي حَقٍّ حقه وإنَّ الله فرض فرائض وسَنَّ سننًا وحدَّ حُدودًا وأحلَّ حلالًا وحرَّم حرامًا وشرع الإسلام..."[٦٠٥]. و"مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ"[٦٠٦]. و"وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً لاَ يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ إِثْمِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ"[٦٠٧]. و"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِى قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ..."[٦٠٨]. و"إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا"[٦٠٩]. و"قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُطَّلَعُ عَلَيْهِ، فَيُعْجِبُنِي"[٦١٠]. و"لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس مَن لا يعرف مَعروفًا ولا يُنكِر مُنكرًا"[٦١١]. و"مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"[٦١٢]. و"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ε- إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ"[٦١٣]. و"أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ

---

[٥٩٩] عقود الزبرجد: ٣٨١/٢.

[٦٠٠] المرجع السابق: ٣٨١/٢.

[٦٠١] ينظر، شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٣٥٨/١، والخصائص: ١٨٠/٣، والمحكم، عفر: ١١٥/٢، وعروس الأفراح: ١١٢/١، ولسان العرب، عفر: ٢٨٣/٩.

[٦٠٢] ديوانه: ٢٨، وينظر، أمالي المرزوقي: ٣٩٤. وفيه (أَتَيْنَ دَواهِيَا) موضع (أَصَبْنَ الدَّوَاهِيَا).

[٦٠٣] ينظر، شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٣٥٨/١، والخصائص: ١٨٠/٣، والمحكم، عفر: ١١٥/٢، ولسان العرب، عفر: ٢٨٣/٩.

[٦٠٤] الأمثال العامية: ٦٢٦، وينظر، معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ٥٣٨.

[٦٠٥] مسند أبي يعلى: ٣٤٣/٤، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٦٥٧.

[٦٠٦] سنن البيهقي الكبرى: ١٧٦/٤.

[٦٠٧] سنن ابن ماجة: ٧٦/١.

[٦٠٨] سنن الترمذي: ٤٣٤/٥.

[٦٠٩] صحيح مسلم: ٢١١٢/٤.

[٦١٠] سنن ابن ماجة: ٣٠٥/٥.

[٦١١] الفائق في غريب الحديث: ١٠١/٤.

[٦١٢] صحيح البخاري (٣١٦٦) حسب ترقيم فتح الباري: ١٢٠/٤.

[٦١٣] سنن النسائي الكبرى: ٢٣٢/٥.

يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِى كِتَابِ اللَّهِ"[٦١٤]. و"... وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ"[٦١٥]. و"... يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّهُ جَرَّ جَرِيرَةً عَلَى مَنْ كَانَتْ؟ قَالَ: عَلَيْكَ"[٦١٦]. "قَالَتْ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ. قَالَ: لاَ. قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ"[٦١٧]. "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ"[٦١٨]. "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِى ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ"[٦١٩]. و"مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبِسَبْعِمِائَةٍ"[٦٢٠]، وحمل (نَفَقَة) على الاسمية ظاهر دلاليًّا.

وقد يأتي (المفعول به) ها هنا مجرورًا بـ(مِن) الزائدة، نحو (مِنْ عَمَلٍ) في الحديث النبوي: "مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"[٦٢١].

وظاهرٌ في كل ذلك اشتراك المفعول به مع فعله في جذر اللفظ ومعناه، فإن كان- أي: المفعول به- مشتقًّا كـ(مَعروفًا ومُنكرًا) فهو منتزع من فعله، وإن كان جامدًا كـ(شَوْكَةً) فالفعل منتزع منه كما كان الحال في علاقة (الفاعل مشتقًّا وجامدًا وفِعْله) المشتركين في الجذر مادةً ومعنى، لكنَّ هذا لا يُخِلّ بدلالة التركيب الذاهبة في طريق التناهي والحصر.

ومنه في الشعر مشتقًّا وجامدًا:

- قول مالك بن الريب [من الطويل]:

وقَوِّدْ قَلُوصِي في الرِّكابِ، فإنَّها سَتُبْرِدُ أَكْبادًا وتُبْكِي بَواكِيَا[٦٢٢]

قوله: "(وتُبْكِي بَواكِيَا): من باب وصف الشيء بما يؤول إليه، ومثله قولهم: (خرجتْ خوارجُه)"[٦٢٣]، ومثله قول النابغة الجعدي [من الطويل]:

تَوَالِي مَنْ غَالَتْ شَعُوبٌ فَأَصْبَحَتْ كُلُولُهُمُ تَبْكِي وَتُبْكِي الْبَوَاكِيَا[٦٢٤]

- قول امرئ القيس [من الطويل]:

كَذَلِكَ جَدّي ما أُصاحِبُ صاحِبًا مِنَ الناسِ إلّا خانَنِي وَتَغَيَّرَا[٦٢٥]

- قول عمرو بن برَّاقة الهَمْداني [من الطويل]:

---

[٦١٤] صحيح مسلم: ١١٤١/٢.

[٦١٥] صحيح البخاري (١٢١٢) حسب ترقيم فتح الباري: ٨٢/٢.

[٦١٦] سنن الدارمي: ٤٦٨/٢.

[٦١٧] صحيح مسلم: ١٩٠٨/٤.

[٦١٨] المرجع السابق: ١٩٩١/٤.

[٦١٩] سنن البيهقي الكبرى: ٤/٩.

[٦٢٠] المرجع السابق: ٣٧٤/٣.

[٦٢١] الموطأ: ٢٩٥/٢.

[٦٢٢] أساس البلاغة، قود: ٢٨٢/٢. وفي [ديوانه: ٩٥] برواية (وعَرِّ) موضع (وقَوِّدْ). وفي [الحماسة البصرية: ٧٥٥/٢] يُروى (وَعَطِّلْ)، والبيت منسوب في [شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٣٥٧/١] إلى جعفر بن عُلْبَة الحارثي.

[٦٢٣] شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٣٥٨/١.

[٦٢٤] ديوانه: ١٨٦.

[٦٢٥] ديوانه: ٦٩.

إذا جَرَّ مولانا علينا جَريرةً صَبَرْنَا لها إنَّا كِرامٌ دَعَائِمُ[٦٢٦]

ومما ورد في اللسان: الجريرة: الذنب والجناية. وقد جَرَّ الرجل على نفسه وغيره جريرةً، أي: جنى عليهم جناية[٦٢٧].

- قول الحارث بن حلزة [من الخفيف]:

فَتَنَوَّرَتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى أَيَّانَ مِنْكَ الصِّلَاءُ[٦٢٨]

- عبيد بن الأبرص [من البسيط]:

لأعْرِفَنَّكَ بعد الموت تَنْدُبُني وفي حياتي ما زَوَّدْتَنِي زادِي[٦٢٩]

- قول النابغة الجعدي [من الطويل]:

تذكّرتُ ذِكرًى مِن أُميمةَ بَعدَمَا لَقِيتُ عَناءً مِن أُمَيمَةَ عانِيَا[٦٣٠]

- قولُ لَبيدٍ [من الطويل]:

أُخَبِّرُ أَخبارَ القُرونِ الّتي مَضَتْ أَدِبُّ كأَنّي كُلَّما قُمْتُ راكِعُ[٦٣١]

- قول عمرو بن أحمر الباهليّ وكان سقي بطنه [من الطويل]:

شربتُ الشُّكَاعى والْتَدَدْتُ أَلِدَّةً وأقبلتُ أفواهَ العروقِ المَكَاوِيا[٦٣٢]

- قول عامر بن الطّفيل [من الطويل]:

وَلَكِنَّني أَحمي حِمَاهَا وَأَتَّقي أَذاها وَأَرمي مَن رَماها بِمَنكِبِ[٦٣٣]

- قول الأعشى [من الطويل]:

وَإِنَّ اِمرَأً يَسعى لِيَقتُلَ قاتِلًا عَداءً مُعِدٌّ جَهلَةً لا يُقيلُها[٦٣٤]

وفيه مفارقة بين موقع المفعول به ودلالة الفاعلية الصرفية في (قاتِلًا).

- قول الشاعر [من الطويل]:

فَلَمَّا قَضَى مِنّي القَضَاءَ أَجَرَّنِي أَغَانِيَّ لا يَعْيَا بها المُتَرَنِّمُ[٦٣٥]

- قول الأضبط بن قريع السعدي [من الطويل]:

وأَكْرِمْ كَرِيمًا إن أتاكَ لِحَاجةٍ لعاقبةٍ إنّ العِضَاة تَرَوَّحُ[٦٣٦]

---

[٦٢٦] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٨/١.

[٦٢٧] ينظر، لسان العرب، جرر: ٢٤٣/٢، وينظر، أساس البلاغة، جرر: ٢٢٦/١.

[٦٢٨] ديوانه: ٢١.

[٦٢٩] ديوانه: ٥٦.

[٦٣٠] ديوانه: ١٨٦.

[٦٣١] شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧١.

[٦٣٢] الحماسة البصرية: ٧٥٦/٢. الشكاعى: نبات يُتداوى به. واللد: أن يؤخذ بلسان المريض فيمد إلى أحد شقيه، ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان والشدق. والألدّة: جمع لدود، وهو الدواء الذي يُسقى بهذه الصفة.

[٦٣٣] ينظر، الحيوان: ٩٥/٢.

[٦٣٤] ديوانه: ١٧٧.

[٦٣٥] البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة: ٢٥٨/١٠، وأساس البلاغة، جرر: ١١٧/١.

[٦٣٦] ينظر، شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١١٥١/٣.

- قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب [من البسيط]:

الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يتْبَعُها مُثْعَنْجِرٌ من دمِ الأجواف أُثعوبُ[٦٣٧]

- قول جرير [من الوافر]:

أمنَّيْتِ المُنى وخَلَبْتِ حتَّى تركْتِ ضميرَ قَلْبِي مُسْتهامَا[٦٣٨]

- قول البعيث المجاشعي [من الطويل]:

فَطَأْ مُعْرِضًا إنَّ الخُطُوبَ كَثيرَةٌ وإنَّك لا تُبْقِي لنَفْسِك بَاقِيَا[٦٣٩]

[٦٣٧] أساس البلاغة، سكب: ٤٤٩/١. وروي البيت في [ديوان الهذليين: ١٢٥/٣]: "...دماء الجوف أُثعوبُ".

[٦٣٨] ديوانه: ٢٢١.

[٦٣٩] شعر البعيث المجاشعي: ٢٩.

- قول المتنبي [من البسيط]:

الفاعلُ الفعلَ لم يُفعل لشدته والقائلُ القولَ لم يُترك ولم يُقَلِ[٦٤٠]

- حاتم الطائي [من الطويل]:

أُسَوِّدُ ساداتِ العَشيرَةِ عارِفًا وَمِن دونِ قَومي في الشَدائِدِ مِذوَدَا[٦٤١]

وفيه مفارقة بين موقع المفعول به ودلالة الفاعلية الصرفية في (ساداتِ)، لتحقيق معادلة الاستحقاق، إذ هو لا يسوّد إلا أهل السيادة الجديرين بها، وفي ذلك المعنى حصر ناشئ عن مستتبعات التركيب.

- قول أبي تمام [من الكامل]:

عَذَلَت غُروبُ دُموعِهِ عُذّالَهُ بِسَواكِبٍ فَنَّدنَ كُلَّ مُفَنِّدِ[٦٤٢]

وقوله [من الرجز]:

ما غَبَنَ المَغبونَ مِثلُ عَقلِهِ مَن لَكَ يَومًا بِأَخيكَ كُلِّهِ؟[٦٤٣]

وقوله [من الكامل]:

إِنَّ الَّذي خَلَقَ الخَلائِقَ قاتَها أَقواتَها لِتَصَرُّفِ الأَحراسِ[٦٤٤]

وقوله [من الوافر]:

وبَيَّتَ البيَاتَ بعقد جأش أشدّ قُوًى من الحجر الصلودِ[٦٤٥]

قوله: (بَيَّتَ البيَاتَ) يحتمل أن يكون على معنى "(فعلتَ الفعلَ)، كما تقول: بنيتَ البناءَ، وحفرتَ الحفرَ"[٦٤٦] من باب تقوية المعنى.

- قول ابن مُنَاذر [من الخفيف]:

شَادَ أَرْكَانَهُ وَبَوَّبَهُ بَا بَيْ حَدِيدٍ وَحَفَّهُ بِجُنُودِ[٦٤٧]

فـ(بَابَيْ) مفعول به ثان للفعل الذي من مادته (وَبَوَّبَهُ) على معنى الجَعْل، للدلالة على قوة التبويب والتحامه تحصينًا وتمكينًا.

- قول مَرْوَانَ بن أبي حَفْصَةَ [من الوافر]:

فتًى بلغتْ يداهُ من المعالِي مبالغَ ما دنَتْ منها يدانِ[٦٤٨]

- قول مسلم بن الوليد [من البسيط]:

---

[٦٤٠] شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: ٣/٧٣.

[٦٤١] ديوانه: ٢٣١.

[٦٤٢] ديوانه: ٢/٤٤. "(فَنَّدْن) صفة لـ(سواكب)، والباء: متعلقة بـ(عذلتُ)".

[٦٤٣] ديوانه: ٤/٥٣٠.

[٦٤٤] ديوانه: ٢/٢٤٦. "أي: خلق الخلائق وقدَّر لهم أقواتهم على كل حال وكلّ زمان".

[٦٤٥] ديوانه: ٢/٣٨.

[٦٤٦] ديوانه: ٢/٣٨. ويحتمل أن يكون (بيَّتَ) بمعنى "أفكرَتَ في مبيتكن. يقال: بيتّوا أمرهم: إذا أجمعوا عليه بليل".

[٦٤٧] الكامل في اللغة والأدب: ٤/٥٣.

[٦٤٨] الحماسة المغربية: ٢٢٩.

قَد عَوَّدَ الطَيرَ عاداتٍ وَثِقنَ بِها فَهُنَّ يَتبَعْنَهُ في كُلِّ مُرتَحَلِ[٦٤٩]

- قول مجنون ليلى [من الطويل]:

دَعا بِاسمِ لَيلى غَيرَها فَكَأَنَّما أَطارَ بِلُبّي طائِرًا كانَ في صَدري[٦٥٠]

- قول ابن المولى [من الكامل]:

وإذا صَنَعْتَ صَنِيعةً أتْمَمتَها بيَدَيْنِ لِيسَ نَداهُما بِمُكَدَّرِ[٦٥١]

ومنه في النثر:

- قول الإمام علي- رضي الله عنه- "أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا ما عَسى أَنْ يَكونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا ما وَأَبْغِضَ بَغِيضَكَ هَوْنًا ما عَسى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا ما"[٦٥٢].
- "جَنَّدَ الجُنود: جمعها"[٦٥٣].
- من المجاز: "احْتَقَبَ فُلاَن حَقِيبَةَ سُوءٍ"[٦٥٤].
- "ومن المجاز: أصابَ في رأيه...، وأصابَ الصوابَ"[٦٥٥].
- "الرُّشَى تَفْعَلُ الأفاعيلَ، وتُنْسِي إبراهيمَ وإسماعيل"[٦٥٦].
- "تَقُولُ: هُمْ يَتَعَاوَرُونَ الْعَوَارِيَّ، ويتعورونها بِالْوَاوِ، إِذَا أَعَارَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا"[٦٥٧].
- "... فإياك أن تُمنّي الأمانيَّ وتترجح فيها"[٦٥٨].
- "وفُلانٌ يَتَجَشَّمُ المَجاشِمَ، وَيَتَجَسَّمُ المَعاظِمَ"[٦٥٩].
- من المَجاز: "قُلِّدَ فُلانٌ قِلادَةَ سَوْءٍ: هُجِي بما بَقِي عليه وَسْمُه"[٦٦٠].
- "وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد نارًا ولم تحوّضْ حَوْضًا"[٦٦١].
- "إلَّا أنَّا نعلم أن الأوائل من الشعراء رسموا رسومًا تبعها من بعدهم"[٦٦٢].

من أشهر هذا الضرب من التراكيب التي اقتضاها المعنى ما رُوي عن عمر بن الخطاب، إذ "قال المؤرخون: إن عمر أول... مَنْ فَتَحَ الفتوح...، وهو أول مَنْ مَصَّر الأمصار وكوَّف الكوفة

---

[٦٤٩] شرح ديوان صريع الغواني: ١٢.

[٦٥٠] ديوانه: ٣٣.

[٦٥١] شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١٧٦٢/٤.

[٦٥٢] شرح نهج البلاغة: ١١٠/١٦.

[٦٥٣] أساس البلاغة، جند: ١٢٨/١.

[٦٥٤] المرجع السابق، حقب: ١٨٧/١.

[٦٥٥] المرجع السابق، صوب: ٣٠/٢.

[٦٥٦] المرجع السابق، فعل: ٢٠٧/٢.

[٦٥٧] المصباح المنير، عور: ٣٥٦، وينظر، أساس البلاغة، عور: ١٤٧/٢.

[٦٥٨] ربيع الأبرار: ١٤٩/٣.

[٦٥٩] أساس البلاغة، جسم: ١٢٥/١.

[٦٦٠] المرجع السابق، قلد: ٢٧١/٢.

[٦٦١] الحيوان: ٣٢٠/١.

[٦٦٢] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ع.

وبصَّر البصرة وأنزلها العرب، وأول مَن استقضى القضاة في الأمصار وأول مَنْ دوَّن الدواوين"[٦٦٣]، وجنَّد الأجناد[٦٦٤]. ومستَتْبع التركيب في كل ذلك يؤول بالمعنى إلى الحصر، فإنَّ عمر لم يفتح إلا المستحق وصف الفتوح، ولم يمصّر إلا ما استحق وصف الأمصار... وعليه سائر المتداعيات. وفيها جميعًا– فضلا عن معنى التناهي في الوصف- الحصر الناشئ من مستَتْبع التركيب.

ويُحمل على هذا الباب المشتقات أو المصادر المضافة إلى المفعول به، ومنه قوله- ε-: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"[٦٦٥].

ومن بحره قول "أبو الحسن علي بن يسر الرحمن بن بشر الصقلبي يخاطب ابن المدبر [من الكامل]:

لا تَجْزَعَنَّ عَنِ الأمورِ إذَا الْتَوَتْ وابْشِرْ بِلُطْفِ مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ[٦٦٦]

وقول أحمد شوقي [من البسيط]:

وَالناسُ بانٍي بناءٍ أَو مُتَمِّمُهُ وَثالِثٌ يَتَلافى مِنهُ ما اِنهَدَما[٦٦٧]

وكذا قول ابن الرومي [من البسيط]:

إذا الأصابعُ مُدّتْ نحو ذي مِننٍ مُدَّتْ إليك بِفعَّالِ الأفاعيلِ
كما إذا هي مُدت نحو ذي لَسن مُدّتْ إليك بِقوَّالِ الأقاويلِ[٦٦٨]

وقوله أيضًا [من الطويل]:

له نائلٌ ما زالَ طالبَ طالبٍ ومرتادَ مرتادٍ وخاطِبَ خاطبِ[٦٦٩]

في هذه المتداعيات جميعًا التناهي في غاية التهالك والهوان في طلب العطاء.

ومن إضافة المصادر إلى المفعول به قولهم (إنكار المُنْكَرِ) و(إحقاق الحقِّ) و(إبطال الباطلِ) و(إشهاد الشهودِ) و(كيد الكائدينَ) و(تطبيع المُطَبِّعِينَ)... وغير ذلك من سائغ الاستعمال المتداول، ومن ذلك في الاستعمالات المعاصرة والدارجة: "(أمرٌ) تحصيلُ حاصلٍ: بَدهي، مفروغ منه، لا جديد فيه ولا إضافة"[٦٧٠]. و"كَتْبُ الكِتَابِ: عقد القران"[٦٧١]، ويعبَّر عنه بالفعل مباشرة أيضًا: "كَتَبَ (فلان) كِتَابَه على (فلانة): عَقَدَ قرانه عليها"[٦٧٢].

وإذا كانت البيئة الفعلية هي الموطن الأصيل لهذه الظاهرة- كما ذكرنا– فإنّ هذا لا يمنع تقدّم المفعول به إلى موقع الابتداء على نحو ما هو كائن في تركيب (الفعل وفاعله)، ومن ذلك قول أبي تمام [من الرجز]:

---

[٦٦٣] شرح نهج البلاغة: ٧٥/١٢.

[٦٦٤] ينظر، الأغاني: ٢٥٣/٢٣.

[٦٦٥] سنن الترمذي: ٤٤٨/٤.

[٦٦٦] نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٤٢/٢٨.

[٦٦٧] ديوانه: ٥٢٢/١.

[٦٦٨] ديوانه: ١٨٩٣/٥.

[٦٦٩] ديوانه: ٢١٨/١.

[٦٧٠] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ١٢٦، وينظر، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ١٩٠.

[٦٧١] المرجع السابق: ٤٠٨.

[٦٧٢] المرجع السابق: ٤٠٩.

وَعاذِلٍ عَذَلتُهُ فِي عَذلِهِ فَظَنَّ أَنّي جاهِلٌ مِن جَهلِهِ[٦٧٣]

فالواو واو رُبَّ، و(عاذِلٍ) مبتدأ خبرُه (عَذَلتُهُ)، فتوسطَ الفعلُ بين المبتدأ والضمير العائد عليه (الهاء) المتصل بالفعل في موضع المفعول به.

وقد يجيء الخبر اسم موصول صلته هي الفعل الذي تقدَّم مفعوله إلى صدر الجملة في موقع المبتدأ، كقول عمر- رضي الله عنه-: "الْمَغْرُورُ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ"[٦٧٤].

وقد يأتي المفعول به المشتق من فعله منفكًّا إلى موصول وصلته، "كما يقول القائل: فعلَ فلان ما فعلَ، وأقدمَ على ما أقدمَ، إذا أراد التفخيم، وكما قال تعالى: (**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ**) [الشعراء: ١٩]"[٦٧٥] فـ(التي) صفة لـ(فَعْلَتك) "المعهودة التي عُرِفَ أنَّك فعلتَ"[٦٧٦]، و(فعلتَك) مفعول به[٦٧٧]. "وفي العدول عن ذكر فَعلة معيَّنة إلى ذكرها مبهمة مضافةً إلى ضميره ثم وصفُها بما لا يزيد على معنى الموصوف تهويلٌ مرادٌ به التفظيع وأنها مشتهرة معلومة مع تحقيق إلصاق تبعتها به حتى لا يجد تنصلًا منها"[٦٧٨]، وزاد في تعظيم فعلته "بالإبهام الذي في الموصول"[٦٧٩]، وحذْفِ الضمير في (فَعَلتَ). ونظيرها في المحكية "(عَمَلْ فلان عَمْلَةْ)، ولا يكون هذا إلا في الشر والأذى، أي أنه فعل فعلة قبيحة"[٦٨٠].

ومما يجرى هذا المجرى أيضًا قوله تعالى: (**فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ١٠**) [النجم: ١٠] "أي: الذي أوحاه، والضمير المستتر لجبريل عليه السلام أيضا، وإبهام الموحَى به للتفخيم فهذا نظير قوله تعالى: (**فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ٧٨**) [طه: ٧٨]"[٦٨١]، وحُذِفَ الضمير في (أَوْحَى) "تفخيمًا لشأن المنزَّل وأنه شيء يجل عن الوصف"[٦٨٢]. وكذا قوله تعالى: (**إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ٣٨**) [طه: ٣٨] "والمراد بـ(ما يوحى) ما قصَّه الله تعالى فيما بعد من الأمر بقذفه في التابوت. وقذفه في البحر... تهويلا له وتفخيما لشأنه، ثم فسّر ليكون أقر عند النفس، وقيل: معناه ما ينبغي أن يُوحي ولا يُخَلُّ به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به كما يقال: هذا مما يُكْتَبُ"[٦٨٣].

---

[٦٧٣] ديوانه: ٥٣٠/٤.

[٦٧٤] صحيح بن حبان: ٣١٤/١٥، وشرح نهج البلاغة: ١٩٢/١٢.

[٦٧٥] أمالي المرتضى: ٣٥٠/١.

[٦٧٦] عروس الأفراح: ٣٧٤/١.

[٦٧٧] ينظر، عروس الأفراح: ٣٧٤/١. ولا يمتنع أن تكون مفعولًا مطلقًا لدلالتها على المرَّة.

[٦٧٨] التحرير والتنوير: ١٢٦/١٩، وينظر، روح المعاني: ٦٨/١٠، وحاشية الطيبي على الكشاف: ٣٣٤/١.

[٦٧٩] روح المعاني: ٦٨/١٠.

[٦٨٠] مختارات وقطوف من تراثنا العربي: ٦٦.

[٦٨١] روح المعاني: ٤٨/١٤. ومن هيمنة التداعي على التفسير قول الطيبي [حاشية الطيبي على الكشاف: ٨٦/١٥-٨٧]: "(فَأَوحَىٰ إِلَىٰ عَبدِهِۦ مَآ أَوحَىٰ): أي: كان ما كان وجَرَى مَا جَرَى".

[٦٨٢] المرجع السابق: ٤٩/١٤.

[٦٨٣] المرجع السابق: ٥٠٠/٨. وثمة رأي يعارض ذلك، إذ "لو كان المراد منه التفخيم والتهويل، لقيل: إذ أوحينا إلى أمك ما أوحينا، كما قال سبحانه: (فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى) [النجم : ١٠] ، وقال تعالى: (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ) [طه : ٧٨]". والأول أوفق وأجمع للمعنى كما نبَّه الآلوسي.

من هذا البحر قوله تعالى: **(نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ١١٥)** [النساء: ١١٥] "أي: نتركه وما اختار لنفسه، ونَكِله إلى ما توكّل عليه"[٦٨٤]، وحذف الضمير مِن (تَوَلَّى) لمزيد تهويل وتفظيع لسوء المصير. ومستتْبَع التركيب هنا يؤول بالمعنى إلى استحقاق الجزاء، فإنه لا يُولَّى إلا ما يستحقُّه.

قريبٌ من ذلك أيضًا قوله تعالى: **(وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ)** [التوبة: ٢٩] "بمعنى لا يجعلون حرامًا ما حرَّمه الله، فإن مادة فعل تستعمل في جَعْلِ المفعول متصفًا بمصدر الفعل... والمقصود من هذا تشنيع حالهم وإثارة كراهيتهم لهم بأنهم يستبيحون ما حرَّمه الله على عباده"[٦٨٥]. وهو تشنيع لا تهويل لكونه حُكْمًا بمخالفة التشريع الإلهي.

ومنه كذلك قوله تعالى: **(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)** [الحج: ٤٠]، أي: "مَنْ ينصره بتلقي الجهاد بالقبول نصرة لدين الله تعالى"[٦٨٦]، وفي هذا المعنى ما فيه من الترغيب في الجهاد[٦٨٧]، والتعظيم لوعد الله بالنصر.

مما يجري هذا المجرى في الشعر:

- قول دريد بن الصمة [من الطويل]:

صَبَا مَا صَبَا حَتّى عَلا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلاَهُ قالَ لِلْبَاطِلِ: ابْعَدِ[٦٨٨]

(ما) "مفعول به أو مطلق"[٦٨٩] أو مصدرية ظرفية[٦٩٠]. وقوله: (صَبَا مَا صَبَا): "تعاطَى الصِّبا ما تعاطاه إلى أن علاه المَشيبُ، فيسقط التجنيس[٦٩١] من البيت، وهو يحْسُن به"[٦٩٢]، والتركيب من "الإبهام الذي لو قدَّرتَ ما قدَّرتَ في تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ما تجد[٦٩٣] له مع الإبهام"[٦٩٤].

ومن نسجه قول زهير بن أبي سلمى [من الطويل]:

رَعَوْا مَا رَعَوْا مِنْ ظِمْئِهِمْ، ثُمَّ أَوْرَدُوا غِمَارًا تَفَرَّى بِالسِّلَاحِ وَبِالدَّمِ[٦٩٥]

ومنه أيضًا قول امرئ القيس [من الوافر]:

---

[٦٨٤] مفاتيح الغيب: ٢١٩/١١.

[٦٨٥] ديوانه: ٢٣٥/١.

[٦٨٦] مفاتيح الغيب: ٢٣٠/٢٣.

[٦٨٧] ينظر، المرجع السابق: ٢٣٠/٢٣.

[٦٨٨] الأصمعيات: ١٠٨.

[٦٨٩] عروس الأفراح: ١٧١/١.

[٦٩٠] ينظر، شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٨٢١/٢.

[٦٩١] القصد غلبة الاشتقاق لاتفاق المعنى وهو الشرط الذي نبّه عليه ابن الأثير أيضًا في [المثل السائر: ٣٢٠/٢]. واتفاق المعنى بين المشتقين أو ما هو بمنزلتهما أحدُ المعايير التي اعتمدها الباحث في تحديد مجال هذه الظاهرة على نحو ما مر في المقدمة.

[٦٩٢] شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٨٢١/٢.

[٦٩٣] (قدَّرتَ ما قدَّرتَ) و(لم تجد له... ما تجد) عبارتان شارحتان خاضعتان لنسق ظاهرة التداعي الاشتقاقي كأنهما الصدى الذي يبيّنُ هيمنة هذا الضرب التركيبي على المفسرين والشُّرَّاح.

[٦٩٤] المثل السائر: ٢٧/٢، وينظر، شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٨٢١/٢.

[٦٩٥] شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب: ٣١.

بِعِزِّهِمُ عَزَزْتَ وَإِنْ يَذِلُّوا فَذُلُّهُمُ أَنَالَكَ مَا أَنَالَا[٦٩٦]

فقوله: (أَنَالَكَ مَا أَنَالَا) يطوي تحته ما لا حصر له من الذل[٦٩٧].

"وعليه ورد قول أبي نواس [من الكامل]:

وَبَلَغْتُ مَا بَلَغَ امْرُؤٌ بِشَبَابِهِ فَإِذَا عُصارَةُ كُلِّ ذاك أَثَامُ[٦٩٨]

فقوله: (وَبَلَغْتُ مَا بَلَغَ امْرُؤٌ بِشَبَابِهِ) من هذا النمط المشار إليهِ، وهو من المليح النادر"[٦٩٩].

- قول حَسَّان بن ثابت [من الكامل]:

فَقُلْنا لَهُ إذ قالَ ما قالَ: مَرْحَبًا أمرتَ بمعروفٍ وأوصيتَ كَافِيَا[٧٠٠]

- قول جرير [من البسيط]:

هَذي البَرِيّةُ تَرْضَى ما رَضِيتَ لهَا إنْ سرْتَ سارُوا وَإن قلتَ ارْبعوا وَقفُوا[٧٠١]

- قول طفيل الغَنَويُ لبني جعفر بن كلاب [من الطويل]:

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا، ولَوْ أنَّ أُمَّنَا ثُلاقِي الذي لاقَوْهُ منَّا لَمَلَّتِ[٧٠٢]

ويقلل من الإيغال في الإبهام ها هنا استعمال (الذي) لا (ما) الأبعد إبهامًا، وكذا ذِكْرُ الضمير في (لاَقَوْهُ).

ومثله قول أبو دُواد الإيادي [من الخفيف]:

ولقدْ رابَني ابْنُ عمّي كعبٌ أنَّهُ قدْ يَرُومُ ما لا يُرَامُ[٧٠٣]

ومثل ذلك في قرب المعنى وهوان الإبهام قول بعضهم: "إنَّهُ يَسَعُنِي ما يَسَعُكَ، ولا يَسَعُنِي شَيءٌ ويَضِيقُ عَنْكَ"[٧٠٤].

وقد يكون الموصول للعاقل، كما في الحديث الشريف: "أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ"[٧٠٥].

كما يجري هذا الباب على عمومه في العربية المحكية والمُعاصِرة، ومنه:

- "ربنا يتعب المُتعِب"[٧٠٦]. في هذا التركيب مفارقة بين موقع المفعول به ودلالة الفاعلية الصرفية في (المُتعِب)، ولا يخلو المعنى من استحقاق الجزاء، كأن في المفارقة تَعَادُل الدلالة على جهة الحصر بأنَّ الله لا يُتعب إلا الذي ثبت منه إتعاب الخَلْق وهنا موطن الاستحقاق، وهو من مُسْتَتبع التركيب.

---

[٦٩٦] ديوانه: ٣١١.

[٦٩٧] ينظر، تحرير التحبير: ٢٠٣.

[٦٩٨] ديوانه: ٤٠٨، وينظر، المثل السائر: ٢٧/٢.

[٦٩٩] المرجع السابق: ٢٧/٢.

[٧٠٠] التحرير والتنوير: ٦٧/١٠.

[٧٠١] ديوانه: ١٧٥.

[٧٠٢] دلائل الإعجاز: ١٥٨.

[٧٠٣] الأصمعيات: ١٨٧.

[٧٠٤] أساس البلاغة، وسع: ٥٠٦/٢.

[٧٠٥] صحيح البخاري (٥٩٨٧) حسب ترقيم فتح الباري: ٦/٨.

[٧٠٦] أولاد حارتنا: ١٣٥.

- "فعلَ (الأمرَ) مفعولَه: أثَّر، أحدث التأثير المتوقع"[٧٠٧]. يقال: "بدأ الدواء يفعلُ مفعولَه في جسم المريض بعد فترة من تناوله"[٧٠٨].
- "... ثم يدركُ ثم يعْمَلُ عَمَلَهُ المعجز"[٧٠٩].
- يقال: (فلان عَمَلْ عَمَايِلُه)، أي: عمل أعمالًا ماكرة أو شديدة التأثير أو مهولة.
- "أَعَدّ العُدَّةَ: للدلالة على التهيُّؤ والاستعداد"[٧١٠].
- "اِللِّي يِحْسبِ الحِسَابَاتْ في الهَنَا يْبَاتْ"[٧١١].
- "اِللِّي يْعَفَّرْ تَعَافِيرْ بِتِجِي عَلَى دْمَاغُهْ"[٧١٢].
- "اِللِّي يُعْقُدْ عُقْدَه يْحلَّهَا"[٧١٣].

الخلاصة في كل ذلك أنّ انتزاع (المفعول به) من مادة فعله يأتي- في الأعم الأغلب- متعانقًا مع الدلالة الصرفية لاسم المفعول للتناهي في المعنى المُثْبَتِ للمفعول به قبل تسلُّط الفعل عليه، وقد يجيء قليلا على الصيغة الصرفية لاسم الفاعل دالًّا على معنى الفَاعِلِيَّة لتحقيق المفارقة الدلالية، لتؤدي معنى التعادل والاستحقاق كما ذكرنا في غير موضع. ومفتاح الدلالة وسِرُّها العميق في كل ذلك (الحصرُ) الذي هو من مُستتبعات هذا الضرب من المتداعيات الاشتقاقية، وهو حكمٌ أغلبيٌّ تبَعٌ للسياق وإلا فأهل البلاغة لم يجعلوه قياسًا في بابه.

ب) (المشبَّه بالمفعول به) المشتق من مادة فعله.

الأصل في متعلقات الفعل (المفعول به)، لذا يطلق ابن الأثير على سائرها (المشبَّه بالمفعول به)[٧١٤]، كالجارّ والمجرور والمفعول فيه والحال.

معلومٌ أن شبه الجملة يأتي مسبوكًا من (حرف جر واسم مجرور) أو (ظرف ومضاف إليه)، وقد يأتي هذا الاسم المجرور من مادة فعله على خلاف الأصل، كما كان الحال مع (المفعول به) أيضًا، ليؤدي ذلك الاشتراك الجذري والدلالي ضربًا من توكيد العموم، كقوله تعالى: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ**

---

[٧٠٧] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ٣٦٨. (مفعوله): مفعول به، ويجوز الحمل على المصدر. فهو كقوله تعالى: (وَقَد مَكَرُواْ مَكرَهُم) [إبراهيم: ٤٦].

[٧٠٨] المرجع السابق: ٣٦٨.

[٧٠٩] وحي القلم: ٢١٩/٣. ويجوز في (عَمَلَهُ) أن تكون مفعولا مطلقًا على أقرب مأخذ أو مفعولا به بالاجتذاب إلى الاسمية على نحو ما حمل علماء العربية (سعيها) و(مكرهم) في قوله تعالى: (وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا) [الإسراء: ١٩]. وقوله تعالى: (وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ) [إبراهيم: ٤٦].

[٧١٠] معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٥٤.

[٧١١] الأمثال العامية: ١٠٣. "يقولون: (حسب حساب فلان) بمعنى عرف قدره واحترز منه، و(حسب حساب الأمور): قَدَّر عواقبها وهو المراد هنا، أي: من يفعل ذلك يَبِتْ آمنًا مطمئنًا".

[٧١٢] المرجع السابق: ١٠٨. "التعفير: إثارة التراب من الأرض، ولا ريب في أنَّ مَن يثيره يهبط على رأسه ويصيبه لا محالة. يُضْرب لمثير الفتن والشرور وما يصيبه من عواقبها".

[٧١٣] المرجع السابق: ١٠٨. "لأنَّ عاقد العقدة أعرف بها وبحلها وهو المُطَالَب بذلك قبل سواه، لأنه المتسبب".

[٧١٤] ينظر، البديع في علم العربية: ١٨٢/١.

ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ) [البقرة: ٢٨٢] ففي قوله (تَدَايَنتُم بِدَينٍ) توكيد[٧١٥]، "إذ يفهم من قوله (تَدَايَنتُم) قوله (بِدَينٍ)"[٧١٦].

قولـه تعـالى: **(وَمَـا أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ)** [البقرة: ٢٧٠]، فـأتَى "بالمميز في قوله: (مِن نَّفَقَةٍ)، و(مِن نَّذْرٍ)، وإنْ كـان مفهومًـا من قولـه: (وَمَـا أَنفَقْتُم)، ومن قولـه: (أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ)، لتأكيد اندراج القليل والكثير في ذلك"[٧١٧].

قوله تعالى: **(وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ)** [إبراهيم: ٤٥] في قوله **(وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ)** اشتراك في الجذر يدل على قرارهم مطمئني النفوس الغافلة في المكان سائرين سيرة من سبقهم من الظالمين دون اعتبار بما نزل بهم، وفي هذا الاشتراك في الجذر والدلالة تأكيد على كمال الحذو في الظلم وشدة الغفلة عن العاقبة[٧١٨]. ويزيد هذا المعنى إيغالا استعمال حرف الجر (في) الدال على استغراق القرار وغفلة الاطمئنان.

قوله تعالى: **(إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦)** [ص: ٤٦]، أي: جعلناهم خالصين بخَصلة خالصة لا شوب فيها، وهي ذكراهم الآخرة دائبًا، ونسيانهم إليها ذِكْر الدنيا[٧١٩]، "والباء في (بِخَالِصَةٍ) للسببية تنبيها على سبب عصمتهم. وعبر عن هذا السبب تعبيرا مجملا تنبيها على أنه أمر عظيم دقيق لا يتصور"[٧٢٠]، "ولذلك استحضر هذا السبب بوصف مشتق من فعل (أَخْلَصْنَاهُمْ)"[٧٢١] على نحو قول النبي- ε-: "إِنِّي تَحْضُرُنِي مِنْ اللَّهِ حَاضِرَةٌ"[٧٢٢]، "أي: حاضرة لا توصف، ثم بينت هذه الخالصة بأقصى ما تعبر عنه اللغة وهي أنها (ذِكْرَى الدَّارِ)"[٧٢٣].

الاشتراك الجذري والدلالي بين (أَخلَصنَاهم) و(بِخَالِصَة) جاء على جهة التعادل تأكيدًا على أن حُسن الجزاء مستحَقٌّ لهم لخلوصهم في ذكر الدار الآخرة لا يشوبونها بهمّ آخر، فجعلهم الله خالصين من كرب الآخرة.

وقولـه تعـالى: **(إِنَّـا زَيَّنَّـا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَـةٍ الْكَوَاكِبِ)** [الصافات: ٦] على قراءة التنوين في (بِزِينَةٍ)[٧٢٤]، ففي قوله (زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ) توكيد[٧٢٥]، "لأنه قد علم أن الكواكب زينة من تعليقه بفعل (زَيَّنَّا) من غير حاجة إلى إعادة (زِينَةٍ) لولا ما قصد من معنى التعليل والتوكيد"[٧٢٦].

---

[٧١٥] ينظر، البحر المحيط: ٣٧٤/٢.

[٧١٦] المرجع السابق: ٣٧٤/٢.

[٧١٧] المرجع السابق: ٣٣٥/٢.

[٧١٨] يدل على ذلك قول الزمخشري في [الكشاف: ٥٢٩/٢]:س "أي: قرّوا فيها واطمأنوا طيبي النفوس، سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد، لا يحدّثونها بما لقى الأوّلون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم، فيعتبروا ويرتدعوا وَتَبَيَّنَ لَكُمْ بالإخبار والمشاهدة كَيْفَ أهلكناهم وانتقمنا منهم".

[٧١٩] ينظر، الكشاف: ١٠١/٤، وروح المعاني: ٢٠١/١٢.

[٧٢٠] التحرير والتنوير: ١٧٠/٢٣.

[٧٢١] المرجع السابق: ١٧٠/٢٣.

[٧٢٢] موطأ مالك: ١٤٠٨/٥. هو حديث أكل الضبّ، و"أراد الملائكة الذين يَحْضُرونه. وحاضِرةٌ: صِفةُ طائفةٍ أو جَماعة". [النهاية في غريب الحديث: ٣٩٩/١].

[٧٢٣] التحرير والتنوير: ١٧٠/٢٣.

[٧٢٤] ينظر، معاني القرآن: ٣٨٢/٢.

[٧٢٥] ينظر، التحرير والتنوير: ١١/٢٣.

قوله تعالى: (**وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ**) [يوسف: ٥٩] هذا الاتفاق الجذري والدلالي في قوله (جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ) يدل على تمام التجهيز وكماله والزيادة فيه[٧٢٧]، يُقوّي ذلك قوله تعالى بعدُ (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ) [يوسف: ٥٩].

قوله تعالى: (**وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ**) [الأعلى: ٨]، "أي: نوفقّك توفيقًا مستمرًّا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علمًا وتعليمًا واهتداء وهداية"[٧٢٨]، وفي الاتفاق الجذري بين الفعل وشبه الجملة تمكين لمعنى التيسير على جهة العموم، فاتسعت كلمة (اليسرَى) لمعانٍ كثيرة[٧٢٩] تصبّ كلها في دلالة تقوية التيسير. ومن هذا البحر قوله تعالى: (**فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ**) [الليل: ٧].

وقوله تعالى: (**فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ٨**) [المدثر: ٨] وهو النفخ في البوق[٧٣٠] و"يقال: إنها أول النفختين"[٧٣١]. وجاء المجرور (الناقور) على "(فَاعُول) وهو زنة لما يقع به الفعل من النقر"[٧٣٢]، وصيغ من لفظ الفعل توكيدًا للنفخ وامتدادًا له كأنّه تمثيل للصوت المهول الذي يُدعَى به الخلقُ يوم القيامة، ولا يخفى ما في تكرار صوت (القاف) والمد في (الناقور) من إيقاع في النفوس لنصرة المعنى.

مما ورد من هذا الباب في الحديث الشريف: "أَتُحِبَّانِ أَنْ يُسَوِّرَكُمَا اللَّهُ بِسُوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟"[٧٣٣]. وفي الاشتراك الجذري بين الفعل وشبه الجملة دلالة على شدة الالتصاق تفظيعًا وتهويلا وتخويفًا. و"وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا"[٧٣٤]. و"وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[٧٣٥]. وفيهما توكيدٌ لعموم التصدُّق والمخالقة الحسنة. و"أَصْبِحُوا بِالصُّبْحِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلأَجْرِ، أَوْ لأَجْرِكُمْ"[٧٣٦]، بيانًا لشدة ملاصقة الصلاة لهذا الوقت، وتقوية لخيرية البدء بها قبل أي عمل. و"مَن تَعَزَّى بِعَزَاءِ الجاهلية فأعِضُّوه بِهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا"[٧٣٧]. و"مَن لم يَتَعزَّ بعَزَاءِ الله فليس منَّا"[٧٣٨]. و"وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا"[٧٣٩]. و"... فَقَالَ: قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ"[٧٤٠]، ومن تفسير هذا التركيب على جهة التداعي الاشتقاقي: "أَيْ: قدْ لَجأْتِ إلى ملجإٍ

---

[٧٢٦] المرجع السابق: ١٠/٢٣.

[٧٢٧] ينظر، روح المعاني: ٢٠١/١٢.

[٧٢٨] المرجع السابق: ٣١٩/١٥.

[٧٢٩] ينظر، المرجع السابق: ٩/٧.

[٧٣٠] ينظر، مفاتيح الغيب: ٩٨/٢٢.

[٧٣١] معاني القرآن: ٢٠١/٣.

[٧٣٢] التحرير والتنوير: ٢٧٩/٢٩.

[٧٣٣] سنن الترمذي: ٢٩/٣.

[٧٣٤] صحيح البخاري (١٤) حسب ترقيم فتح الباري: ١٣٧/٢.

[٧٣٥] سنن الترمذي: ٣٥٥/٤.

[٧٣٦] سنن ابن ماجة: ٢٢١/١.

[٧٣٧] الفائق في غريب الحديث: ٤٢٤/٢.

[٧٣٨] المرجع السابق: ٤٦٢/٢.

[٧٣٩] صحيح البخاري (١٤٢٣) حسب ترقيم فتح الباري: ١٣٨/٢.

[٧٤٠] المرجع السابق (٥٢٥٥) حسب ترقيم فتح الباري: ٥٣/٧.

ولُذْتِ بِمَلاذ"[٧٤١]، "ويقال للمستعيذ بالله: لقد عُذْتَ بِمَعَاذٍ"[٧٤٢]. و"إنَّ أنْخَع الأسْمَاءِ عنْدَ اللهِ أنْ يَتَسَمَّى الرَّجُلُ باسْمِ مَلِكِ الأمْلاكِ"[٧٤٣]. و"لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ع- كَانَ يُولِمُ بِالْوَلِيمَةِ مَا فِيهَا خُبْزٌ وَلاَ لَحْمٌ"[٧٤٤]. و"يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي"[٧٤٥]. و"أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ"[٧٤٦].

ويقوّي من التصاق الاسم بفعله- فضلا عن الاشتراك الجذري- استعمال حرف الجر (الباء)، ولا سيما ما يجوز فيه التعدي دون حرف جر.

وجاء فيه على جهة النفي: "لا يعجَلُ اللهُ لعَجَلةِ أحَدٍ"[٧٤٧]. و"قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ"[٧٤٨]، والنفي هنا بـ(غير) في تركيب شبه الجملة نفسه.

من هذا البحر قول امرئ القيس [من الوافر]:

بعزّهِمُ عَزَزْتَ وَإِنْ يَذِلُّوا فَذُلُّهُمُ أَنَالَكَ مَا أَنَالَا[٧٤٩]

وقوله أيضًا [من الطويل]:

تَدَاعَى بِدَعْوَى ساكنِ الريحِ مُدْجِري فَمَرَّ بِسَيْلٍ ما يَغِيضُ يُغَطْرِفُ[٧٥٠]

وقوله النابغة الذبياني [من الطويل]:

صِغارِ النَوى مَكنوزَةٍ لَيسَ قِشرُها إذا طارَ قِشرُ التَمرِ عَنها بِطائِرِ[٧٥١]

وقوله أيضًا [من الوافر]:

فَهَمَّ الطالبونَ ليطلبوه وما راموا بذلك من مَرَام[٧٥٢]

وقوله أيضًا [من الكامل]:

وَدِّعْ أُمَامَةَ إِنْ أَرَدْتَ رَوَاحَا وَطَوَيْتَ كَشْحًا دُونَهُمْ وَجَنَاحَا
بِوَدَاعِ لا مَلِقٍ ولا مُتَكَارِهٍ لا بَلْ يَعُلُّ تَحِيَّةً وَصِفَاحَا[٧٥٣]

وقول يزيد بن الصَّعِق [من الطويل]:

بَني أَسَدٍ ما تَأمُرونَ بِأَمرِكُم إِذا لَحِقَت خَيلٌ تَثوبُ وَتَدَّعِي

وقول نهار بنُ توسعة يرثي أخاه [من الكامل]:

---

[٧٤١] لسان العرب، عوذ: ٤٦٤/٩.

[٧٤٢] أساس البلاغة: عوذ: ١٤٦/٢.

[٧٤٣] الفائق في غريب الحديث: ٤١٤/٣، وأساس البلاغة، نخع: ٤٢٨/٢.

[٧٤٤] الموطأ: ٧٨٤/٣.

[٧٤٥] صحيح مسلم: ١٤٧٥/٣.

[٧٤٦] صحيح البخاري (٢٤٦) حسب ترقيم فتح الباري: ٧٠/١.

[٧٤٧] سنن البيهقي الكبرى: ٢١٥/٣.

[٧٤٨] المرجع السابق: ١٩٠/٨. ورواية هذا الجزء من الحديث في [صحيح البخاري (٣٦٠٦) حسب ترقيم فتح الباري]: ٢٤٢/٢]: "قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ".

[٧٤٩] ديوانه: ٣١١.

[٧٥٠] ديوانه: ٣٢٧. "يقول: هذا المطر تداعَى، يعني ردّد صوتًا بعد صوت. وساكن الريح، يريد السحاب".

[٧٥١] ديوانه: ٩٩.

[٧٥٢] ديوانه: ١٣٦.

[٧٥٣] ديوانه: ٢٠٠.

فَلِمَنْ أَقُولُ إذا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ أرِنِي برَأيِكَ أمْ إلى مَنْ أفزَعُ[٧٥٤]

وقول المُسَيَّب بن عَلَس [من الكامل]:

وَلَقَدْ تَنَاوَلَنِي بِنَائِلَةٍ فَأصَابَنِي مِنْ مَالِهِ سَجْلُ[٧٥٥]

وقول محمد بن مناذر [من الخفيف]:

حينَ تمَّتْ آدابهُ وتردَّى برداءٍ منَ الشَّبابِ جديدِ[٧٥٦]

وقول الأعشى [من الطويل]:

سَمِعتُ بِسَمعِ البَاعِ وَالجودِ وَالندى فأدلَيتُ دَلْوِي، فاستَقَتْ بِرِشائِيَا[٧٥٧]

وقول ابن الرومي [من الطويل]:

إلى اللَّه أشكو غُمّةً لا صباحُها يُنير ولا تنجابُ عني بجَائِبِ[٧٥٨]

ومنه ما جاء في الاعتصام للشاطبي: "يتَرَسَّمُون بِرْسَمِ الشيوخ..."[٧٥٩]. وكذا ما ورد في (أساس البلاغة): "الإمَّرُ وهو الأحمق الضعيف الرأي الذي يقول لغيره مُرْنِي بأمْرِك"[٧٦٠]. ويقال: "وفازَ بفائزَةٍ: أي بشيءٍ يَسُرُّه ويصيبُ به الفَوْزَ. وتقول: فاز فلان بفائزة هنيّة، وأجيز بجائزة سنيّة"[٧٦١]. ومنه ما ورد في (الألفاظ الكتابية): "يقال: توسَّل فلانٌ إليّ بوسيلة... ومتَّ إليَّ بِمَاتَّة،... وتذرَّع إليَّ بذريعةٍ"[٧٦٢]، و"تحصَّنَ القوم في حصونهم، ولجؤوا إلى ملاجئهم"[٧٦٣]. وفي المثل: "إذَا زَلّ العَالِمُ زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ"[٧٦٤].

ومن الاستعمالات المعاصرة في ذلك: "أدْلَى فلان بدلْوِه في الأمر: ساهم برأيه، شارك، اشترك في"[٧٦٥]. والتركيب منتزع من قوله تعالى: **(فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ)** [يوسف: ١٩] هذا على الحقيقة، "ثم جُعِل كلّ إلقاء قول أو فعل إدلاء، ومنه يقال للمحتج: أدلى بحجته، كأنه يرسلها ليصير إلى مراده"[٧٦٦]. وكذا "كالَ (فلان) بمكيالين: جارَ لم يعدل في الحكم"[٧٦٧]. وفلان يسمِّي الأشياء

---

[٧٥٤] شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٩٥٤/٢.

[٧٥٥] ديوانه: ١١٩.

[٧٥٦] الحماسة المغربية: ٨٤٢، وينظر، الكامل في اللغة والأدب: ٥٢/٤.

[٧٥٧] ديوانه: ٩١.

[٧٥٨] ديوانه: ٢٢٤/١.

[٧٥٩] الاعتصام: ٣٦/١.

[٧٦٠] أساس البلاغة، أمت: ١٩/١.

[٧٦١] المرجع السابق، فوز: ٢١٧/٢.

[٧٦٢] الألفاظ الكتابية: ٦١.

[٧٦٣] المرجع السابق: ١٨٦.

[٧٦٤] مجمع الأمثال: ٤٤.

[٧٦٥] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ٢٢.

[٧٦٦] مفاتيح الغيب: ٢٨٠/٥.

[٧٦٧] معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة: ٤٦، وينظر، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ١٢٤.

بأسمائها، أي: صريحٌ أو بذيء فَظٌّ[٧٦٨]. و"(صبغ... بصبغته): للتعبير عن سيادة صفات بعينها، وفرض طرف ما سيطرته على طرف آخر"[٧٦٩].

ومنه كذلك قولهم: (فلان تطبَّع بطبع فلان وتَخَلَّقَ بأخلاقه)[٧٧٠]، و(ائتمرَ بأمره)، "ورجل إِمَّرَةٌ: يقول لكل أحد مُرْنِي بِأَمْرِكَ"[٧٧١]، و"(تَزَيَّا بِزِيّ حسنٍ)"[٧٧٢]... وهلمَّ جَرًّا.

تبقى الإشارة إلى أنَّ الفرد النمطي لهذا التركيب هو مجيء الاسم المجرور نكرة، كما في (تَدَايَنتُم بِدَينٍ)، ويلحق به الاسم المضاف أو الموصوف، بحكم التعيين الذي يحقق درجة مغايرَة تبعده عن الفعل، لكن الاتفاق الجذري يظل ضابطًا يحقق التوكيد لاتفاق الدلالة من وجه آخر.

وقد ينحني التركيب على ذاته عبر (ما) الظرفية كقول الصلتان العبدي [من المتقارب]:

تموتُ مع المرء حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى له حاجةٌ ما بَقِي[٧٧٣]

"يريد أنَّ المرءَ ما دام حيًّا فمآربه وشهواته تتجددُ تجدُّدَ الأوقات، وأمانيه تتصل ما اتصل عمره"[٧٧٤]، وقد حَسُنَ في اتصال الأماني امتداد التركيب بإعادة الفعل (تبقَى) بعد (ما).

ومثله قول العباس بن الأحنف [من الطويل]:

فإن يَنْقطِعْ منكَ الرَّجاءُ فإنَّه سَيَبْقَى عليكَ الحُزْنَ ما بَقِيَ الدَّهْرُ[٧٧٥]

"إن كان الأمل فيك منقطعًا، والرجاء من إيابك متأخرًا مستبعدًا، فإن الحزن يبقى عليك ويتصل باتصال الأبد، لا يفتر ولا يتغير"[٧٧٦]. ففي قوله (ما بقي) تناهٍ في المعنى.

وتتسع دائرة التداعي الفعلي لتشمل (الحال) المؤكدة المشتقة من لفظ عاملها، لكنها قليلة مقارنة بالمفعول به وشبه الجملة، وأبلغُ شاهد عليها قوله تعالى: **(وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا)** [النساء: ٧٩] والأقوى- كما يذهب أبو حيان- انتصاب "(رَسُولًا) على الحال المؤكدة"[٧٧٧].

وكذا (تُقَاةً) في قوله تعالى: **(إِلَّآ أَنْ تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَاةً)** [آل عمران: ٢٨] فهي حال مؤكدة من لفظ عاملها[٧٧٨].

قوله تعالى: **(وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ)** [النحل: ١٢] بقراءة النصب في **(وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ)**[٧٧٩]، و(مُسَخَّرَاتٍ) حال مؤكدة من لفظ عاملها (سَخَّرَ)[٧٨٠].

---

[٧٦٨] ينظر، المرجع السابق: ٣٣٠.

[٧٦٩] معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ١٢٤.

[٧٧٠] وجاء فيه من عفو كلام الدماميني: "وهذا تخلُّقٌ بأخلاق الله" [مصابيح الجامع: ٣٧٧/٣].

[٧٧١] أساس البلاغة، أمت: ١٩/١، وينظر، الفائق في غريب الحديث: ٥٩/١.

[٧٧٢] المرجع السابق، زيي: ٤١٥/١.

[٧٧٣] شعر الصلتان العبدي: ٢٩.

[٧٧٤] شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١٢١٠/٣.

[٧٧٥] المرجع السابق، المجلد الأول: ٩٠٠/٢، وينظر، الحماسة البصرية: ٧٥٩.

[٧٧٦] المرجع السابق، المجلد الأول: ٩٠٠/٢.

[٧٧٧] البحر المحيط: ٣١٤/٣، وينظر، شرح التسهيل: ٣٥٧/٢. وقد فصَّل أبو حيان في [التذييل والتكميل: ١٥٣/٩-١٥٩] الخلاف بين العلماء في اتفاق (الحال وعاملها) لفظًا.

[٧٧٨] ينظر، الدر المصون: ١١١/٣.

[٧٧٩] ينظر، كتاب السبعة في القراءات: ٣٧٠.

ومن هذا البحر في الحديث: "صَلَّى رَسُولُ اللهِ -ε- صَلاَةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِمًا"[٧٨١]، فـ(قَائِمًا) حال مؤكدة للفعل (قام)[٧٨٢].

"ومنه قول امرأة من العرب [من الرجز]:

قُمْ قائِمًا قُمْ قائِمَا صادَفْتَ عَبْدًا نَائِمَا"[٧٨٣]

فـ"(قائما) حالا مؤكدة"[٧٨٤]، وكذا قول بشر بن أبي خازم [من الوافر]:

كَفى بِالنَأيِ مِن أَسماءَ كافي وَلَيسَ لِحُبِّها إِذ طالَ شافي[٧٨٥]

"أي: كافيًا"[٧٨٦]، وهي حال مؤكدة من لفظ عاملها[٧٨٧]، "لأنه إذا كفى فهو كافٍ لا محالة"[٧٨٨].

"وقول الشاعر [من البسيط]:

أَصِخْ مُصيخًا لِمَنْ أَبدَى نَصيحَتَهُ والزَمْ تَوَقِّيَ خَلْطِ الجِدِّ بِاللَّعِبِ"[٧٨٩]

فـ(مُصيخًا) حال مؤكدة من لفظ عاملها (أَصِخْ).

ج) التداعي الاشتقاقي في حيز الفعل.

قد يقع التداعي الاشتقاقي في حيز الفعل- وما في حكمه- دون أن يكون الفعل من مادة التداعي، لكنه المركز الذي تدور في فلكه المتداعيات الاشتقاقية، إذ يتجاذب الفاعل مع المفعول به أو شبه الجملة اشتقاقيًّا، أو المفعول به مع شبه الجملة في حيز الفعل، ومن ذلك:

قوله تعالى: **(هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ)** [المائدة : ١١٩] والمعنى أنَّ الصدق الذي كان من الصادقين في الدنيا ينفعهم في الآخرة[٧٩٠]، وفي الآية أوجهٌ فـ(الصادقون) "هنا النبيون وصدقهم

---

[٧٨٠] ينظر، شرح التسهيل: ٣٥٧/٢، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٧١/٢، والتذييل والتكميل: ١٥٩/٩، وشرح شافية ابن الحاجب: ١٧٧/١، وهمع الهوامع: ٤١/٣. وجاء في [روح المعاني: ٣٥٢/٧]: "وجوز بعض أجلّة المعاصرين أن يكون حالا مؤكدة بتقدير (بِأَمْرِهِ) متعلقا بـ(يَسْخَرْ)"، وتقدير عامل مغاير في اللفظ ولو بالتعلُّق استبطانٌ لمبدأ (تغاير الحُكم والمحكوم عليه)، وفي التركيب توجيهاتٌ أُخَرُ أوردها الآلوسي وغيره من أهل التفسير يُلْحَظ فيها جميعًا استبطان مبدأ التغاير. وهذه التوجيهات النحوية المختلفة تجري على كل تركيب شبيه.

[٧٨١] سنن البيهقي الكبرى: ١٢١/١٠، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٦١٩.

[٧٨٢] وجَّه الطيبي التركيب (قَامَ قَائِمًا) على أن (قائمًا) "اسم فاعل أقيم مقام المصدر... فكأن قيامه- ε- صار قائمًا على الإسناد المجازي، كقولهم: نهاره صائم وليله قائم"[شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٦١٩].

[٧٨٣] التذييل والتكميل: ١٥٩/٩، وينظر، شرح التسهيل: ٣٥٧/٢، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٧١/٢، وشرح شافية ابن الحاجب: ١٧٦/١.

[٧٨٤] شرح شافية ابن الحاجب: ١٧٦/١، وينظر، التذييل والتكميل: ١٥٩/٩.

[٧٨٥] ديوانه: ١٤٢. وثمة رواية أخرى بحذف الياء من (كافي) في بعض نسخ الديوان كما أشار المحقق، وقد جعلها أهل اللغة والنحو شاهدًا على معاملة الشاعر المنقوص في حالة النصب كما يعامله في حالة الرفع والجر فحذف الياء [ينظر، شرح شافية ابن الحاجب: ١٧٦/١، ١٧٧].

[٧٨٦] شرح شافية ابن الحاجب: ١٧٦/١.

[٧٨٧] ينظر، المرجع السابق: ١٧٦/١، والمحكم والمحيط الأعظم: ٤٢٣/١،

[٧٨٨] الخصائص: ٢٧٠/٢.

[٧٨٩] التذييل والتكميل: ١٥٩/٩، وينظر، شرح التسهيل: ٣٥٧/٢.

[٧٩٠] ينظر، البحر المحيط: ٦٨/٤.

تبليغهم، أو المؤمنون وصدقهم إخلاصهم في إيمانهم أو صدق عهودهم أو صدقهم في العمل لله تعالى، أو صدقهم تركهم الكذب على الله وعلى رسله أو صدقهم في الآخرة في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ"[٧٩١]. ولا يمتنع "العموم فكلُّ صادقٍ ينفعه صدقه"[٧٩٢]. والتجاذب الاشتقاقي بين الفاعل والمفعول به مما يؤكد هذا العموم الذي يتضمنه التركيب، وهو ما يبلغ بالنظم القرآني هذه الدرجة من يسر الذكر مع البيان المعجز.

نظير ذلك التجاذب بين المفعول به وشبه الجملة في قوله تعالى: **(لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا)** [الأحزاب: ٨] أي: "ليسأل يوم القيامة الأنبياء، ووَضَعَ الصَّادِقِينَ مَوْضِعَ ضَمِيرِهِمْ لِلْإِيذَانِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا سُئِلُوا عَنْهُ"[٧٩٣]، فسؤالهم "تشريف لا تعنيف"[٧٩٤]، إذ الصدقُ مثبتٌ لهم ابتداءً، ففي ذكر الصدق مرتين مزيد تأكيد لإثابتهم من جهة وتبكيت الكافرين[٧٩٥] من جهة أخرى، وهو المعنى الناظر إلى قوله تعالى: **(لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ)** [الأحزاب: ٢٤] بالحمل على عموم اللفظ وهو أصْلٌ عند أهل التفسير[٧٩٦].

منه كذلك قوله تعالى: **(وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا)** [لقمان: ٣٣] "وعُبِّرَ فيها بـ(مَوْلُودٌ) دون (وَلَد) لإشعار (مَوْلُودٌ) بالمعنى الاشتقاقي دون (وَلَد) الذي هو اسم بمنزلة الجوامد لقصد التنبيه على أن تلك الصلة الرقيقة لا تخوّل صاحبها التعرض لنفع أبيه المشرك في الآخرة وفاء له بما تومئ إليه المولوديَّة من تجَشُّم المشقة من تربيته، فلعله يتجشم الإلحاح في الجزاء عنه في الآخرة حسمًا لطمعه في الجزاء عنه، فهذا تعكيس للترقيق الدنيوي في قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء: ٢٤]"[٧٩٧]. ونظيره قوله تعالى: **(لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ)** [البقرة: ٢٣٣].

قد يأتي الفاعل منفكًّا في صورة (الموصول وصلته) متجاذبًا مع المفعول به، كما في قوله تعالى: **(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ)** [البقرة: ٢٨٣]، "أي: فليؤدِّ المديونُ الذي كان أمينًا ومؤتمنًا في ظن الدائن، فلا يخلف ظنه في أداء أمانته وحقه إليه"[٧٩٨]. "وأُطْلِقَت (الأمانة) على الشيء المؤمَّن عليه، من إطلاق المصدر على المفعول"[٧٩٩]، وسُمِّي (الدَّيْن) الذي في الذمة (أمانة) لتأكيد ضمانه للائتمان عليه بترك الارتهان به[٨٠٠]. هذا التجاذب الاشتقاقي بين الفاعل والمفعول تقوية للمعنى المراد وهو (توقع أداء الأمانة)، إذ إنَّ ترك المكاتبة والإشهاد[٨٠١] يتطلب هذا الحضور الكثيف لمعنى الأمانة على الجهة المذكورة.

---

[٧٩١] المرجع السابق: ٦٨/٤، وينظر، روح المعاني: ٦٨/٤.

[٧٩٢] المرجع السابق: ٦٨/٤، وينظر، روح المعاني: ٦٨/٤.

[٧٩٣] تفسير أبي السعود: ٤٠٢/٤.

[٧٩٤] روح المعاني: ٢٧٥/١١.

[٧٩٥] ينظر، الكشاف: ٥٣٣/٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/١٤.

[٧٩٦] ينظر، البحر المحيط: ٥٠٥/٣.

[٧٩٧] التحرير والتنوير: ١٣٣/٢١.

[٧٩٨] مفاتيح الغيب: ١٠١/٧.

[٧٩٩] التحرير والتنوير: ٥٨٦/٢.

[٨٠٠] ينظر، روح المعاني: ٦١/٢.

[٨٠١] ينظر، مفاتيح الغيب: ١٠١/٧.

من هذا الباب قول النابغة الذبياني [من الوافر]:

سَأَرْعَى كلَّ ما اسْتُودِعْتُ جَهْدِي وَقَدْ يَرْعَى أَمَانَتَهُ الأَمِينُ[٨٠٢]

وقول امرئ القيس [من الطويل]:

نَوَاعِمَ يُتْبَعْنَ الهَوَى سُبُلَ الرَّدَى يَقُلْنَ لِأَهْلِ الحِلْمِ ضُلَّا بِتَضْلَالِ[٨٠٣]

"وقوله (ضُلَّا بِتَضْلَالِ)، أي: يَعْذُلْنَ أهلَ الحِلم والنُّهَى عن الصّبَا ويُضلِلْنَ قولهم وفعلهم. ويحتمل أن يكونَ هذا مثلًا وإن لم يقلن شيئًا، أي: مَن نَظَرَ إليهن هَوَيْهُنَّ وضلَ فيهنّ، فكأنهنّ دعوْنَه إلى ذلك"[٨٠٤]. ودلالة التركيب على الإغراق في ضلال الهوى بَيّن.

وقوله أيضًا [من الطويل]:

وإني مقيمٌ للصديقِ صداقتِي عَزوفٌ إذا ما المرءُ ولَّانِيَ القَفَا[٨٠٥]

وقول النابغة الذبياني [من البسيط]:

وأقطعُ الخَرْقَ بالخَرْقَاءِ قد جَعَلَتْ بعدَ الكَلَالِ تَشَكَّى الأيْنَ والسَّأَمَا[٨٠٦]

"الخَرْق: الواسع من الأرض الذي تتخرَّق فيه الرياح. والخَرْقَاء: التي كأنَّ بها هَوَجًا من نشاطها"[٨٠٧]، فكأنها تخترق الرياح سَبْقًا. والتداعي متحقق بينهما برغم أنّ (الخرقاء) صفة غالبة.

وهو بابٌ سائغٌ يجري عَفْوًا على أقلام العلماء، ومنه قول المرزوقي: "يلتذُّ الناظر بالنظر إليها"[٨٠٨]، وكان يمكن أن يقول: (يلتذُّ الناظر إليها) بغير إقحام (بالنظر).

وبعدُ، فهذه كلُّها ضروبٌ مختلفةٌ من (التداعي الاشتقاقي المبدوء بفعل) تدرجت فيها العربية من العلاقة الإسنادية بين (الفعل والفاعل) حقيقة ومجازًا إلى (الفعل ومعمولاته) حتى انتقلت أصداء التداعي إلى حيز الفعل ليكوّن محيطًا تجاذبيًّا بين (الفاعل والمفعول به أو شبه الجملة) لتتسع الدائرة إلى مداها الفعلي الأقصى خافت الصدى، لتباعده عن أصل التداعي الاشتقاقي الإسنادي بين (الفعل وفاعله)، وهو المركز الثائر الذي منه انبعثت كل هذه الترددات والأصداء.

النمط الثاني: التداعي الاشتقاقي المبدوء باسم.

المتداعيات الاشتقاقية بيئتها الأصيلة هي الفعل، ولا يمنع ذلك أن يبدأ هذا التركيب الاشتقاقي باسمٍ، إذ يبقى المعنى الفعلي حاضرًا في أوصال التركيب، فمعاني التأكيد والمبالغة هي مَعَانٍ وصفية خارجة من صُلب الفعل أو ما كان في حكمه.

إن جذور هذه الظاهرة الاشتقاقية- في مستوى التركيب المبدوء باسم- تمتد إلى صورته الصوتية البدائية عبر التكرير الصوتي الساذج في مركب من كلمتين الثانية منهما صدى بدائي مغروس في فطرة اللسان يجري سهلا لتقوية المعنى في أكثر صور التوكيد سذاجة.

وقد أطلق أهل اللغة على هذه الظاهرة (الإتباع)، "وهو أن تَتبعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها إشباعًا وتأكيدًا"[٨٠٩]، والأصل فيه ألا يكون بالواو[٨١٠]، كقولهم: شَيْطَانٌ لَيْطَانٌ، وحَسَنٌ بَسَنٌ أو

---

[٨٠٢] ديوانه: ٢١٨. والمعنى- كما هو ظاهر- يقتضي أن تكون (قد) للتحقيق.

[٨٠٣] ديوانه: ٣٥.

[٨٠٤] ديوانه: ٣٥.

[٨٠٥] ديوانه: ٣٣٥.

[٨٠٦] ديوانه: ٦٤.

[٨٠٧] ديوانه: ٦٤.

[٨٠٨] شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ٤/ ١٥٨٨.

قَسَنٌ، وجَائعٌ نَائِعٌ، وسَاغِبٌ لاغِبٌ، وعطشان نطشان، وصَبٌّ ضبٌّ، وخرابٌ يَبَابٌ، وخَبيثٌ نَبِيثٌ، وعِفريتٌ نِفريتٌ، وسَمِجٌ لَمِجٌ، وشقيح لقيح... وهَلُمَّ جرًّا[٨١١].

وظاهرٌ جدًّا سذاجةُ اللفظ الثاني في هذه المركبّات لغلبة الإتباع الصوتي عليه، حتى أنكر أكثر أئمة اللغة أن يكون له معنى مستقل، "والدليل على ذلك كونه توكيدًا للأول غيرَ مُبيّن معنى بنفسه عن نفسه"[٨١٢]. واجتهد فريقٌ آخرُ لتأصيل معاني هذه الألفاظ بالرجوع إلى جذرها الاشتقاقي وحملِها من الجهة الإعربية على الصفة[٨١٣]، ليمنحوها شيئًا من الاستقلال. ولا شك أنها تتفاوت في مدى احتمالها لمعنى خاص بها حسب سذاجتها أو ارتقائها. لكنَّ هذا الوهن الدلالي بَدَا صداه جليًّا في التصاقها التركيبي بالكلمة الأولى، إذ تأتي الكلمة الثانية "تابعةً للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يُتَكَلَّم بالثانية منفردة، فلهذا قيل إتباع"[٨١٤].

لغموض معناها سُئِلَ بعضُ العرب عن ذلك، "فقال: هو شَيءٌ نَتِدُ[٨١٥] به كلامنا"[٨١٦]، أي: نُثْبِتُه ونؤكده.

هذا الغرض متحقِّقٌ في كثير من نظائر هذه (المركَّبات) أو ما يشبهها في العامية، كقولهم: "فِلان وعِلّان، وبعضهم يزيد: تِرتَان. عِيَاط وشِيَاط. حفرة جفرة، كأنها إتباع"[٨١٧]. "ومما يشبه الإتباع قولهم: من ماله وصُلب حاله. فجل مجل. كلّ حين ومين. كاني ماني، دكان الزلباني. حصيرة مصيرة. عفش نفش"[٨١٨].

كذا قولهم: "حالًا وآلًا[٨١٩]. عليه قِيمهْ وسِيمهْ، والسِّيمَهْ لها معنى، ولكنهم لا يستعملونها إلا مع القِيمَة. في سَلْقَط ومَلْقَط[٨٢٠]. خَرْم بَرْم. خِرْت بِرْت.

ومنه قولهم: شَقْلَى بَقْلَى، وهو إتباع إلا أنَّ فيه شيئًا من النحت لأنه كناية عن الشقلبة.

---

[٨٠٩] الصاحبي: ٤٥٨.

[٨١٠] ينظر، المزهر: ٤١٥/١. أمَّا المزاوجة فيكثر فيها العطف. ينظر، الإتباع والمزاوجة: ٢٨، وما بعدها.

[٨١١] ينظر، الصاحبي: ٤٥٨، والإتباع والمزاوجة: ٢٨، وما بعدها، وفقه اللغة وسر العربية: ٤١٥، والمزهر: ٤١٤/١-٤٢٥.

[٨١٢] المزهر: ٤٢٤/١.

[٨١٣] ينظر، الصاحبي: ٤٥٨، والإتباع والمزاوجة: ٢٨- وما بعدها، والمزهر: ٤١٤/١- ٤٢٥. ومنه مثلا ما جاء في [المخصص: ٢١٤/٤]: "شَيْطَانٌ لَيْطَان مأخوذ من قولهم: لاطَ حُبُّه بقلبي يَلوطُ ويَليط: أي لَصِقَ، ويُقال: لاطَ القاضي فلاناً بفُلان: أي أَلْحَقه به، فمعنى قولهم شَيْطَان لَيْطَان: شَيْطَانٌ لَصوق".

[٨١٤] المزهر: ٤١٥/١.

[٨١٥] (نتِدُ) مشتقّ من (الوتد)، كأنهم يُثبتون به الكلام تأكيدًا.

[٨١٦] الصاحبي: ٤٥٨، وينظر، المزهر: ٤١٥/١.

[٨١٧] معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية: ٩٩/١.

[٨١٨] المرجع السابق: ٩٩/١.

[٨١٩] ويقولون أيضًا: (حالًا بالًا)، بغير واو، وهو الأصل في الإتباع. وجاء في [ديوان امرئ القيس، الهامش (١): ٣٠٨]: "والحال والبال واحد".

[٨٢٠] ويستعملونها دون الواو أيضًا.

حاجـة ومحتاجـة: كأنهـا مـن الإتبـاع. ويقولـون: أشـوف حاجـةْ أشـوف محتاجـةْ. وحاجـات ومحتاجات"[٨٢١].

"ومما يشبه الإتباع قولهم: في غاية ونهاية. شلضم بلضم، ولعله ليس منه، لأنَّ مجموع الاثنين كناية عن الرطانة التركية. أحلس أملس، ليس من الإتباع بل يشبهه. وقولهم: (حيطي ميطي) لا معنى لكل لفظ بمفرده بل مجموعهما يدلّ أنَّ الشيء المراد بهما التافه"[٨٢٢].

المتتبّعُ للغة الأطفال يجد في هذا الباب من التوليدات الصوتية الطريفة ما لا حصر له، ففيها- فضلا عن التوكيد- إغراء نغمي تستعذبه الفطرة الساذجة، ومن ثمّ كان موطن فُشَوّه ألسنة العامة ومآتم النساء والأطفال. وقد نبّه العلماء على هذا الجانب التنغيمي فأشاروا إلى أنَّ (الإتباع) يأتي "على وجهين:

أحدهما: أن تكون كلمتان متواليتان على رَوِيٍّ واحد.

والوجه الآخر: أن يختلف الرويَّان"[٨٢٣].

ولا شكّ أنَّ هذه الظاهرة مغروسة في عامة الطبع الإنساني، لذا حَسُن حكمُ أئمة العربية في قولهم: "وقد شاركت العَجَمُ العربَ في هذا الباب"[٨٢٤].

وهذا الضرْب هو أمثل تركيب للصوت وصداه، فتلك الأصداء الصوتية البدائية للتداعي الاشتقاقي أو ما يشبهه مما يجري سذاجة على ألسنة تقودها البداهة هي عتبةُ العبور إلى أنماط اشتقاقية أكثر تركيبًا وتعقيدًا في بنائها، وأقربُها رُحمًا بهذا النسق الصوتي (التداعي الوصفي الاشتقاقي) فعليه وجَّه بعض أهل اللغة هذه المتداعيات الصوتية البدائية.

ويأتي هذا الضرب من (المتداعيات الاشتقاقية) في علاقات نحوية رأسُها اسمٌ يتبعه صداه المشتق منه، وتتنوَّع صورُهَا بين (التداعي الوصفي) و(التداعي الإضافي) و(التداعي التمييزي)، وذلك على النحو الآتي:

أولا: التداعي الوصفي اللفظي:

يأتي الوصف المشتق من مادة موصوفه على وجهين:

أ) الوصف بالمفرد.

تُمَثِّلُ (المتداعيات الصوتية) المنبع الأول لنهر المتداعيات الاشتقاقية التي يتصدرها الاسم، وفرعها اللصيق (التداعي الوصفي)، إذ هو مَبْنِيٌّ على النسق نفسه في ضرْب تركيبي أعلى ذائقة وأرفع بيانًا وأليق بالنمط العالي من الكلام، ومن عبارات أهل اللغة والنحو التأسيسية الدَّالة على ذلك قول المرزوقي: "من شأنهم أن يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه بناءً يتبعونه به تأكيدًا وتنبيهًا على تناهيه في معناه. على ذلك قولهم: ظلٌّ ظليلٌ، وداهيةٌ دهياءُ، وشعرٌ شاعرٌ"[٨٢٥]. وفي وفي قوله (يُتبعونه) دلالة قاطعة على صدق الفكرة.

هذا الباب طريقٌ نهجةٌ وأصلٌ كبير نبّه عليه أئمة اللغة فاستقصوه في كلام العرب، ومنه مثلا ما جاء في المزهر تحت عنوان (ذِكر الألفاظ التي جيء بها توكيدًا مشتقة من اسم المؤكَّد)[٨٢٦]: "يقال: كان ذلك في الجاهليةِ الجهلاءِ وهو توكيد للأول يشتق له من اسمه ما يؤكد به، كما يقال: وَتِدٌ واتِد،

---

[٨٢١] معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية: ١/١٠٠.

[٨٢٢] المرجع السابق: ١/٩٩.

[٨٢٣] الإتباع والمزاوجة: ٢٨، وينظر، المزهر: ١/٤١٤.

[٨٢٤] الصاحبي: ٤٥٨، وينظر، فقه اللغة وسر العربية: ٤١٥، والمزهر: ١/٤١٤.

[٨٢٥] شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٢/٥٨٣، ٥٨٤.

[٨٢٦] المزهر: ٢/٢٤٦.

ووبْل وابل، وحضْج حاضج وهو الماء الكدر يبقى في الحوض. وهَمَج هامج"[٨٢٧]. و"ليلٌ لائل، وشُغْل شاغل، وشيْب شائب، وموت مائت، وويْل وائل، وذيل ذائل وهو الخزي والهوان. وصِدْقٌ صادق، وجُهدٌ جاهد، وشِعْرٌ شاعرٌ، وعام عائم"[٨٢٨]، و"حاجةٌ حائجةٌ على المبالغة والتحوّج"[٨٢٩]، "وقيظٌ قائظٌ: شديد"[٨٣٠]، "ورَبِيعٌ رابِعٌ: مُخْصِبٌ على المبالغة"[٨٣١].

"ويقال: حِصْنٌ حَصين. ويقال: زِبْرِج مُزَبرج"[٨٣٢]، وهي الزينة الكثيرة. و"عَجَبٌ عاجبٌ وعَجيبٌ وعُجَابٌ في معنى مُعجِب. وجاء بالوامِئة الوماء، وهي الداهية. وإبل مُؤَبَّلة، أي: مُكَمَّلة وقيل هي الجماعة من الإبل"[٨٣٣]، "ودراهم مُدَرْهَمة، وبِدَرٌ مُبَدَّرة"[٨٣٤]، "ودنانير مُدَنَّرة"[٨٣٥].

ويقال: "غَنَمٌ مُغَنَّمَةٌ، كقولك: وإبلٌ مُؤَبَّلَة، أي: مجتمعة"[٨٣٦]، وتقول: غَنائم مُغَنَّمَةٌ[٨٣٧]، أي: كثيرة مضاعفة[٨٣٨]. "وأَمْرٌ إِمْرٌ، أيْ: عَجَبٌ"[٨٣٩].

و"يقال: هذا ليلٌ أليَلُ، ويومٌ أيْوَمُ إذا كان صعبًا شديدًا في قتال أو حرب. ويقول آخرون: يَوْمٌ يَوِمٌ"[٨٤٠]. ويقال: "ليلٌ ليليٌّ"[٨٤١]. "وإذا نَعتُوا الصَّخْرةَ, قالوا: صَفَاةٌ صَفْوَاءُ, وإذَا ذَكَّرُوا قالوا: صَفًا صَفْوَان"[٨٤٢]. و"يقال: ليلةٌ ليلاءُ، وليلٌ لُيَّلٌ، وظُلمةٌ ظَلْماءُ، ودهرٌ داهرٌ"[٨٤٣]. و"فَحْلٌ فَحِيلٌ، أي: مستحكم في الفِحْلة. وراحلة رَحيل، أي: قوية على الرّحلة مُعَوَّدة لها"[٨٤٤]. ويقال: السَّوْءة السَّوَأى. وهَلَكةٌ هلْكاءُ، أي: عظيمة شديدة. وداهيةٌ دَهْياء ودَهْواء. وأبوابٌ مُبَوّبة، وأصناف مصنَّفة، وعرَبٌ عاربةٌ وعرباءُ، وحِرْزٌ حريزٌ، وساعةٌ سوْعاءُ، أي: شديدة. ودهْرٌ دهاريرُ، أي: شديد. وقَطاةٌ

---

[٨٢٧] المزهر: ٢/٢٤٦.

[٨٢٨] المرجع السابق: ٢/٢٤٦.

[٨٢٩] المخصص: ٣/٤١٥.

[٨٣٠] أساس البلاغة، قيظ: ٢/٢٩٩.

[٨٣١] لسان العرب، ربع: ٥/١١٦.

[٨٣٢] المزهر: ٢/٢٤٧.

[٨٣٣] المرجع السابق: ٢/٢٤٧.

[٨٣٤] الحيوان: ٦/٢٣٠.

[٨٣٥] معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٤٥٥.

[٨٣٦] أساس البلاغة، غنم: ٢/١٧٦.

[٨٣٧] ينظر، المرجع السابق، غنم: ٢/١٧٦.

[٨٣٨] من الاستعمال الشائع في العربية المعاصرة للدلالة على الكثرة العددية غير المحدودة في هذا الباب: (ألوفٌ مؤلّفة) و(ملايين مُمَلْيَنَة) و(مليارات مُمَلْيَرة).

[٨٣٩] المزهر: ٢/٢٤٨.

[٨٤٠] المرجع السابق: ٢/٢٤٨.

[٨٤١] المرجع السابق: ٢/٢٤٨.

[٨٤٢] مفاتيح الغيب: ٤/١٣٥.

[٨٤٣] المزهر: ٢/٢٤٨.

[٨٤٤] المرجع السابق: ٢/٢٤٨.

قطواء[٨٤٥]. ويقال في جنون الكَلْب: (كَلْبٌ كَلِبٌ)[٨٤٦]... وغيرها. على المبالغة في كل ذلك، فالمعنى مكرر مضاعف، إذ هو من باب (جَدَّ جِدُّه) على الإسناد المجازي[٨٤٧].

ونظير (قَطَاةٌ قَطْوَاء) في العامية المصرية (قُطَّهْ مِقَطْقَطَهْ) و(الشمس الشمّوسهْ)، باشتقاق الصفة من الاسم الجامد على جهة التناهي في التمليح والتدليل، وللعامة في ذلك أفانين في توليد الصفات من أجناس الجوامد الموصوفة[٨٤٨].

والأصل- كما هو مقرَّر- في الموصوفات أن تكون أسماء جامدة[٨٤٩]، فما جاء منها مصادر كـ(موتٌ مائتٌ) فهي مُنَزَّلَةٌ مَنْزِلَةَ الأعيان[٨٥٠].

قد تُعيد العرب نسج بعض هذه التراكيب في صورة (المبتدأ والخبر)، وكلاهما- الصفة والخبر- من وادٍ واحدٍ على ما هو مقرر في القواعد الأصول، كقول الشَّنْفَرَى [من الطويل]:

فأَيَّمْتُ نِسْوانًا وأَيْتَمْتُ إِلْدَةً وعُدْتُ كما أَبْدَأْتُ واللَّيْلُ أَلْيَلُ[٨٥١]

فقوله: (واللَّيْلُ أَلْيَلُ) محوّل عن التداعي الوصفي (ليلٌ أليلُ)، يقول التبريزي: "أليلُ: ثابتُ الظلمةِ مُسْتَحْكِمُها، يقال: نَهارٌ أَنْهَرُ، وشهرٌ أَشْهَرُ، ودَهْرٌ أَدْهَرُ إذا كَمُلَ"[٨٥٢]. وظاهرٌ أنَّ التفسير لم يفلت من هيمنة التداعي الوصفي للتركيب.

ونظيره كذلك (والدهرُ دَهاريرُ) في قول جَبَلَةَ العُذْرِيّ الغَسَّانيّ [من البسيط]:

حتَّى كأنْ لم يكنْ إلا تَذكُّرُهُ والدهرُ أَيَّتَمَا حالٍ دهاريرُ[٨٥٣]

والأصلُ بناءُ التركيب على الوصف (دَهرٌ دهاريرُ)[٨٥٤] بانتزاع الصفة من الموصوف للمبالغة في تقلب الزمان وتغير الأحوال.

ومثله قول الشريف الرضي [من البسيط]:

---

[٨٤٥] ينظر، المزهر: ٢/٢٤٨، ٢٤٩.

[٨٤٦] ينظر، عقلاء المجانين: ٥٧.

[٨٤٧] ينظر، شرح شافية ابن الحاجب: ٢/ ٨٨.

[٨٤٨] ومما يجري على ألسنتهم توليدًا: (عَفْرِيت مِعَفْرَت)، (قِرِد مِقَرْدَن) بالنون بدلا من الدال، و(كلبٌ كَلْبوب أو مِكَلْبَب)، و(زِفْت مِزَفَّت)، و(قَطْرَان مقَطْرَن)... وغير هذا كثير مما يمكن تتبعه في كلامهم.

[٨٤٩] يقول سيبويه: "الموصوفة في الأصل هي الأسماء" [الكتاب: ١/٢٢٨].

[٨٥٠] ينظر، أمالي ابن الشجري: ١/١٠٨.

[٨٥١] ديوانه: ٧٠.

[٨٥٢] شرح لامية العرب: ١٧٠، وينظر، شروح لامية العرب: ٧٢.

[٨٥٣] في نسبة القصيدة الوارد فيها هذا البيت اختلاف. ينظر، الحماسة البصرية: ٩٢٥.

[٨٥٤] يقال: "دَهْرٌ دَهَارِيرُ، أَي: شَدِيدٌ... وكذا (دَهْرٌ دَهِيرٌ)، و(دَهْر داهِرٌ) مُبَالغَةٌ، أَي: شَدِيدُ، كقولهم: أَبَدٌ آبِدٌ، وأَبَدٌ أَبِيدٌ" [تاج العروس، دهر: ٣٤٩]. "وواحدُ الدَّهارِيرَ دَهْرٌ على غير قياس، كما قالوا: ذَكَرٌ ومَذاكِيرُ وشِبْهٌ ومَشَابِهِ فكأَنها جمع مِذْكارٍ ومُشْبِهٍ وكأَنّ دَهارِير" [لسان العرب، دهر: ٤/٤٢٥]. وقيل: "دَهَارِير الدَّهْرِ أوائِلُه لا واحدَ له" [المخصص: ٢/٤٠٠].

وَإن أَعيشَ بَعيدًا مِن لِقائِكُمُ ظَمآنَ قَلبٍ وَذاكَ الوِردُ مَوروداُ[٨٥٥]

إنَّ هذا الضربَ من التراكيب الوصفية المتحولة إلى (مبتدأ وخبر) تنزل منزلتها في الإسناد المجازي من باب (جُنُونُكَ مَجْنُونٌ)، نحو: (الليلُ أَلْيَلُ) و(الدهرُ دَهاريرُ)... وكل ما يأتي أو يتوَّلد على هذا النمط، إذ الوصفية تجري في ماء هذه التراكيب.

من شواهد التداعي الوصفي في محكم التنزيل قوله تعالى: (**وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ**) [آل عمران: ١٤] "و(القنطار): المال الكثير... و(المُقَنْطَرَة) مبنيّة من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم: ألفٌ مؤلَّفَة، وبَدْرَة مُبَدَّرة"[٨٥٦]، "ومن عادة العرب أن يصفوا الشيء بما يشتق منه للمبالغة كـ(ظِلّ ظَلِيل) وهو كثير في وزن فاعل ويَرِدُ في المفعول كـ(حِجْرًا مَحْجُورًا) [الفرقان : ٢٢ و٥٣] و(نَسْيًا مَنْسِيًّا) [مريم : ٢٣]"[٨٥٧]، وغيرهما من أوزان الصفات على نحو ما مرّ.

قوله تعالى: (**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا**) [النساء: ٥٧]. "(ظلًّا): مفعول ثان و(ظَلِيلًا): نعت لظل مشتق من لفظ الظل لتأكيد معناه، كما قيل: لَيْلٌ أَلْيَلُ، أي: شديد الظلمة، وظلٌّ ظليلٌ، أي: دائم الظل لا تنسخه الشمس، ولا يكون ذاك إلا في الجنة"[٨٥٨]. وقد يُحملُ التركيبُ عَلَى المُبالَغَةِ[٨٥٩]، كـ"قولُ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلَاحِ يصفُ النَّخْلَ [من المتقارب]:

هِيَ الظِّلُّ في الحَرِّ حَقُّ الظَّلِيل والمَنْظَرُ الحَسَنُ الأَجْمَلُ

المَعْنَى عندِي هي الشَّيْءُ الظَّلِيلُ حَقُّ الظَّلِيلِ، فوَضَعَ المَصْدَرَ موضِعَ الاسمِ"[٨٦٠] على جهة المبالغة.

وكذا قول الشريف الرضي [من الخفيف]:

مَطَرٌ ناعِمٌ وَرِيحُ شَمالٍ وَنَسِيمٌ غَضٌّ وَظِلٌّ ظَلِيلُ[٨٦١]

قوله تعالى: (**يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ٩٨**) [هود: ٩٨] "(وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) أي بئس المَدْخَلُ المدخولُ"[٨٦٢]، و(الْوِرْدُ) زنة (فِعْل) مصدر بمعنى (الورود)[٨٦٣]. وفي الآية أوجه لوجود (بئس)، فـ"(الْوِرْدُ) فاعل (بئس)، و(الْمَوْرُودُ): هو المخصوص بالذم. ولك أن تجعل (الْمَوْرُود) صفةً للوِرْد، فيكون المخصوصُ بالذم محذوفًا"[٨٦٤] "تقديره: بئس الوِرْدُ المورود النارُ"[٨٦٥]، "لأنَّ (الوِرْد) إنما يورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد وفي النار تقطَّع الأكباد واشتعالُها كذا قيل، فـ(الوِرْد) على هذا بمعنى النصيب من الماء والْمَوْرُودُ صفته"[٨٦٦].

---

[٨٥٥] ديوانه: ٣٣٢/٢.

[٨٥٦] الكشاف: ٣٧١/١، وينظر، التحرير والتنوير: ٤٠/٣.

[٨٥٧] روح المعاني: ٩٧/٢، وينظر، معاني القرآن: ١٦٥/٢.

[٨٥٨] الكتاب الفريد في إعراب القرن المجيد: ٢٨٦/٢، وينظر، الكشاف: ٥٥٥/١.

[٨٥٩] ينظر، المحكم والمحيط الأعظم: ٥/١٠.

[٨٦٠] المرجع السابق: ٥/١٠.

[٨٦١] ديوانه: ١٦٥/٢.

[٨٦٢] الجامع لأحكام القرآن: ٩٣/٩.

[٨٦٣] ينظر، مفاتيح الغيب: ٣٩٤/١٨.

[٨٦٤] الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٥١٦/٣.

[٨٦٥] الدر المصون: ٣٨٢/٦.

[٨٦٦] روح المعاني: ٣٢٩/٦، وينظر، الكشاف: ٤٠٢/٢.

السبب في اختلاف التوجيه الإعرابي لـ(الْمَوْرُودُ) مجيء التركيب وصفيًّا على جهة التداعي الاشتقاقي (الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) وهو الأوجهُ، ولولا ذاك لكان نظير (الوِرْد) فاعلًا ونظير (الْمَوْرُود) مخصوصًا بالذم مبتدأ.

على النهج نفسه ما جاء بعدُ في محكم التنزيل: (**وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ٩٩**) [هود: ٩٩] أي: "بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ رِفْدُهم. أي: بئس العَوْن المُعَان. وذلك أنّ اللعنة في الدنيا رِفْد للعذاب ومَدد له، وقد رُفِدَتْ باللعنة في الآخرة. وقيل : بئس العطاء المعطى"[٨٦٧]. وهذا يرجّح "أنَّ المرفود صفة للرِّفد، وأنّ المخصوص بالذم محذوف تقديره: رفدهم... أي: بئس ما يُرْفَدُونَ به بعد الغرق النار"[٨٦٨].

وظاهرٌ هيمنة (التداعي الاشتقاقي) على العبارات التفسيرية حتى علَّقَ عليها الطيبي بقوله: "قوله (أي: بئس العَوْن المُعَان): سميت اللعنة عَوْنًا، لأنها إذا تبعتهم في الدنيا تبعتهم في الأخرى، لتُبعدَهم عن رحمة الله، وتُعينهم على ما هم عليه من الضلال، وتمدهم في طغيانهم وعمههم، فَسُمّي رِفْدًا- أي: عونًا- لهذا المعنى على التهكميَّة... وأمَّا كونُها (مُعَانًا) لأنها أُرْفِدَتْ في الآخرة بلعنة أخرى"[٨٦٩]، "وكان القياسُ أن يُسْنَدَ المرفودُ إليهم، لأنَّ اللعنة في الدنيا تَبِعَتْهُم وكذا في الآخرة... ولكنْ أُسْنِدَ إلى (الرِّفْد)- الذي هو اللعنة- على الإسناد المجازي، نحو: (جَدَّ جِدُّه)، و(جُنونكَ مجنونٌ)"[٨٧٠].

قوله تعالى: (**قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ٢٣**) [مريم: ٢٣] وقرِئ بالكسر (نِسْيًا)[٨٧١]، وأصله "ما يُنْسَى كالنِّقْض لما يُنْقَض، وصار في التعارف اسمًا لمَا يَقِلّ الاعتداد به"[٨٧٢]، فـ"هو مصدر موضوع موضع المفعول"[٨٧٣]. "وقوله تعالى: (**نَسْيًا مَّنسِيًّا**)، أي: جاريًا مَجرى النَّسْيِ القليل الاعتداد به وإن لم يُنْسَ، ولهذا عقَّب بقوله (مَنْسِيًّا) لأنّ النَّسي قد يقالُ لما يقلّ الاعتدادُ به وإنْ لم يُنْسَ"[٨٧٤]، فوجهُ الكلام يُوجبُ أن يكون (مَنْسِيًّا) صفةَ (نَسْيًا) على جهة التوكيد والدلالة على المبالغة[٨٧٥]، "فإنَّ كلَّ نَسْيٍ لا يلزم أن يكون مَنْسِيًّا"[٨٧٦]، لذا كان الوصف بـ(مَنْسِيًّا) مؤكدًا لتمام النسيان والتناهي فيه بطريق التداعي الاشتقاقي.

وقوله تعالى: (**وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ٣٨**) [الأحزاب: ٣٨]، أي: "قضاءً مَقضيًّا، وحكمًا مبتوتًا"[٨٧٧]، ووَصْفُ (قَدَرًا) "بـ(مَقْدُور) نحو وَصْفِ الظِّلّ بالظَّلِيل والليل بالأَلْيَل في قولهم: ظلٌّ ظليلٌ وليلٌ أليلُ في قصد التأكيد"[٨٧٨].

---

[٨٦٧] الكشاف: ٤٠٢/٢، وينظر، البحر المحيط: ٢٥٩/٥.

[٨٦٨] البحر المحيط: ٢٥٩/٥، وينظر، روح المعاني: ٣٢٩/٦.

[٨٦٩] حاشية الطيبي على الكشاف: ١٨٨/٨.

[٨٧٠] المرجع السابق: ١٨٨/٨.

[٨٧١] شواذ القراءات: ٢٩٩، وينظر، معاني القرآن: ١٦٤/٢، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن: ٥٤٧.

[٨٧٢] معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٥٤٧.

[٨٧٣] المرجع السابق: ٥٤٧، وينظر، معاني القرآن: ١٦٥/٢.

[٨٧٤] المرجع السابق: ٥٤٧.

[٨٧٥] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٦٠٠/٩، روح المعاني: ٩٧/٢.

[٨٧٦] المرجع السابق: ٦٠٠/٩.

[٨٧٧] الكشاف: ٥٥٢/٣.

[٨٧٨] روح المعاني: ٢٠٦/١١.

وقوله تعالى: **(يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا٢٢)** [الفرقان: ٢٢] (حِجْرًا مَحْجُورًا): "حرامًا مُحَرَّمًا أن يكون لهم البشرى"[٨٧٩]، ووصف (حِجْرًا) "بـ(مَحْجُورًا) للتأكيد كـ(شعرٌ شاعرٌ)"[٨٨٠]. ومثله كذلك قوله تعالى: **(۞وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا٥٣)** [الفرقان: ٥٣] "(وَحِجْرًا مَحْجُورًا)، أي: سِتْرًا مستورًا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر"[٨٨١]، و"(مَحْجُورًا) وَصْفٌ لـ(حِجْرًا) مشتقّ من مادته للدلالة على تمكُّن المعنى المشتق منه كما قالوا: ليلٌ أليلُ"[٨٨٢].

وقد يأتي التداعي الوصفي تأكيدًا للموصوف على جهة الحقيقة تشريعًا، كما في قوله تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً)** [آل عمران: ١٣٠] ففي الآية الكريمة نهيٌ عن تلك الحالة الشنعاء التي يوقعون الربا عليها، إذ كانوا في الجاهلية يزيدون على المَدِين في الدَّيْن وفي أصله إذا عجز عن الوفاء، فأشار بالنعت المؤكِّد (مضاعفة) إلى أنهم كانوا يكررون التضعيف عامًا بعد عام. والرِّبا محرَّمٌ بجميع أنواعه[٨٨٣]. "فهذه الحال [أَضْعَافًا] ليست قيدًا في النهي، إذ ما لا يقع أضعافًا مضاعفةً مساوٍ في التحريم لما كان أضعافًا مضاعفة"[٨٨٤].

من هذا الباب في الحديث الشريف: "خُذْهَا رَمَادًا رِمْدِدًا لا تَدَعُ مِنْ عَادٍ أَحَدًا"[٨٨٥]، و"(الرَّمْدِد) بالكسر: المُتَناهي في الاحتراق والدِّقة، كما يقال: لَيْلٌ أَلْيَل ويَوْمٌ أيوَم، إذا أرادُوا المبالغة"[٨٨٦]. و"الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ"[٨٨٧]، "وقوله (جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ)، أي: أجناسٌ مُجَنَّسَة أو جُموعٌ مجمَّعَةٌ"[٨٨٨]. وكذلك قوله- ε-: "رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ، لَأَبْصَرَ الْعَجَبَ الْعُجَابَ"[٨٨٩]. "وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ"[٨٩٠]. و"اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ"[٨٩١]. و"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً، أَوْ سَعِيدَةً"[٨٩٢]. و"(مَنْفُوسَةٍ)، أي: مولودة"[٨٩٣]، وهي صفة مشتقة من موصوفها للتأكيد على تمام الوجود في الدنيا وما يجري عليها من ابتلاءات فيها، ولولا الصفة لجاز في المعنى أن يقصد وجود النفس في عالم الغيب فحسب.

---

[٨٧٩] معاني القرآن: ٢٦١/٢.

[٨٨٠] روح المعاني: ٨/١٠.

[٨٨١] الجامع لأحكام القرآن: ٥٩/١٣.

[٨٨٢] التحرير والتنوير: ٧٦/١٩.

[٨٨٣] البحر المحيط: ٥٧/٣، وينظر، روح المعاني: ٢٧٣/١.

[٨٨٤] المرجع السابق: ٥٧/٣.

[٨٨٥] سنن الترمذي: ٣٩١/٥.

[٨٨٦] النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٦٢/٢.

[٨٨٧] صحيح البخاري (٣٣٣٦) حسب ترقيم فتح الباري: ١٦٢/٤.

[٨٨٨] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر: ٣٧٠/٦. وقد نظمَ معنى الحديث أبو نواس (ديوانه: ٢٧٧) فقال [من البسيط]: إنّ القُلوبَ لأجْنَادٌ مُجنَّدَةٌ لله في الأرْضِ بالأهْواءِ تختلِفُ.

[٨٨٩] شرح مشكل الآثار: ٤٠١/١٢.

[٨٩٠] صحيح ابن حبان: ٣٠٤/٥.

[٨٩١] سنن ابن ماجة: ٤٠٤/١.

[٨٩٢] صحيح البخاري (١٣٦٢) حسب ترقيم فتح الباري: ١٢٠/٢.

[٨٩٣] ينظر، لسان العرب، نفس: ٢٣٧/١٤.

من هذا البحر قول امرئ القيس [من السريع]:

حَلَّت لِيَ الخَمرُ وَكُنتُ اِمرَأً عَن شُربِها في شُغُلٍ شاغِلِ[٨٩٤]

"أي: شُغُل يشغل المشتغل به عن كل شغل آخر لعظمه، فلا يتفرغ صاحبه لشيء آخر"[٨٩٥].

وله أيضًا في هذا الباب ضربٌ من التداعيات الوصفية التي تستشعر فيها الذائقة أصداء صوتية مكافئة لدلالة التركيب، يقول [من الرجز]:

أَهْرَتُ هَرَّاتٌ هِزَبْرٌ أَزْبَرُ[٨٩٦]

"الأَهْرَتُ: الواسع الشِّدْق، وهَرَّاتٌ، أي: فَعَّالٌ من ذلك"[٨٩٧]، للتناهي في المعنى.

وكذا قوله [من الرجز]:

قُضَاقِضٌ قُضْقُضَةٌ قَضَوَّرُ[٨٩٨]

"القُضَاقِضُ: الذي يدقّ الرءوس والأصلاب ويكسرها. و(قُضْقُضَةٌ) (فُعْلُلة) من ذلك"[٨٩٩]، فـ(قُضْقُضَةٌ) وصفٌ مشتقٌّ من موصوفه للمبالغة.

وظاهرٌ أنَّ جُزأَيْ المتداعيينِ السابقينِ قَدْ تَجَانسَا اشتقاقًا وصوتًا ودلالةً.

وقول عبد الله بن عَنَمَةَ [من البسيط]:

إنَّا تركنَا فَلمْ نَأْخُذ بِهِ بَدَلا عِزًّا عَزِيزًا وأَعْمَامًا وأخوالَا[٩٠٠]

قوله "(عِزًّا عَزِيزًا)، من شأنهم أن يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه بناءً يتبعونه به تأكيدًا وتنبيهًا على تناهيه في معناه. على ذلك قولهم: ظلٌّ ظليلٌ، وداهيةٌ دهياءُ، وشعرٌ شاعرٌ"[٩٠١].

وقول وقول الحارث ابن حلزة [من السريع]:

يَتْرُكُ ما رَقَّحَ مِن عَيْشِهِ يَعيثُ فيهِ هَمَجٌ هامِجُ[٩٠٢]

وقول بَلْعَاء بن قيس الكِنانيِ [من الطويل]:

وَأَمْهَلْتُهُ حَتَّى رَمَانِي بِحَرِّهَا تَغَلْغَلَ مِنْ غَيٍّ غَوِيٍّ وَمِنْ إِثْمِ[٩٠٣]

وقول أبي زُبَيْد في رَجلٍ من طَيِّئ [من الخفيف]:

لَمْ يَهَبْ حُرْمَةَ النَّدِيمِ وحُقَّتْ يَا لَقَوْمِي للسَّوْأَةِ السَّوْآءِ[٩٠٤]

"و(السَّوْأَةُ السَّوْآءُ): الخَلَّةُ القَبِيحةُ وكلُّ كلمة قبيحة أَو فَعْلة قبيحةٍ فهي سَوْآءُ"[٩٠٥].

---

[٨٩٤] ديوانه: ٢٥٨. وهذا التركيب كثيرٌ في الشعر والنثر، ومنه مثلا قول أبي تمام في (ديوانه: ١٢١/٣) [من الطويل]:

وَخَطبٍ جَليلٍ دونَها قَد شَغَلتَهُ وَفي دونِهِ شُغلٌ لِغَيرِكَ شاغِلُ.

[٨٩٥] شرح شافية ابن الحاجب: ٢/ ٨٧.

[٨٩٦] ديوانه: ٣١٤.

[٨٩٧] ديوانه: ٣١٤.

[٨٩٨] ديوانه: ٣١٧.

[٨٩٩] ديوانه: ٣١٧.

[٩٠٠] شرح ديوان الحماسة، المجلد الأول: ٥٨٣/٢، ٥٨٤.

[٩٠١] المرجع السابق، المجلد الأول: ٥٨٣/٢، ٥٨٤.

[٩٠٢] ديوانه: ١١١. ديوان الحارث بن حِلِّزَة اليشكري، صنعة مروان عطية، دار الإمام النووي، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

[٩٠٣] الحماسة، للبحتري: ١٣٦، وينظر، الحماسة البصرية: ٢٠٧.

[٩٠٤] المحكم والمحيط الأعظم: ٦٣٣/٨، ولسان العرب، سوأ: ٤١٧.

وقول المتوكل الليثي [من الكامل]:

بِوَحْيِ لا أو بنعم إنَّمَا مَطْلُكِ هذا خَبَلٌ خَابِلُ[٩٠٦]

ففي قوله (خَبَلٌ خَابِلُ) إغراقٌ في المبالغة، فهي مساويةٌ لدلالة نحو (جنونُك مجنونٌ).

وقول بعض الأعراب [من الكامل]:

وَلَرُبَّ خَصْمٍ جَاهِدِينَ ذَوِي شذًا تَقْذِي صُدُورُهُمُ بِهِتْرٍ هَاتِرِ[٩٠٧]

وكذا قول أَوسُ بنُ حَجَرٍ [من الطويل]:

وكانَ إذا ما الْتَمَّ منها بِحاجَةٍ يُراجِعُ هِتْرًا من تُماضِرَ هاتِرَا[٩٠٨]

وقول عَبيد بن الأبرص [من الرمل]:

وَلَنَا دارٌ وَرِثنَا عِزَّها الـ أَقْدَمَ القُدموسَ عَن عَمٍّ وَخالِ[٩٠٩]

وقول الأعشى [من الطويل]:

وَذا النُّصُبَ المَنصوبَ لا تَنسُكَنَّهُ وَلا تَعبُدِ الأَوثانَ وَاللهَ فَاعبُدَا[٩١٠]

انتزاع الصفة (المَنصوبَ) من موصوفها (النُّصُبَ) للتأكيد، وذلك لمزيد نهي عن أي تنسُّكٍ للأوثان التي نصبَها العرب نصبًا بصنع أيديهم.

وقوله أيضًا [من الرجز]:

أَلَم تَرَوا لِلعَجَبِ العَجيبِ[٩١١]

.....

أَهلُ النُهى وَالحَسَبِ الحَسيبِ[٩١٢]

وقول ابن مُنَاذر [من الخفيف]:

أَيْنَ رَبُّ الحِصنِ الحَصينِ بِسَوْرا ءَ وَرَبُّ القَصْرِ المُنِيفِ المَشيد[٩١٣]

وقول خِدَاش بن زُهير العامريّ [من الطويل]:

فَإِنْ يَكُ فِيكُم عِزَّةٌ وَهْيَ فِيكُمُ فَإِنَّ لَنَا عِزًّا عَزِيزًا وَنَاصِرَا[٩١٤]

وقول جرير [من الرجز]:

يَضْرِبنِ بِالأَكْبَادِ وَيْلًا وَائِلاَ رَعَيْنَ بِالصُّلْبِ نَدًى شُلاَشِلا[٩١٥]

وقول العجاج [من الرجز]:

---

[٩٠٥] لسان العرب، سوأ: ٤١٦، ٤١٧.

[٩٠٦] شعر المتوكل الليثي: ٢٢٩.

[٩٠٧] دلائل الإعجاز: ٧٦. الهِتْرُ بالكسر: السَقَط من الكلام. يقال: هِتْرٌ هاتِرٌ، وهو توكيد له. والهِتْرُ أيضاً: العَجبُ والداهية.

[٩٠٨] ديوانه: ٣٣. يريد أنه إذا ألمَّ به خيالها عاوده خباله عاوده خباله ورجع إلى الهذيان. وهتر هاترٌ: الهذيان الشديد.

[٩٠٩] ديوانه: ١٠١. القُدموسَ: القديم، والمَلِكُ الضَّخْمُ والعَظيمُ من الإبل [ينظر، تاج العروس، قدمس: ٣٦٠/١٦]، ففيها دلالة القدم والتعظيم.

[٩١٠] ديوانه: ١٣٥. والمعنى "ولا تذبح القرابين للأنصاب، واعبد الله وحده ولا تعبد الأوثان".

[٩١١] ديوانه: ٢٦٥.

[٩١٢] ديوانه: ٢٦٥.

[٩١٣] الكامل في اللغة والأدب: ٥٣/٤.

[٩١٤] الوحشيات: ١٠٠.

[٩١٥] ديوانه: ٩٧٤.

وأَغْشَتِ النّاسَ الضَّجاجَ الأَضْجَجَا[٩١٦]

"أراد (الأَضجَّ)، فأَظهرَ التّضعيفَ اضطرارًا. وهذا على نحْوِ قولِهم: شِعْرٌ شاعِرٌ"[٩١٧].

وقول الإمام الشافعي [من الطويل]:

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكنْ بها صَدِيقٌ صدوقٌ صادقُ الوعدِ مُنْصِفَا[٩١٨]

قوله: (صَدوقٌ صادقُ) نعتان مشتقّان من الموصوف (صَدِيقٌ)، وهو- في الأصل- وصفٌ غَلَبَ عليه الاسمية، فأُنْزِلَ منزلة الجامد فصحَّ له موقع الموصوف وارتضت منه العربية اشتقاق الصفتينِ (صدوقٌ وصادقُ) بغرض التناهي في المعنى.

وقول أبي تمام [من الكامل]:

بِحَوَافِرٍ حُفْرٍ وصُلْبٍ صُلَّبٍ وأَشاعِرٍ شُعْرٍ وخَلْقٍ أَخْلَقِ[٩١٩]

اتفق لأبي تمام- في تحليل التبريزي- "أنْ يصفَ أربعةَ أسماءٍ بأربعةِ أوصافٍ كلُّها مجانسٌ للاسم.

وقوله (حُفْر) أي: تحفر في الأرض لشدة وطئها، و(الأشَاعِر) جمع أَشْعر وهو مما ينبت عليه الشعر مما يقارب الحافر... وأصلُ (الأشَاعِر) في الصفات، كأنَّ التقدير عضوٌ أشْعَرُ، ثم نقل إلى الأسماء فَجُمِعَ على (أفاعِل)، لأنَّ ما كان وصفًا على (أفْعَل) فبَابُه أن يُجمع على (فُعْل) مثل أَحْمَر وحُمْر، فقال الطائي (وأَشاعِرٍ شُعْرٍ) فجمع الاسم ثم قال (شُعْر) فجاء بالوصف على ما يجبُ. و(خَلْقٍ أَخْلَقِ): أي أملس، أي: هذا الفرس ليس به عيب يُذكر"[٩٢٠].

وقوله أيضًا [من الكامل]:

جفَّتْ به النِّعَمُ النَّوَاعِمُ وانثنتْ سُرُجُ الهُدَى فيهِ بِغَيْرِ ذُبَالِ[٩٢١]

يقال: "نِعْمَةٌ ناعِمَةٌ، كما يقال تامة"[٩٢٢]، ومن ثَمَّ كان الوصفُ بالجمع (النَّوَاعِم)- منتزَعًا من موصوفه- آكدَ في المعنى وأغرق في المبالغة.

وقول ابن الرومي [من الخفيف]:

فَهْيَ بِرْدٌ بِخَدِّهَا وَسَلَامٌ وهي للعَاشِقِينَ جُهْدٌ جَهِيدُ[٩٢٣]

وقوله أيضًا في تفضيل النرجس على الورد [من الكامل]:

لم يخجلِ الوَرْدُ المورّدُ لَوْنُهُ إلا وناجِلُه الفضيلةَ عانِدُ[٩٢٤]

وكذا قوله [من الطويل]:

وينقضُ ألواحَ السفينِ فكُلُّها مُنَجٍّ لدى نَوْبٍ من الكَسْرِ نائبِ[٩٢٥]

ومن اللافت أن نجد هذا الدفق للمتداعيات الوصفية في قول أبي فراس الحمداني [من الطويل]:

---

[٩١٦] ديوانه: ٦٧/٢.

[٩١٧] تاج العروس، ضجج: ٧٦/٦. (الضِّجَاج) بالكسر : المُشَاغَبَةُ. والاسم (الضَّجَاجُ) بالفتح.

[٩١٨] ديوانه: ٨١.

[٩١٩] ديوانه: ٤١٠/٢.

[٩٢٠] ديوانه: ٤١٠/٢.

[٩٢١] ديوانه: ١٣٣/٣.

[٩٢٢] ديوانه: ١٣٣/٣.

[٩٢٣] ديوانه: ٧٦٢/٢.

[٩٢٤] ديوانه: ٦٤٣/٢.

[٩٢٥] ديوانه: ٢١٧/١.

إذِ العَرَبُ العَرْبَاءُ تَبنِي عِمادَهُ وَمِنّا لَهُ طاوٍ عَلى الثَّأرِ ذاكِرُ[٩٢٦]
وإنّ مَعَالِيهِ لَكُثْرٌ غَوَالِبٌ وإنَّ أيَادِيهِ لَغُرٌّ غَرَائِرُ[٩٢٧]
ووَلَّى عَلَى الرَّسْمِ (الدُّمُسْتُقّ) هَارِبَا وفِي وَجْهِهِ عُذْرٌ مِنَ السَّيْفِ عَاذِرُ[٩٢٨]

وقد فَصَلَ في التركيب الأخير بين الموصوف (عُذْرٌ) وصفته المشتقة منه (عَاذِرُ) بشبه الجملة (من السيف).

وقول الشاعر [من البسيط]:

أَعُوذُ باللهِ من غُولٍ مُغَوَّلَةٍ كأَنَّ حَافِرَها في حدّ ظُنْبُوبِ[٩٢٩]

وقول ابن الفارض [من الطويل]:

وهل قاصراتُ الطرف عِينٌ بعالجٍ على عهدِيَ المَعهودِ أمْ هوَ ضائعُ[٩٣٠]

ولقوة هذا التركيب التوليديّة حفل به المجاز وجرى عفوًا على أقلام العلماء والأدباء حقيقةً ومجازًا، ومنه:

- "فلمَّا كثُر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى دِيوَانٍ مُدَوّنٍ ولا كتابٍ مكتوبٍ"[٩٣١].
- "فإذا كان عنترة- وهو في الجاهليةِ الجَهْلَاءِ، وإمام الفَصَاحةِ الفَصْحَاءِ- يقول مثل هذا القول، فما ظنُّك بهذا العصر وقبله بمائتي سنة؟"[٩٣٢].
- "... فإن غالب هؤلاء مثل الطرقية والقُصاص وليس عندهم تمييز يخبطون خبط عشواء ويمشون في ظلمةٍ ظلماءَ"[٩٣٣].
- "فَإِنَّ أَعْدَى الْأَعَادِي الْعَدُوُّ الْمُدَاجِي الَّذِي يُكَاشِرُكَ وَتَحْتَ ضُلُوعِهِ الدَّاءُ الدَّوِيُّ كَكَثِيرٍ مِنْ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ"[٩٣٤].
- "القوة الباصرة لا تدرك المرئي مع القربِ القريبِ ولا مع البُعْدِ البَعِيدِ"[٩٣٥].
- "وهو حرامٌ محرَّمٌ"[٩٣٦]، تشديدًا في التحريم.
- "من المجَاز: عْنَده من دَرَاهمَ وثِيَابٍ كُدْسٌ مُكَدَّسٌ، وأَكْدَاسٌ مَكَدَّسةٌ"[٩٣٧].
- "ولهم مِنَ الْمَجْدِ سَجْلٌ سَجِيلٌ، أي: ضَخْمٌ، مُبَالَغَةً"[٩٣٨].

---

[٩٢٦] ديوانه: ١١٥.

[٩٢٧] ديوانه: ١١٥.

[٩٢٨] ديوانه: ١١٨.

[٩٢٩] البيت بلا نسبة في لسان العرب، حفر: ٢٣٨/٣.

[٩٣٠] ديوانه: ١٦٧.

[٩٣١] طبقات فحول الشعراء: ٢٥/١.

[٩٣٢] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ٢.

[٩٣٣] عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٠١/٧.

[٩٣٤] روح المعاني: ٣٠٦/١٤.

[٩٣٥] مفاتيح الغيب: ٣٨١/٢٣.

[٩٣٦] أساس البلاغة، حرم: ١٦٩/١.

[٩٣٧] المرجع السابق، كدس: ٢٩٩/٢.

- "... فَكَانَ فِيهِ كِفَايَةٌ كَافِيَةٌ وَعِصْمَةٌ وَافِيَةٌ"[٩٣٩].
- "فلما كان زمن داود- عليه السلام- لبث فيهم مُدَّةً مَدِيدَةً بأرض فلسطين"[٩٤٠].
- "وَفَرَضَ اللَّهُ الْأَحْكَامَ فَرْضًا أَوْجَبَهَا، فَالْفَرْضُ الْمَفْرُوضُ جَمْعُهُ فُرُوضٌ"[٩٤١].
- "الفلَّاح في بعض الأمم الدستورية الشرقية هو الكثرة الكاثرة والسواد السائد"[٩٤٢]. ونظير (الكثرة الكاثرة) في الاستعمال المعاصر أيضًا (القلة القليلة) و"(البقية الباقية): آخر ما تبقى من الشيء الذي أصبح قليلا نادرًا في زمنه"[٩٤٣].
- "لقد جثم على صدرها الموت المائت"[٩٤٤].
- "وتفحَّص الحجرة بعنايةٍ بطولها الطويل وعرضها العريض"[٩٤٥].

وقد طَوَّعَتْ بعضُ التراكيبِ الحداثيةِ التي أنتجَتْهَا أدبيَّات الجنسانية[٩٤٦] (الذكورة والأنوثة) التداعيَ الوصفيَّ للتناهي في صفة أحد الجنسين، فرَاجَ في هذه الكتابات أسئلة تُعْلِي من شأن الهويّات الاجتماعية على حساب الهويّة الطبيعية، نحو: (هل تفضلون الرجال الرجوليّينَ أم الأنثويين؟)، ففي التداعي الوصفي (الرجال الرجوليّينَ) انتزاعٌ للصفة من مادة الموصوف الصرفية بطريق النسب للتأكيد والمبالغة، وهذا في العربية سبيلٌ مطروقة كقول العرب قديمًا: "لَيْلٌ لَيْلِيٌّ"[٩٤٧].

وقد تأتي الصفة المشتقة من موصوفها مُنفكّة في صورة (الإسم الموصول وصلته)، ومنه قوله تعالى: **(وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ٢٣)** [فصلت: ٢٣] فـ(ٱلَّذِي ظَنَنتُم) صفة لـ(ظَنُّكُمُ) تأكيدًا لضلال ظنهم، كأنه قيل (ظَنُّكُمُ المَظنُون)، فَسِيق (الذي ظننتم) للتوصل لوصف (ظَنُّكُمُ) بالفعل الذي هو من جنس الموصوف، وجاء ماضيًا لتوكيد حدوثه ووقوعه منهم، وتعيينه بـ(الذي) فيه من الزّرَاية بهم وبظنهم واعتماده سببًا لتردّيهم على وجه استحقاق الجزاء.

وقوله تعالى: **(رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ)** [النمل: ١٩- الأحقاف: ١٥] وظاهرٌ ما في الوصف **(ٱلَّتِيٓ أَنعَمتَ)** المنتزع من موصوفه (نعمتَك) من تأكيد إسباغ النعمة وإحاطتها.

وكذا قوله تعالى: **(فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ)** [التوبة: ١١١] فالصفة (الَذِي بَايَعتُم) للتأكيد على صدق العهد واستحقاق حسن الجزاء.

---

[٩٣٨] تاج العروس، سجل: ١٧٦/٢٩، وينظر، أساس البلاغة، سجل: ٤٢٤/١.

[٩٣٩] العزلة: ١٠٨.

[٩٤٠] نهاية الأرب في فنون الأدب: ٧٦/١٤، وينظر، أساس البلاغة، مدد: ٣٧٢/٢.

[٩٤١] المصباح المنير، فرض: ٣٨٢.

[٩٤٢] وحي الرسالة: ٣٠٥/٢.

[٩٤٣] معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٧٧.

[٩٤٤] وحي الرسالة: ١٠١/٣.

[٩٤٥] حضرة المحترم: ٥٦.

[٩٤٦] وفيه ما يتعلق باضطراب الهوية الجنسيّة أو الجندريّة، كما ورد في المترجمات المختلفة المعنيَّة بهذا الجانب.

[٩٤٧] المزهر: ٢٤٨/٢.

ومن البحر نفسه قوله تعالى: (**وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَآ**) [الأنعام: ١٢٨] "وهو يوم القيامة"[٩٤٨]. و(**وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ**) [فصلت: ٢٣] واستعمال الفعل الماضي في كل ذلك للدلالة على تحققه.

ومنه في الشّعر قول النمر بن تولب [من الطويل]:

لَعَمْري! لَقَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسي وَرَابَنِي مع الشّيْبِ أبدالي التي أَتَبَدَّلُ[٩٤٩]

وظاهرٌ أنَّ صورة هذا الضرب الوصفي المبدوء بالاسم الموصول يأتي كذلك للتأكيد حملا على نظيره الأصيل.

كلُّ تلكَ أصداءٌ اشتقاقيةٌ للاسم الموصوف قد ارتقت عن هذا الصدى الساذج في (الإتباع)، حتى استقامت لَهَا سَبِيلٌ في النمط العالي من الكلام نثره ونظمه، فضلا عن معجز البيان.

لا يقتصر هذا الباب كذلك على الصفة المشتقة من موصوفها، بل يشمل أيضًا الصفتين المشتقتين من جذر واحد لموصوف سابقٍ عليهما مذكورٍ أو مُقَدَّر، وشاهدُه- كما نَبَّه الباقلاني- إفادةُ التكرار في "قوله: (**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) التوكيد وتمكين المعنى المقصود، وأنَّه بمنزلةِ قوله تعالى: (**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**) [النجم: ١٠]، وقوله: (**فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى**) [النجم: ٥٤]، و(**فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**) [طه: ٧٨]، وكُلُّ هذا على وجه التوكيد"[٩٥٠]، وينزل منزلتها الحالِ المتكررة المشتقة من جذر واحد، كـ(رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)[٩٥١] في قوله تعالى: (**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**) [الفجر: ٢٨]، وكذا (خَالِدًا مُخَلَّدًا) في قوله- ε-: "مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا"[٩٥٢].

ومن هذا البحر قوله- ε-: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلاَّ الْمَارِدَ الْمُتَمَرِّدَ"[٩٥٣]، "وتعقيب (الْمَارِدَ) بـ(الْمُتَمَرِّدَ) وتكريره للمبالغة"[٩٥٤]. و"أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ"[٩٥٥]. "اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا"[٩٥٦]. و"إِنِّي لأَعْلَمُ أَوَّلَ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَفَقِيرٌ عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ"[٩٥٧]. و"إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ"[٩٥٨]. و"قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ

---

[٩٤٨] روح المعاني: ٢٧١/٤.

[٩٤٩] ديوانه: ٩٨.

[٩٥٠] الانتصار للقرآن: ٧٠٧.

[٩٥١] ينظر، التبيان في إعراب القرآن: ١٢٨٧/٢.

[٩٥٢] صحيح البخاري (٥٧٧٨) حسب ترقيم فتح الباري: ١٨١/٧، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٤٥٧.

[٩٥٣] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٨٧٠.

[٩٥٤] المرجع السابق: ١٨٧٠.

[٩٥٥] صحيح البخاري (٤٩١٨) حسب ترقيم فتح الباري: ١٩٨/٦، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣٢٤٤.

[٩٥٦] المرجع السابق (٣٠٢٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٧٦/٤.

[٩٥٧] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣١٧٩.

[٩٥٨] صحيح البخاري (٤١٩٦) حسب ترقيم فتح الباري: ١٦٧/٥.

الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ: هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ"[٩٥٩]. و"فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ"[٩٦٠]، "أي: فاسد مُفسد لما يقع فيه"[٩٦١]. وفي الحديث أيضًا: "أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجْسِ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ"[٩٦٢].

ومن ذلك في العربية المعاصرة: "... وانصرفْ إلى ما أنت فيه من هذه القشور الضالّة المُضلّة"[٩٦٣]، و"وتاريخ الإسلام مليء بمهتدينَ هداة، وضالّين مُضلّين من هذه الأنواع"[٩٦٤].

ب) الوصف بالجملة.

قد يجيء الوصف المشتق من موصوفه فِعْلا على الأغلب، وشاهده الساطع قوله تعالى: (**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ**) [آل عمران: ١٩٣] وأول ما يطرأ أن يُسْأل: ما فائدة الجمع بين المنادي وينادى؟ والجواب أنَّ في "ذكر النداء مطلقًا ثم مقيَّدًا بالإيمان تفخيمًا لشأن المنادى، لأنه لا مُنَادِيَ أعظم من مناد ينادى للإيمان"[٩٦٥]. وتفصيل ذلك أنَّ الله تعالى قال (مُنادِيًا) ولم يذكر ما دُعِيَ له، ثم قال (يُنادِي لِلْإيمانِ)[٩٦٦]، وفي ذلك "ما لا يخفَى من التعظيم لشأن المنادِي والمنادَى له، ولو قيل من أول الأمر (مُنادِيًا لِلْإيمانِ) لم يكن بهذه المثابة، وحذف المفعول الصريح لـ(ينادِي) إيذانًا بالعموم، أي: ينادي كلَّ واحدٍ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ"[٩٦٧].

ويضاف إلى قصد التفخيم والتعظيم في ذكر الفعل (يُنادِي) "ثلاثة أوجه، أحدها: هو توكيد كما تقول (قُمْ قائمًا)[٩٦٨]. والثاني: أنه وَصَلَ به ما حسن التكرير وهو قوله (للإيمان). والثالث: أنه لو اقتصر على الاسم لجاز أن يكون سمع معروفًا بالنداء يذكر ما ليس بنداء، فلمَّا قال (ينادى) ثبت أنهم سمعوا نداءه في تلك الحال"[٩٦٩].

على نسج التركيب "قولك: (مررت بهادٍ يهدي للإسلام). وذلك أنّ المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى منادٍ للحرب، أو لإطفاء النائرة، أو لإغاثة المكروب، أو لكفاية بعض النوازل، أو لبعض المنافع، وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى لسداد الرأى وغير ذلك فإذا قلت: ينادى للإيمان، ويهدى للإسلام، فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته"[٩٧٠].

---

[٩٥٩] المرجع السابق (٧٤٥٤) حسب ترقيم فتح الباري: ١٦٥/٩.

[٩٦٠] المرجع السابق (٣٩٧٦) حسب ترقيم فتح الباري: ٩٧/٥.

[٩٦١] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٧٤٣.

[٩٦٢] النهاية في غريب الحديث: ٦/٢، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٧٤٣.

[٩٦٣] الأيام: ٢٠٣/٢.

[٩٦٤] مذكرات قارئ: ٨١.

[٩٦٥] الكشاف: ٤٨٤/١، وينظر، مفاتيح الغيب: ٤٦٦/٩، وروح المعاني: ٣٧٤/٢.

[٩٦٦] ينظر، روح المعاني: ٣٧٤/٢.

[٩٦٧] المرجع السابق: ٣٧٤/٢.

[٩٦٨] سبق ذكر مجيء (الحال) من لفظ (فعله). وجدير بالذكر أن العكبري أجاز في قوله: (ينادي) أن تكون صفة لـ(مناديا) أو حالا من الضمير في (مناديا) [ينظر، التبيان في إعراب القرآن: ١٦٣/١].

[٩٦٩] التبيان في إعراب القرآن: ١٦٣/١.

[٩٧٠] الكشاف: ٤٨٤/١، وينظر، مفاتيح الغيب: ٤٦٦/٩، وروح المعاني: ٣٧٤/٢.

وحرفُ (اللَّام) متعلق بالفعل (ينادِي ويهدِي) لإفادة الندب والتعدية تحقيقًا لمعنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص[٩٧١].

قوله تعالى: (**قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ**) [الأنعام: ١٤٥] "(يَطْعَمُهُ) في موضع الصفة لطاعم جيء به كما في قوله سبحانه: (**طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ**) [الأنعام : ٣٨] قطعًا للمجاز"[٩٧٢]، وتوكيدًا باشتقاق الصفة من موصوفها.

قوله تعالى: (**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**) [النجم: ٤] جُمْلَةُ (يُوحَى) صفة مشتقّة من موصوفها "مؤكِّدة لـ(وَحْيٌ) رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي"[٩٧٣]، وفيها تعظيمٌ لحقيقة الوحي.

قوله تعالى: (**مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ**) [النساء: ١١، ١٢] إذ أول ما يلفت مجيء جملة (يُوصِي بِهَا) صفة لـ(وَصِيَّةٍ) مشتقة منها، وظاهر الإشكال أنَّ "الوصية لا تكون إلا موصى بها"[٩٧٤]. والوجهُ "الترغيب في الوصية والندب إليها"[٩٧٥] توكيدًا، ودفعًا لتوهم أنْ يكون "المراد الوصية التي كانت مفروضة قبل شرع الفرائض، وهي التي في قوله (**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**) [البقرة: ١٨٠]"[٩٧٦].

قوله تعالى: (**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ**) [التوبة: ١١٤] جاءت الصفة (وَعَدَهَا) مشتقة من مادة موصوفها للتأكيد على وفاء إبراهيم- عليه السلام- بوعده لأبيه بالاستغفار، وبُنِيَت على صيغة المضي لـ"حكاية الحال الماضية... وهو قوله (لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) [الممتحنة: ٤]"[٩٧٧].

قوله تعالى: (**أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ**) [القيامة: ٣٧] قوله "(مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى)، أي: يُصَبّ في الرحم"[٩٧٨]. وجاءت الصفة (يُمْنَى) للإشارة إلى حقارة حال الإنسان[٩٧٩]، "كأنه قيل: إنه مخلوق من المَنِيّ الذي جرى على مخرج النجاسة، فلا يليق بمثل هذا الشيء أن يتمرد عن طاعة الله تعالى"[٩٨٠]. وانتزاع الصفة من مادة موصوفها على جهة تأكيد ذلك من وجه، وتعظيم القدرة الإلهية من وجه آخر.

ومنه كذلك المركب الاشتقاقي (أسماء سمَّيتموها) في قوله تعالى: (**أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ**) [الأعراف: ٧١]. و(**مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ**) [يوسف: ٤٠] . و(**إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ**

---

[٩٧١] المرجع السابق: ٤٨٤/١، وينظر، البحر المحيط: ١٤٨/٣. يقول أبو حيان: "ولهذا قال بعضهم: إن (اللام) بمعنى (إلى) لمَّا كان (ينادي) في معنى (يدعو)، حسن وصولها باللام بمعنى (إلى). وقيل: اللام لام العلة، أي لأجل الإيمان. وقيل: اللام بمعنى (الباء)، أي بالإيمان"، وقد بنَى أبو حيان توجيهه ذاك بالإشارة في صدر كلامه إلى قوله تعالى: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ) [الأحزاب: ٤٦]. و(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ) [النحل: ٢٥].

[٩٧٢] روح المعاني: ٢٨٧/٤.

[٩٧٣] المرجع السابق: ٤٦/١٤، وينظر، التحرير والتنوير: ١٠١/٢٧.

[٩٧٤] المرجع السابق: ٤٣٦/٢.

[٩٧٥] المرجع السابق: ٤٣٦/٢.

[٩٧٦] التحرير والتنوير: ٤٩/٤.

[٩٧٧] الكشاف: ٣٠١/٢.

[٩٧٨] مفاتيح الغيب: ٧٣٧/٣٠.

[٩٧٩] ينظر، مفاتيح الغيب: ٧٣٧/٣٠.

[٩٨٠] المرجع السابق: ٧٣٧/٣٠.

سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ) [النجم: ٢٣]. "قوله تعالى (أسماء) يجب أن يكون المعنى (ذوات أسماء) لقوله تعالى (سَمَّيتُمُوهَا)، لأنَّ لفظ الاسم لا يسمَّى"[٩٨١]. وفي السياقات الثلاثة إبطالٌ لحقيقة التسمية، إذ الوصفُ المشتقّ من لفظ موصوفه دالٌّ على أنَّها "أسماء ليس تحتها مسميات"[٩٨٢]، فـ(سَمَّيتُمُوهَا) توكيدٌ لبطلان التسمية.

وقد تأتي الصفة في هذا الباب- على ندرة- جملة اسمية، كقوله تعالى: (**لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ**) [الحج: ٦٧] "(هُمْ نَاسِكُوهُ): صفة لـ(منسكًا) مؤكدة للقصر"[٩٨٣].

ومن هذا البحر في الحديث النبوي الشريف: " فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ- ε- مُنَادِيًا يُنَادِي أَلاَ إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ"[٩٨٤]. و"أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ فَاتُّبِعَ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ...، وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتُّبِعَ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ..."[٩٨٥]. و"مَا مِنْ دَاعٍ دَعَا إِلَى شَىْءٍ إِلاَّ كَانَ مَوْقُوفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَزِمًا لَهُ لاَ يُفَارِقُهُ وَإِنْ دَعَا رَجُلٌ رَجُلًا"[٩٨٦]. و"مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ"[٩٨٧]. وو"حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ فَرَأَى أَعْلاَهَا مُصَوِّرًا يُصَوِّرُ"[٩٨٨]. و"إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ"[٩٨٩]. و"مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أُهِلَّ هِلاَلُ ذِى الْحِجَّةِ فَلاَ يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلاَ مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّىَ"[٩٩٠]. و"...عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ"[٩٩١]. و"ما من مولودٍ يولَدُ إلَّا نخسَهُ الشَّيطانُ فيستَهِلُّ صارخًا من نخسةِ الشَّيطانِ إلَّا ابنَ مريمَ وأمَّهُ"[٩٩٢]. و"لَا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي"[٩٩٣]. و"ما من مَيِّتٍ يموتُ فيقوم باكيهم، فيقول: واجبلاه! واسيداه! أو نحو ذلك إلا وُكِّلَ به ملكان يَلْهَزانِه، ويقولان: أهكذا كنت؟"[٩٩٤]. و"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ"[٩٩٥]. و"فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ"[٩٩٦]. و"أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ"[٩٩٧]. و"الدَّجَّالَ

---

[٩٨١] التبيان في إعراب القرآن: ١١٨٨/٢.

[٩٨٢] الكشاف: ١١٢/٢.

[٩٨٣] روح المعاني: ١٨٥/٩.

[٩٨٤] صحيح البخاري (٢٤٦٤) حسب ترقيم فتح الباري: ١٧٣/٣.

[٩٨٥] سنن ابن ماجة: ٧٥/١.

[٩٨٦] صحيح مسلم: ٣٦٤/٥.

[٩٨٧] صحيح ابن حبان: ٢٨٥/١.

[٩٨٨] صحيح البخاري (٥٩٥٣) حسب ترقيم فتح الباري: ٢١٥/٧.

[٩٨٩] المرجع السابق (١٠٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٣٦/١.

[٩٩٠] صحيح مسلم: ١٥٦٣/٢.

[٩٩١] المرجع السابق: ١٥٦٣/٢.

[٩٩٢] المرجع السابق: ١٨٣٨/٤.

[٩٩٣] صحيح البخاري (٦١٩٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٥٣/٨.

[٩٩٤] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٤٢٦، ١٤٢٧.

[٩٩٥] سنن الترمذي: ٥٤/٥.

[٩٩٦] صحيح البخاري (٢٣٣٣) حسب ترقيم فتح الباري: ١٣٨/٣.

إنْ يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا"[٩٩٨]. و"مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا فِي رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ رَخَّصَهَا اللَّهُ، لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صِيَامُ الدَّهْرِ"[٩٩٩]. و"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ"[١٠٠٠]. و"قَالَ عُمَرُ: لأَقُومَنَّ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ"[١٠٠١]... وغير هذا كثير.

ومنه في الشعر:

قول معاوية بن أبي سفيان [من الطويل]:

تطاوَلَ ليلِي واعترثْنِي وساوسِي لآتٍ أَتَى بالتُّرَّهَاتِ البَسَابِسِ[١٠٠٢]

وقول عَدِيّ بن الرِّقَاع [من الكامل]:

نَزَلَ الوَليدُ بِها فَكانَ لِأَهلِها غَيثًا أَغاثَ أَنيسَها وَبِلادَها[١٠٠٣]

وقول الراعي النميري [من المتقارب]:

تغيّرَ قومي ولا أسخرُ وَمَا حُمَّ مِنْ قَدَرٍ يُقْدَرُ[١٠٠٤]

وقول جرير [من الطويل]:

وَيَوْمًا يُوَافِينِي الهَوَى غَيْرَ مَاضي ويومًا تَرَى مِنْهُنَّ غُولًا تَغَوَّلُ[١٠٠٥]

وقول أبي يعقوب الخريمي [من الطويل]:

ووَدَّ الفَتَى في كُلِّ نَيْلٍ يَنِيلُهُ إذا ما انْقَضَى لَوَ أنَّ نائِلَهُ جَزْلُ[١٠٠٦]

---

[٩٩٧] المرجع السابق (٧٤٣٩) حسب ترقيم فتح الباري: ١٦٠/٩.

[٩٩٨] عقود الزبرجد: ١٢/٢. جاء فيه: "(يغضبها) في موضع الجر صفة (غضبة)، والضمير في موضع النصب، أي: أنه يغضب فيخرج بسبب غضبة".

[٩٩٩] عقود الزبرجد: ٤٩٧/٢.

[١٠٠٠] صحيح البخاري (٧٤٤٣) حسب ترقيم فتح الباري: ١٦٢/٩.

[١٠٠١] المرجع السابق (٣٩٢٨) حسب ترقيم فتح الباري: ٨٥/٥.

[١٠٠٢] الكامل في اللغة والأدب: ٢٥٧/١، وشرح نهج البلاغة: ٧٨/٣.

[١٠٠٣] ديوانه: ٩١.

[١٠٠٤] ديوانه: ١٠٠، وينظر، أساس البلاغة، سخر: ٤٢٨/١.

[١٠٠٥] ديوانه: ١٤٠. جاء في [المحكم: ٥٩/٦]: "وتغَوَّلَت الغول: تخيَّلت وتلوَّنَت"، وفي [المخصص: ١٣٣/٥]: "(الغُول) أُنْثَى: وهي ساحرة الجِنّ والجمعُ أغْوال وغِيلانٌ، وقيل: هي التي تَغُول وتَغَوَّلُ وتَلَوَّنُ... وقد غَالَتْهُ الغُولُ غَوْلاً واغْتَالَتْهُ. وكلُّ شيء أَهْلَكَ شيئاً فقد غَالَهُ حتى أنهم ليقولون: الغَضَبُ غُولُ الحِلْمِ".

[١٠٠٦] الشعر والشعراء: ٨٥٧/٢، والحيوان: ٩٥/٢.

قول أبي العتاهية [من الخفيف]:

مَيِّتٌ ماتَ وَهوَ في وارِفِ العَيـ ـشِ مُقيمًا في ظِلِّ عَيشٍ ظَليلِ[١٠٠٧]

وجاء في أساس البلاغة: "له خبيئةٌ خَبَّأَهَا ليوم حاجتِه"[١٠٠٨]. وورد في مصابيح الجامع: "وكان عبدالله بن عمرو بن حَرام أَوَّلُ قَتِيلٍ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ"[١٠٠٩].

ومن عفو كلام العلماء في ذلك:

- "قال المُبَرِّد: دخلَ الأصمعيُّ على الرشيد بعد غيبةٍ غابَهَا"[١٠١٠].
- "وإنما هو تبديلُ حُكْمٍ بِحُكْمٍ بِقَدَرٍ قَدَّرَهُ وعِلْمٍ قديمٍ عَلِمَه"[١٠١١].

ومنه في العربية المعاصرة: (جزءٌ لا يتجزَّأ من...)، أي: وثيق الصلة أو مهم جدًّا[١٠١٢].

يُحمل على ذلك أيضًا الحال، كما في (ينادي) الواردة في قوله- ε-: "الْجَفَاءُ كُلُّ الْجَفَاءِ، وَالْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ: مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَ اللَّهِ يُنَادِي بِالصَّلاةِ وَيَدْعُو إِلَى الْفَلاحِ فَلا يُجِيبُهُ"[١٠١٣].

وظاهرٌ في كل الشواهد أن هذا الضرب من التداعي الوصفي يغلب عليه إرادة التفخيم، بخلاف صورته الفعلية الأخرى المكوّنة من الفعل وفاعله، كـ(سأل سائل) التي يغلب عليها إرادة التعميم، مع اشتراك كل ضروب التداعي الاشتقاقي في محض التأكيد.

ثانيًا: التداعي الإضافي اللفظي[١٠١٤].

يمضي التداعي الإضافي على نهج الوصفي في دلالته على تأكيد المعنى والتناهي فيه، ومنه ما يقال "للرجل إذا كان داهية: إنه لَصِلُّ أصْلالٍ"[١٠١٥]، "وإنه لهِتْرُ أَهْتَارٍ"[١٠١٦]، "أي: داهية من الدواهي"[١٠١٧]. كما يقال: إنه "لَسِبْدُ أسْبادٍ إذا كان داهيةً في اللّصوصية"[١٠١٨]، ويقال: "إنه لضُلُّ أَضْلَالٍ، أي: ضالّ"[١٠١٩]. كما يأتي المضاف إليه مُعَرَّفًا، نحو: "هو صِلُّ الأصلالِ، أي: داهيةُ الدواهي"[١٠٢٠] لمزيد توكيد ومبالغة. ومن هذا الباب قول النابغة الذبياني [من البسيط]:

[١٠٠٧] ينظر، ديوانه: ٢٨٠.

[١٠٠٨] أساس البلاغة، خبأ: ٢١٢/١.

[١٠٠٩] مصابيح الجامع: ٢٧٩/٣.

[١٠١٠] صبح الأعشى: ٤٩٨/٢.

[١٠١١] خزانة الأدب: ٢١٤/٩.

[١٠١٢] ينظر، معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة: ٢٢٢، ٢٢٣.

[١٠١٣] إعراب الحديث النبوي: ٤٢١.

[١٠١٤] إضافة الاسم إلى ما يجانسه في الجذر ظاهرة بالغة الاتساع في العربية جديرة بدرس مستقل، لذا سيكتفي الباحث بمعالجة تداعيها الاشتقاقي في الحد الدال على المبالغة أو الإفراط في الصفة انسجامًا مع نظيرتيها: (الوصفي والتمييزي).

[١٠١٥] المزهر: ٢٤٧/٢. "والصّل: الحية التي لا تنفع منه الرّقية". وينظر، مجمع الأمثال: ٢٧/١.

[١٠١٦] المرجع السابق: ٢٤٧/٢، وينظر، مجمع الأمثال: ٢٧/١.

[١٠١٧] المرجع السابق: ٢٤٧/٢.

[١٠١٨] المرجع السابق: ٢٤٧/٢.

[١٠١٩] المرجع السابق: ٢٤٧/٢.

[١٠٢٠] المرجع السابق: ٢٤٧/٢.

ماذا رُزِئْنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةٍ بِالرَّزَايا صِلِّ أَصْلاَلِ[١٠٢١]

وقد خرج هذا الضرب من رحم التداعي الوصفي، إذ نجد بعض التراكيب الإضافية محولة عن متداعيات وصفية، "يقال: كان ذلك في دَهْرِ الدَّهارِيرِ"[١٠٢٢]، أي: في "الزمان السالف، وقيل: أول الأزمنة السالفة. وإذا قيل: (دَهْرٌ دهاريرُ) بالصفة فمعناه شديد، كما يقال: ليلةٌ ليلاءُ"[١٠٢٣]. على أن الأزهري يسوي بين التركيبين في دلالة المبالغة، جاء في اللسان: "و(دُهُورٌ دَهارِيرُ) مختلفة على المبالغة. الأَزهري: يقال ذلك في (دَهْرِ الدَّهارِير)"[١٠٢٤].

على أن الاختلاف في دلالة التركيب الإضافي وحَمْلَه في دلالة المبالغة على التداعي الوصفي يثبت أصالته– أي: الوصفي- في هذا الباب، ويزيد هذا الزعم قوة قول الفرزدق [من البسيط]:

بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الأَمْواتِ قَدْ ضَمِنَتْ إِيَّاهُمُ الأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَارِيرِ[١٠٢٥]

وقد رُوي التركيب على جهة الوصف في ديوانه:

.... **بِالدَّهْرِ الدَّهَارِيرِ**[١٠٢٦]

ويقال: "لا أَفْعَلُهُ دَهْرَ الدَّهَارِيرِ"[١٠٢٧]، "ويقَال أيضًا: لا أفعله دَهْرَ الداهرينَ وأبدَ الآبدينَ وعوض العائضينَ"[١٠٢٨]. ودلالة المبالغة في كل ذلك مما لا يخفى.

قد يأتي التداعي الإضافي على جهة الإسناد المجازي، وهو أبعد في المبالغة، وضابطه أن يضاف اسمُ التفضيل إلى أحد شيئين: مصدره أو جمع لغير العاقل من جنس مادته. وشاهد الأول قوله- ε-: "إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ"[١٠٢٩]، و"(أَبَرَّ الْبِرِّ) من قبيل جلَّ جلالُه وَجَدَّ جِدُّه، بجعل الجد جادًّا، وإسناد الفعل إليه، وجعل الجلال جليلا، وإسناد الفعل إليه، فيجعل البر بارًّا، ويبتني منه أفعل التفضيل، وكذا كل ما كان من هذا القبيل، مثل: أفضل الفضل، وأفجر الفجور"[١٠٣٠]. كأن التركيب محوَّل عن الوصف، فهو (البرّ المَبرور)، وكذا في نظائره.

ومنه أيضًا (أَفْجَرِ الْفُجُورِ) في الحديث الشريف: "كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ مِنْ أَفْجَرِ الْفُجُورِ فِي الأَرْضِ"[١٠٣١]. وكذا (أَرْبَى الرِّبَا) في قوله- ε-: "إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الإِسْتِطَالَةَ فِى عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ"[١٠٣٢].

[١٠٢١] ديوانه: ١٦٥. نَضْناضَة: حيَّة مُنْكَرَة.

[١٠٢٢] لسان العرب، دهر: ٤/٤٢٥.

[١٠٢٣] خزانة الأدب: ٥/٢٨٩.

[١٠٢٤] لسان العرب، دهر: ٤/٤٢٦.

[١٠٢٥] ينظر، الخصائص: ١/٣٠٧– ٢/١٩٥، وخزانة الأدب: ٥/٢٨٨، وتوضيح المقاصد والمسالك: ٣/١٦٦٤.

[١٠٢٦] ديوانه: ١/٣٦١.

[١٠٢٧] مجمع الأمثال: ٢/٢٢٩.

[١٠٢٨] المرجع السابق: ٢/٢٢٩.

[١٠٢٩] صحيح مسلم: ٤/١٩٧٩.

[١٠٣٠] عقود الزبرجد: ٢/٢٢.

[١٠٣١] صحيح البخاري (١٥٦٤) حسب ترقيم فتح الباري: ٢/١٧٥.

[١٠٣٢] سنن البيهقي الكبرى: ١٠/٢٤١، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣٢١٧.

ومنه ما جاء في وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس: "واعلمي أنَّ الكحلَ أحسنُ الحسنِ المفقود وأنَّ الماءَ أطيبُ الطيبِ الموجود"[١٠٣٣]، ومثل ذلك قول عبد الله بن جعفر لابنته: "واعلمي أنَّ أزينَ الزينةِ الكحل، وأطيبَ الطِّيبِ الماء"[١٠٣٤].

ومنه قول أسامة بن منقذ [من البسيط]:

أدْنَى التَّدَانِي الهَوَى، والدَّارُ نازحةٌ وأبْعدُ البُعْدِ بين الجيرةِ الشَّنَفُ[١٠٣٥]

هذا الضربُ من التداعي الإضافي المجازي طيّعُ البناء يجري عفوًا على أقلام الكتاب والأدباء قديمًا وحديثًا، ومنه:

- قول الجاحظ في وصف حلم النبي- ε- وكرم عفوه يوم فتح مكة: "لقد كان ذلك من أكملِ الكمالِ"[١٠٣٦].
- "... ثم لعلهُ يهجمُ منها على أقبحِ القبحِ وأدَمّ الدمامةِ، فلا يعظهُ ذلكَ"[١٠٣٧].
- "وهل أكرمُ الكَرَمِ عند النفس إلا أن يكون لها هذا الشعور في نفس أخرى؟"[١٠٣٨].
- "وقال مجنوننا: إنَّ أجملَ الجمالِ في المرأة الفاتنة هو ذاك الذي يجعل لكل إنسان نوع شعوره بها"[١٠٣٩].

أما الثاني فشاهده قوله- ε-: "مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ"[١٠٤٠]، و"الفِرَى جمع فِرية وهي الكذب، وأفْرَى أفعل منه للتفضيل، أي: أكذب الكذبات... ونسبة الكذبات إلى الكذب للمبالغة، نحو قولهم: (ليل ألِيل) و(جَدَّ جِدُّه)"[١٠٤١]. وكذا (أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ) في قوله- ε-: "أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَوْلُ الزُّورِ"[١٠٤٢].

ومنه قول ابن الرومي [من الخفيف]:

إن من أعجب العجائب قِرْدًا يتحدَّاكَ ناقضًا توكِيدَكْ[١٠٤٣]

وهو كثير في كلام البلغاء والعلماء والأدباء قديمًا وحديثًا، ومنه:

- وأغربُ الغرباءِ من صار غريبًا في وطنه، وأبعد البُعداءِ من كان بعيدًا في محل قربه"[١٠٤٤].
- "والهنابث خبيثة من أخبث الخبائث"[١٠٤٥].

[١٠٣٣] شرح نهج البلاغة: ٣٣٣/١٨، وينظر، مجمع الأمثال: ٢٦٢/٢.

[١٠٣٤] البيان والتبيين: ٩١/٢، ٩٢.

[١٠٣٥] ديوانه: ١٣٥. الشَّنَفُ: البغض والتنكُّر.

[١٠٣٦] البيان والتبيين: ٣٠/٢.

[١٠٣٧] الأدب الصغير والأدب الكبير: ١٢٢.

[١٠٣٨] وحي القلم: ٣٢٠/١.

[١٠٣٩] المرجع السابق: ١٠٠/٣.

[١٠٤٠] صحيح البخاري (٧٠٤٣) حسب ترقيم فتح الباري: ٥٤/٩.

[١٠٤١] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣٠١٥، ٣٠١٦، وينظر، فتح الباري، لابن حجر: ٤٣٠/١٢.

[١٠٤٢] صحيح البخاري (٦٨٧١) حسب ترقيم فتح الباري: ٤/٩.

[١٠٤٣] ديوانه: ١٨٦٧/٥.

[١٠٤٤] الإشارات الإلهية: ١٠٩، ١١٠.

[١٠٤٥] غريب الحديث، للخطابي: ٥٣٤/٢. والهنابث هي الأمور الشداد.

- "وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات؟"[١٠٤٦].
- "وحفظ المكاسب من الخبائث أوجبُ الواجبات"[١٠٤٧].
- "وأخبثُ العقاربِ أقربُ الأقاربِ"[١٠٤٨].
- "وهي أغرب الغرائب في الإنسان"[١٠٤٩].

وظاهرٌ أنَّ الرابط الصرفي بين اسم التفضيل والجمع في الشواهد والأمثلة السابقة هو الجذر المعجمي المؤدي إلى الترادف، ذلك أنّ مفرد الجمع مغاير لاسم التفضيل[١٠٥٠].

كذلك يضاف اسم التفضيل أو الوصف على وزن (أَفْعَل) إلى الجمع العاقل المتجنس بمادته على جهة التناهي في الصفة مدحًا، نحو قوله تعالى: **(وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)** [الأعراف: ١٥١- الأنبياء: ٨٣]. و**(أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ٨)** [التين: ٨]. وقد يُتناهَى في الذم، كقوله تعالى: **(ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ٥)** [التين: ٥].

ومنه كذلك ما ورد في (المخصص): ابنُ عِشْرينَ أسْرَعُ سارِعِين، وابنُ الثلاثين أسْعَى الساعِين أو أنْظَرُ الناظِرين، وابن الأربعين أبْطَشُ الباطِشين، وابن السبعين أحْكَمُ الحاكمين، وابنُ الثمانين أدْلَفُ دالِفين[١٠٥١].

وقد يضاف اسم التفضيل إلى الوصف المفرد، نحو قول ابن الرومي [من الطويل]:

فأصبحتُ في الإثراء أزهدَ زاهد وإن كنتُ في الإثْراءِ أرغبَ راغب[١٠٥٢]

إلى أنْ وقاني اللهَ محذورَ شرّهِ بعزتِهِ واللهِ أغلبُ غالب[١٠٥٣]

فأفلتُّ من ذُؤبانهِ وأسودِهِ وحُرَّابِهِ إفلاتَ أتْوب تائب[١٠٥٤]

أمَا حقٌّ حامي عِرض مثلك أنْ يُرَى له الرفدُ والترفيهُ أوْجَبَ واجب[١٠٥٥]

وإلاّ فلم يستعمل العدل جاعلٌ أجَدَّ مُجدٍّ قِرْنَ ألعب لاعب[١٠٥٦]

ولعله من الشائق أن تجتمع كل هذه (المتداعيات) الاشتقاقية في قصيدة واحدة[١٠٥٧]، وهذا يدلّنا على أن في تراكيب (التداعي الاشتقاقي) وحدة نغمية وتقسيمًا إيقاعيًّا تُبْنَى عليه القافية والأوزان الشعرية، إنها تراكيبُ ذاتُ طبعٍ شعري.

[١٠٤٦] الكشاف: ٣٨٧/٤.

[١٠٤٧] صبح الأعشى: ١٢/١٣.

[١٠٤٨] عقلاء المجانين: ٣٢٣.

[١٠٤٩] وحي القلم: ٢١٦/٣.

[١٠٥٠] قد حَسُنَ هذا التنبيه، لمجيء المفرد المضاف إلى جمعه بعد ذلك.

[١٠٥١] ينظر، العين: ١٢٣/٢، والمخصص: ٦٦/١.

[١٠٥٢] ديوانه: ٢١٣/١.

[١٠٥٣] ديوانه: ٢١٦/١.

[١٠٥٤] ديوانه: ٢١٦/١.

[١٠٥٥] ديوانه: ٢١٩/١.

[١٠٥٦] ديوانه: ٢١٩/١.

ومنه أيضًا قوله [من الطويل]:

وفي أن يكونَ النَّيلُ نَيْلًا مُعَجَّلًا كثيرًا تراه لي أقلَّ قليلِ[١٠٥٨]

وكذا ما جاء في قول أبي الحسن صالح الشنتمري [من الطويل]:

إذا شِئْتُ نثرًا كُنْتُ أَنْثَرَ نَاثِرٍ وإنْ شِئْتُ نَظْمًا كُنْتُ أَنْظَمَ نَاظِمِ[١٠٥٩]

ويدخل في هذا الباب أيضًا على جهة المبالغة والتناهي في المعنى إضافةُ المفرد إلى جمعه المتجنس بمادته الصرفية[١٠٦٠]، ومن شواهد هذا الباب الساطعة إضافة (أحد) أو (إحدى) إلى جمعه حتى صار مثلا، يقال: "(ذَاكَ أَحَدُ الأَحَدِينَ)، قال ابن الأعرابي: هذا أَبْلَغُ المَدْحِ"[١٠٦١]، كما يقال: (واحد الواحِدِينَ) و(واحد الأَحَدِينَ)[١٠٦٢]، والمراد "إحدى الدواهي، ولكنهم يجمعون ما يستعظمونه جمع العاقل وإن لم يكن عاقلًا"[١٠٦٣]. "ويقال (إحدى الإحَدِ)، كما تقول: واحد لا نَظِيرَ له. ويقال: (فلان وَاحِدُ الأَحَدِينَ ووَاحِدُ الآحادِ) وقولهم (هذا إحْدَى الإحَدِ)، قالوا: التأنيث للمبالغة بمعنى الداهية، وأنشدوا [من الرجز]:

[١٠٥٧] وفي القصيدة (متداعيات اشتقاقية) أخرى في غير هذا الباب، كذلك لأبي فراس الحمداني قصيدة في [ديوانه: ١٠٣] تحفل بصور المتداعيات أيضًا، مطلعها [من الطويل]:

لَعَلَّ خَيالَ العامِرِيَّةِ زائِرُ فَيُسعَدَ مَهجورٌ وَيُسعَدَ هاجِرُ

وينبّه الحسَّ أنّ (المتداعيات الاشتقاقية) في قصيدة أبي فراس مطبوعة لا صنعة فيها بخلاف ما تستشعره الذائقة من صنعة في قصيدة ابن الرومي.

[١٠٥٨] ديوانه: ١٨٩٨/٥.

[١٠٥٩] ينظر، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ٥٨٥/٤.

[١٠٦٠] ينبه الدكتور محيي الدين محسب على أن إضافة المصدر إلى مفعوله مما يخرج عن المبالغة، مثل (جَمْع الجموع) وضابطه جواز أن يوضع المصدر المؤول موضع المضاف، نحو قولنا: (كلَّف الأستاذُ طالبه أن يجمع الجموع من لسان العرب) [ينظر، مركب المفرد المضاف إلى جمعه: ٢٥، ٢٦]. لعلنا لحظنا أن مثال الدكتور محسب مثال وظيفي وهو مما تضعف فيه دلالة المبالغة والتأكيد، فضلا عن أنَّ هذا الحكم ليس على إطلاقه، فإضافة المصدر إلى فاعله مثلا كما في نحو (لومة لائم) و(نوح النوائح) و(نزع النازِع) مما يخرج إلى باب التأكيد والتناهي في المعنى قطعًا، وكذا إضافة المصدر إلى مفعوله في نحو (إنكار المنكر) و(إحقاق الحق)، كما أنّ مجيء المفعول به وسائر متعلقات الفعل من جنس مادته الصرفية مما يحقّق توكيدًا أيضًا، بل قد يتحقق الحصر بمجيء المفعول به من مادة فعله، وهو من (مُسْتَتَبع التركيب) بمصطلح الطاهر بن عاشور، كما سبق تفصيل القول في ذلك.

[١٠٦١] مجمع الأمثال: ٢٨٢/١.

[١٠٦٢] خزانة الأدب: ٣٤٨/٧.

[١٠٦٣] المرجع السابق: ٣٤٧/٧. وجاء فيه أيضًا [٣٤٨/٧]: "ما لا يعقل يجمع جمع المذكر في أسماء الدواهي تنزيلًا له منزلة العقلاء في شدة النكاية".

عَدُّونِيَ الثَّعْلَبَ فِيمَا عَدَّدُوا حَتَّى اسْتَثَارُوا بِيَ إِحْدَى الإِحَدِ

يضرب لمن لا نهاية لدهائه ولا مِثْلَ له في نَكْرَائه"[١٠٦٤]. يقول الزمخشري: "تقول العرب في الأمر المتفاقم (إِحْدَى الإِحَدِ)"[١٠٦٥]، "ونزلت به إِحْدَى الإِحَدِ، أي: إحدى الدّواهي. قال رجل من غَطَفَان [من الرجز]:

إِنَّكُمُ لنْ تَنْتَهوا عن الحَسَدْ حتَّى يُدِلِّيكُم إلى إِحْدَى الإِحَدْ"[١٠٦٦]

وهذا أصلٌ كبير، وبابٌ واسعٌ في العربية، راسخٌ في دلالة المبالغة على التعظيم والمدح أو التحقير والذّم، ومنه قول الفرزدق [من الطويل]:

فَلَو كانَ عبدُ اللهِ مَوْلَى هَجَوتُهُ ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا[١٠٦٧]

"(مَوْلَى المَوَالي) يُضْرب به المثل فى القلة والذلة"[١٠٦٨].

وقول عبيد الله بن قيس الرقيات [من مجزوء الخفيف]:

رَحِمَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتانَ طَلْحَةَ الطَّلْحَاتِ[١٠٦٩]

قيل: إنما قيل له ذلك، لأنه كان فى أجداده جماعة يسمون بـ(طلحة)، فأضيف إليهم، لأنه كان أكرمهم، وقيل: كان فى زمانه جماعة، اسم كل واحد منهم (طلحة)، فعلاهم بالكرم"[١٠٧٠]، فأضيف المفرد إلى جمعه على جهة المبالغة في التعظيم، إفراطًا في صفة الكرم.

ومنه قول عَقِيل بن عُلْفَةَ المرّي [من الطويل]:

وكُنْ أَكْيَسَ الكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمِ وإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمْقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا[١٠٧١]

"والمعنى: تَكَيَّسْ مع الأَكْيَاس، بل اجتهد أن تفوقَهم في كَيْسِهم"[١٠٧٢]، وجاء بـ(الكَيْسَى) جمعًا حملًا على (الْحَمْقَى) الجمع الدالّ على البلاء، "لأنهم يحملون النقيض على النقيض كثيرًا"[١٠٧٣].

وقول أبي تمام [من الكامل]:

جَبَلُ الجِبالِ غَدَتْ عليه مُلِمَّةٌ تركتهُ وهوَ مهدَّمُ الأركانِ[١٠٧٤]
أَنْعَى فَتَى الفِتيانِ غَيرَ مُكَذَّبٍ قَوِلِي وَأَنْعَى فارسَ الفُرسانِ[١٠٧٥]

وقول أبي فراس الحمداني [من الكامل]:

حتَّى انْبَرَى لِعَمُودِهَا فَأَقَامَهُ صافِي أَدِيمِ الْعِرْضِ خُيْرُ الأَخَايِرِ[١٠٧٦]

وليس شرطًا أن يكون المضاف إليه جمعًا أصيلا للمضاف، ومنه قول النابغة الذبياني [من الكامل]:

[١٠٦٤] مجمع الأمثال: ٢٨٢/١.

[١٠٦٥] الفائق في غريب الحديث: ٢٦/١.

[١٠٦٦] أساس البلاغة، وحد: ٤٩٥/٢.

[١٠٦٧] خزانة الأدب: ٢٣٥/١.

[١٠٦٨] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٦٩٠/١.

[١٠٦٩] ديوانه: ٢٠، ويروى: نضَّر... البيت.

[١٠٧٠] شرح المفصل: ١٤٤/١، ١٤٥.

[١٠٧١] شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، المجلد الثاني: ١١٤٥/٣.

[١٠٧٢] المرجع السابق، المجلد الثاني: ١١٤٥/٣.

[١٠٧٣] المرجع السابق، المجلد الثاني: ١١٤٦/٣.

[١٠٧٤] ديوانه: ١٤٤/٤.

[١٠٧٥] ديوانه: ١٤٤/٤.

[١٠٧٦] ديوانه: ١٢٥.

عَيّرْتَنِي نَسَبَ الكِرامِ، وإنّما فَخْرُ المَفاخِرِ أَنْ يُعَدَّ كَرِيمَا[١٠٧٧]

ومنه في الحديث: "تَغْلُوهُمْ نَارُ الأُنَيْرَانِ"[١٠٧٨]، والمراد: "(نار النيران) جمَعَ (النار) على (أنيار)، وأصلها (أنوار)، لأنها من الواوي...، وإضافة (النار) إليها للمبالغة كأن هذه النار لإفراط إحراقها، وشدة حرها، تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها"[١٠٧٩].

وهو كثير في كلام العرب حتى صار كالمثل، ومنه: أصابته مصيبة المصائب، ورزأته رَزِيئةُ الأرزاء، وفجعتْه فجيعةُ الفجائع، واجتاحته جائحةُ الجوائح، وقصمته قاصمةُ القواصم[١٠٨٠].

من عفو كلام العلماء في ذلك حديثًا:

- قول الآلوسي: "فَإِنَّ أَعْدَى الْأَعَادِي الْعَدُوُّ الْمُدَاجِي"[١٠٨١].
- "مشكلة المشاكل في الدواوين ما نسميه (الروتين)"[١٠٨٢].

والظاهرة ممتدة العِرْق إلى العصر الجاهلي كما استقصاها الدكتور محيي الدين محسب[١٠٨٣]، ومنها قول سليمى بنت المهلهل ترثي أباها [من الطويل]:

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِالدُموعِ السَوافِحُ عَلى فارِسِ الفُرسانِ في كُلِّ صافِحِ[١٠٨٤]

كذلك منها قول النابغة الذبياني "يُعَيِّر بني عبس اغترابَهم في بني عامرٍ [من الطويل]:

فَأَصْبَحتُم، وَاللهِ يَفْعَلُ ذَلكُمْ يَعُزُّكُم مَوْلَى مَوَاليكم حَجَلْ[١٠٨٥]

وقول مالك بن العَجْلان [من المنسرح]:

أَبْنَاءُ حَرْبِ الحُرُوبِ حَرَّضَنَا أَبْكَارُها والعَوَانُ والشُّرَّفُ[١٠٨٦]

وقد تتبع الدكتور محسب هذا التركيب في أوعيته اللغوية المختلفة في الشعر والنثر والألقاب وعنوانات الكتب والمصطلحات، نحو: (ليث الليوث، وبحر البحور، وأسد الأسود، وفتح الفتوح، وروح الأرواح، ونجم النجوم، ورب الأرباب، وبدر البدور، وصنديد الصناديد، ومِلك الملوك، ونَوْبة النُّوب، وأمير الأمراء، وسعد السعود، ونحس النحوس، وعين أعيان، وسعيد السعداء، وشيخ الشيوخ، وشيخ المشايخ، وقطب الأقطاب، وشمس الشموس، ونور أنوار المعارف، وسر أسرار العوارف، وروح الأرواح، وقدس الأقداس، وعالِم العلماء، وفقيه الفقهاء، وإمام الأئمة، وشاعر الشعراء، وحقيقة الحقائق، وجنس الأجناس، ونوع الأنواع، وقاضي القضاة، ورئيس الرؤساء، وناظر النُّظَّار)[١٠٨٧].

[١٠٧٧] ديوانه: ١٠٢.

[١٠٧٨] سنن الترمذي: ٢٣٦/٤.

[١٠٧٩] عقود الزبرجد: ٦٧/٢.

[١٠٨٠] ينظر، الألفاظ الكتابية: ١٧٦. ومن اللافت أيضًا مجيء الفاعل من جنس فعله، ففي التركيب صورتان متداخلتان للتداعي الاشتقاقي.

[١٠٨١] روح المعاني: ٣٠٦/١٤.

[١٠٨٢] مختارات وقطوف من تراثنا العربي: ١٤٤.

[١٠٨٣] ينظر، مركب المفرد المضاف إلى جمعه: ١٨، وما بعدها.

[١٠٨٤] ديوان مهلهل بن ربيعة: ١٠١.

[١٠٨٥] ديوانه: ١٩١. لم يستدل الدكتور محسب بهذا البيت للنابغة، وإنما هو مما جمعه الباحث بداية لمادة البحث.

[١٠٨٦] جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ٦٣٩. وهو شاعر جاهلي، كان سيد الأوس والخزرج في الجاهلية بيثرب.

[١٠٨٧] ينظر، مركب المفرد المضاف إلى جمعه: ١٨، وما بعدها.

كما نبَّه الدكتور محمد رجب الوزير على شيوع كثير من مركبات هذه الظاهرة في الاستعمال المعاصر، نحو: (جنة الجنَّات وأميرة الأميرات وجميلة الجميلات وكأس الكؤوس وأستاذ الأساتذة...) وغيرها مما سبق ذكره[١٠٨٨].

ومنه في الأمثال العامية: "بُكْرَه يُقْعُدْ علَى البساط ويِنَقِّي سِتّ السِتَّات"[١٠٨٩].

وقد سلكت العربية مسلكًا آخر في التداعي الإضافي بإضافة الاسم إلى مماثله إيغالًا في المبالغة بتعميق المعنى إلى حدِّه الأقصى، كقول أُحَيْحةَ بن الجُلاح [من الوافر]:

أهنْتُ المالَ في الشهواتِ حتَّى أصارَتْني أسيفًا عبدَ عبدِ[١٠٩٠]

والتداعي نفسه في قول نبيه بن الحجّاج [من الكامل]:

أَطَعْتُ النفْسَ في الشَّهَواتِ حتى أَعادَتْني عَسِيفًا عَبدَ عَبْدِ[١٠٩١]

ففي قوله (عَبدَ عَبْدِ) مبالغة في تعميق معنى العبودية والمذلة.

وقول طرفة بن العبد [من البسيط]:

مَا فِي المَعَالِي لكمْ ظِلٌّ ولا وَرَقٌ وفِي المَخَازِي لَكُمْ أَسْنَاخُ أَسْنَاخِ[١٠٩٢]

و"(السِّنخ): الأصل من كل شيء"[١٠٩٣]، أراد أن أصولهم في المخازي متأصلة، وجاءت الإضافة بطريق التداعي الاشتقاقي لتمكين هذا المعنى.

ومن إضافة المصدر إلى مثيله قوله- ε-: "أَلاَ إِنَّ شَرَّ الشَّرِّ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ, وَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ"[١٠٩٤].

ومنه قول ابن المعتز [من الخفيف]:

بي جُنونُ الهَوَى، وما بِي جُنونٌ وَجُنُونُ الهَوَى جُنُونُ الجُنُونِ[١٠٩٥]

ومنه في كلام الزمخشريّ قوله: "وهو من مَجازِ المَجَازِ"[١٠٩٦]، أي: الدرجة القصوى منه. ومن هذا البحر المصطلح السياسي المعاصر (دولةُ الدولةِ)، أي: عمق نظام الدولة البيروقراطي الذي يوجه بَوْصَلَتَها الإدارية ويتحكم في دولاب العمل.

وظاهرٌ أنَّ إضافةَ الاسم إلى مضاف إليه من جنس مادته الصرفية ضروبٌ مختلفة، يجمعها دلالة المبالغة على اختلاف في درجتها بحسب نوع المضاف إليه.

وقد يأتي المضاف إليه في صورة (اسم التفضيل + ما المصدرية + فعل)، كقوله- ε-: "أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا"[١٠٩٧]. و"إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الْهَوَى،

[١٠٨٨] ينظر، المرجع السابق: ١٥، ١٦.

[١٠٨٩] موسوعة الأمثال الشعبية: ١٤٨.

[١٠٩٠] الأصمعيات: ١٢٠. الأسيف: العبد أو الأجير.

[١٠٩١] لسان العرب، عسف: ٢٠٦/٩. "العَسِيفُ: المملوك المُسْتهان به". ويروى: (أَطعتُ العِرْس) بدلا من (النفْس).

[١٠٩٢] ديوانه: ١٥١.

[١٠٩٣] لسان العرب، سنخ: ٣٨٦/٦.

[١٠٩٤] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٧١٣، ويجوز في (خير) و(شرّ) الحمل على التفضيل، فتكون من باب إضافة اسم التفضيل إلى مصدر من لفظه.

[١٠٩٥] عقلاء المجانين: ٦٠.

[١٠٩٦] أساس البلاغة، شرف: ٤٨٨/١. وتركيب (مجاز المجاز) سائر متواتر في المعجم.

[١٠٩٧] صحيح مسلم: ٧٢٧/٢.

وَطُولُ الْأَمَلِ"[١٠٩٨]. و"يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ"[١٠٩٩]، فـ(ما) في (مَا أَخَافُ)[١١٠٠] و(مَا أَتَخَوَّفُ) و(مَا تَخَافُ) "مصدرية على طريقة: (جَدَّ جِدُّه) و(جُنّ جنونُه) و(خشيت خشيتُه)"[١١٠١]. ومنه قول الرافعي: "ومن أعجبِ ما عجبتُ له من أمر هذا الناقد..."[١١٠٢]. ويجوز- في كل ذلك- أن تكون (ما) موصولة أو موصوفة، أو تكون مصدرية على طريقة: جَدَّ جِدُّه[١١٠٣].

ثالثًا: التداعي التمييزي اللفظي.

يكون فيه التمييز مصدرًا مشتقًّا من جنس مميّزه على جهة الإسناد المجازي، إذ يتناهَى فيه المعنى إلى غير حَدٍّ، فتتلبَّسه الوصفية تلبُّسًا مفضيًا إلى المبالغة حملًا على نحو (جَدَّ جِدُّه) و(شعْرٌ شاعرٌ).

يأتي هذا الضرب من التداعي الاشتقاقي في أسلوب التفضيل إذا كان التمييز مصدرًا منتزعًا من اسم التفضيل، نحو: (أَجْوَدُ جُودًا) في قول النبي- ε-: "هَلْ تَدْرُونَ مَنْ أَجْوَدُ جُودًا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: اللهُ أَجْوَدُ جُودًا"[١١٠٤]. فـ(جُودًا) تمييز مشتق من اسم التفضيل (أَجْوَدُ)، والمعنى: "مَن الذي جُودُه أَجْوَدُ؟ فيكون إسنادًا مجازيًّا، كما في قولك: (جَدَّ جِدُّه). أو استعارة مكنية شبه جُودَه بإنسان يصدر منه الجُود، ثم خيّل أنه إنسان جَوَّاد بعينه، ثم نَسَب إليه ما يلازِمُه من الجُود مبالغة لكماله في صاحبه"[١١٠٥].

وكذا قوله- ε-: "لعلَّ آخرَها فوجًا أن يكون أعرضَها عرضًا وأعمقَها عمقًا، وأحسنَها حُسْنًا"[١١٠٦]. (أعرض وأعمق وأحسن) "جيء بها مبالغة، أي: أبلغها عرضًا وعمقًا وحُسْنًا. وقوله: (أحسنها حسنًا)، كقوله: جَدَّ جِدُّه، وجُنَّ جُنونُه. و(عرضًا): يحتمل أن يكون اسم عين، بدليل قوله: وأعمقها عمقًا. وأن يكون اسم معنى بدليل: (وأحسنها حسنًا)"[١١٠٧].

وكذا ما جاء في قول رهط بني عامر لما قدموا على النبي- ε-: "فقالوا: أَنْتَ وَالِدُنَا، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَأَنْتَ أَفْضَلُنَا عَلَيْنَا فَضْلًا، وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طُولًا. فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ لاَ تَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيَاطِينُ"[١١٠٨].

[١٠٩٨] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣٣٠٢.

[١٠٩٩] سنن الترمذي: ١٨٥/٤.

[١١٠٠] وهو تركيب شائع في الأحاديث النبوية، ينظر مثلا شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣٣٧٧.

[١١٠١] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣١٢٦.

[١١٠٢] وحي القلم: ٢٩٩/٣.

[١١٠٣] ينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٣١٢٦.

[١١٠٤] شعب الإيمان: ٢٦٦/٣.

[١١٠٥] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٧٠٨.

[١١٠٦] المرجع السابق: ٣٩٦٩، ٣٩٧٠.

[١١٠٧] المرجع السابق: ٣٩٧٠.

[١١٠٨] السنن الكبرى، للنسائي: ١٠٢/٩، وينظر، الفائق في غريب الحديث: ٢٢٠/١.

ومن شواهده الشعرية الساطعة قول الشاعر [من الوافر]:

أَجَلَّ جَلاَلَةً وَأعَزَّ فَقْدًا وَأقضَى لِلْحُقُوقِ وَهُمْ قُعُودُ[١١٠٩]

فـ(جَلاَلَةً) منصوبة "على التمييز، وكذلك قوله (فَقْدًا)، ولا يجوز أن يكون مصدرًا[١١١٠]...، لأنَّ أفعل هذا لا يؤكَّد بالمصدر، فهو من باب (شعرٌ شاعرٌ) و(موتٌ مائتٌ)، لأن أصله مأخوذ من (جلالٌ جليلٌ). وانتصب (أجَلَّ) بفعل مضمر، كأنه قال: لم أرَ أجَلَّ جَلاَلَةً منهم، لكنه اختصر وحذف"[١١١١].

ومنه قول طرفة بن العبد [من البسيط]:

أمَّا الملوكُ فأنت اليومَ <u>ألأمُهم</u> <u>لؤمًا</u> وأبيضُهم سربالَ طبَّاخِ[١١١٢]

وكذا قول خَلَف الأحمر [من المتقارب]:

<u>أَلَجَّ لَجَاجًا</u> من الخنفساء وأزْهى إذا ما مشى منْ غرابِ[١١١٣]

وقول الآخر [من المتقارب]:

فَأمَّا الَّتي خَيرُها يُرتَجَى <u>فَأَجْوَدُ جُودًا</u> من اللافِظَه[١١١٤]

"فنصب (جُودًا) بـ(أجود) على التمييز، وذلك مُوجبٌ لكونه فاعلًا معنًى، لأن كلَّ منصوب عل التمييز بأفعل التفضيل فاعل في المعنى، ونصبه على فاعليته"[١١١٥] على طريقة (جَدَّ جِدُّه)، فكأنه قال: جَادَ جُودُه.

وقول البُرَيق بن عياض الهذلي [من الوافر]:

<u>بأَجْرَأَ جُرْأَةً</u> مِنْهُ وأَدْهَى إذا ما كارِبُ المَوْتِ اسْتَدارَا[١١١٦]

"(جُرْأَةً) هنا منصوب على التمييز لا على المصدر"[١١١٧]، و"قد استغنت بما فيها من المبالغة عن التوكيد بالمصدر"[١١١٨]، فالتركيب من باب الإسناد المجازي، "كقوله: (هذه جرأةٌ جريئةٌ) و(هذا شِعْرٌ شاعِرٌ)، وكقولهم: (جُنَّ جنونُه) و(خرجتْ خوارجُه)"[١١١٩].

[١١٠٩] البيت بلا نسبة، ينظر أمالي ابن الشجري: ٣٨٧/٢.

[١١١٠] أي: مفعولا مطلقًا. يقول ابن الشجري في تفسير ذلك: "كذلك لم يقولوا: هو أحسن منك حُسنًا، فيؤكدوه بالمصدر، لأنهم لم يقولوا: ما أحسن هندًا حُسنًا" [أمالي ابن الشجري: ٣٨٧/٢]، وينظر، التمام في تفسير أشعار هذيل: ٩١.

[١١١١] شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١٦٠٠/٤، ١٦٠١، وينظر، أمالي ابن الشجري: ٣٨٧/٢. وفيه يقول ابن الشجري: "وأجمع النحويون أنَّ (جلالةً)... انتصابُها على التمييز".

[١١١٢] وَرَدَ هذا الشاهد في [شرح التصريح: ٣٢٥/١] على أنَّ (لؤمًا) "منصوب بمحذوف"، أي: مفعول مطلق لفعل محذوف، وقد أصَّل الباحث ذلك لصحة وروده تمييزًا كما مر. وجديرٌ التنويه على أنَّ البيت ورد بنصه ذاك في [ديوانه: ٢٣] بتحقيق عبد الرحمن المصطاوي، وكذلك في [أمالي المرتضى: ٩٢/١]، بيد أنه خلا في رواية الأعلم الشنتمري [ديوانه: ١٥٠] من موطن الشاهد، ففيه:

إنْ قُلْتَ: نَصْرٌ، فَنَصْرٌ كانَ شَرَّ فَتًى قِدْمًا، وأبيضَهُم سربالَ طبَّاخِ

[١١١٣] ينظر، أمالي ابن الشجري: ٣٨٧/٢، والحيوان: ٥٠٠/٣.

[١١١٤] خزانة الأدب: ٣٩٧/٩، وعقود الزبرجد: ٢٤٧/٢.

[١١١٥] عقود الزبرجد: ٢٤٧/٢، وينظر، خزانة الأدب: ٣٩٧/٩.

[١١١٦] التمام في تفسير أشعار هذيل: ٩١.

وقول أبي تمام [من الوافر]:

وكنتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قَنوعٍ تعوَّضَه صفوحٌ عنْ جهولِ[١١٢٠]

ومنه قول أحمد شوقي [من الكامل]:

كَانُوا أَجَلَّ مِنَ المُلوكِ جَلالَةً وَأَعَزَّ سُلْطَانًا وَأَفخَمَ مَظْهَرا[١١٢١]

ويجري هذا التركيب عفوًا على أقلام الأدباء والعلماء، ومنه:

- "قالت: معاذ الله أيها الأمي! أنت أجودُ جودًا، وأمجدُ مجدًا، وأورى زندًا، من أن تجعلها غنمًا"[١١٢٢].
- "إنما مثَّل بالثريد، لأنه أفضل طعام العرب، ولا يرون في الشبع أَغْنَى غَنَاءً منه"[١١٢٣].
- "قالت: هذا أجملُ جمالًا وأكملُ كمالًا، قد رضيته. فزوجوها إياه"[١١٢٤].
- "وبئرُ (تَلْثُمَ) ليس باليمن أغزرُ منها بحرًا، ولا أعذبُ ماءً، ولا أحلَى حلاوةً ولا أصحُّ صحةً"[١١٢٥].
- "فقالوا: أنت والدُنَا وأنت سيدُنا وأنت أطولُ طولًا وأنت الجفنةُ الغَرَّاءُ"[١١٢٦].
- "فأنتَ عاصيًا أقوى قوةً مِنَ الفيل"[١١٢٧].
- "فما تقول في جرير والفرزدق وأيهما أسْبَق؟ قال: جرير أرقّ شعرًا، وأَغْزَرُ غزرًا، والفرزدق أمتَنُ صخرًا، وأكثر فخرًا"[١١٢٨].
- "قَلَّ في نفسك ما تكاثرَ من عدد القوم، وكنتَ أعزَّ عزًّا وأكثر"[١١٢٩].
- "وقال أبو حنيفة: السَّوْقَمُ شجر عظام مثل الأَثْأَبِ سواءً غير أنه أَطول طولًا من الأَثْأَبِ وأقل عرضًا منه"[١١٣٠].

[١١١٧] المرجع السابق: ٩١.

[١١١٨] المرجع السابق: ٩١.

[١١١٩] المرجع السابق: ٩١.

[١١٢٠] ديوانه: ٤١٧/٤.

[١١٢١] ديوانه: ٤٦١/١.

[١١٢٢] كتاب الأمالي: ٨٩/١.

[١١٢٣] حاشية الطيبي على الكشاف: ٥٢٤/١٥.

[١١٢٤] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١٩٥/١.

[١١٢٥] معجم ما اسْتَعْجَمَ من أسماء البلاد والمواضع، التاء والميم: ٣١٩/١. ونظيره ما ورد في [الأغاني: ٤٤/٨]: "... فكانت فيه نخلة... لم يُرَ تمرٌ قطُّ أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوى ولا أحلى حلاوةً منه".

[١١٢٦] الفائق: ٢٢٠/١.

[١١٢٧] مقامات الزمخشري، مقامة النصح: ١٧٦.

[١١٢٨] مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة القريضية: ٩.

[١١٢٩] شرح نهج البلاغة: ١٠٠/٩.

[١١٣٠] لسان العرب، سقم: ٢٩٩/٦. وهذا مثال تقريري، ليس فيه قوة المجاز الواردة في غيره.

- "وثالثها: أن نفوسهم أقوى قوةً، وأرواحهم أصفى جوهرًا"[١١٣١].
- "فصار بإطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب... أشرف شرفًا وأكرم كرمًا"[١١٣٢].
- "وما سمعتُ في الإنشاد أعربَ عربيةً من البارودي، ولا أعذبَ عذوبةً من الكاظمي، ولا أفخمَ فخامةً من حافظ"[١١٣٣].
- "... وأنَّ الرجل [أي: شوقي] ما أوفى على الشعراء جميعًا لأنه أفضلهم، بل لأنه أغناهم، ولا من أنه أقواهم قوةً، بل لأنه أقواهم حيلة"[١١٣٤]... وغير هذا كثير.

هذا الضرب من التداعي الاشتقاقي بين اسم التفضيل وتمييزه قد خرج من رحم (التداعي الوصفيّ) على جهة الإسناد المجازي، ولو قُلِب الترتيب لصار مركّبًا وصفيًّا، نحو (جلالة أجلّ) أو (جلالٌ جليل) بتعبير الطيبي فيما مرَّ، و(عِزٌّ أعزّ) أو (عِزٌّ عَزيز)، و(عربية أعْرب)... وغيرها، ولو قيل في أصله الأصيل: جَلّتْ جلالتُه، وعزَّتْ عِزّتُه،... ونحوهما، لصادف وجه الكلام، فهذا بابٌ متصل الأرحام تنتح فروعه جميعًا من معين واحد.

[١١٣١] مفاتيح الغيب: ٥٦٣/٢٧.

[١١٣٢] البيان والتبيين: ٢٩٢/٣.

[١١٣٣] وحي القلم: ٢٧٦/٣.

[١١٣٤] المرجع السابق: ٢٩٦/٣.

المبحث الثاني: التداعي الاشتقاقي التقديري.

قد استقرّ في العربية خرْقُ مبدأ "تغايُر الحُكْم والمحكوم عليه"[١١٣٥] لغرض دلالي مخصوص، فاتحد الفعل والفاعل وسائر أنواع المتداعيات الاشتقاقية اللفظية على نحو ما ذُكِر تفصيلا، ولَمَّا استقام للعربية هذا الأصلُ الكبير في كل أنماط بيانها العالي، أقدمت جسارةً على تقدير أحد عناصر المتداعيات الاشتقاقية لمقتضى التركيب ثقةً بمحصول الحال[١١٣٦] بتعبير ابن جني، ويأتي هذا التقدير المنتزع من العنصر المذكور على النحو الآتي:

أولا: تقدير الفاعل، وهو ضربان:

أ) **اسم الفاعل.**

إسناد الفعل إلى مشتق من جنسه سبيل في العربية مطروقة على ما بيّنَّا، ولصيغة (اسم الفاعل) في هذا الموقع أمكنيَّة خاصة بحكم الانسجام بين الوظيفة النحوية والصيغة الصرفية، ومن ثم كان تقديره في بعض تراكيب العربية- وَفْق ضوابط محددة- مستقيمًا مع أصالته الاشتقاقية والموقعية.

يعضُد ذلك "أنَّ حذفَ الفاعلِ قد جاز في قول ناس من أهل النظر في العربية"[١١٣٧] بتعبير أبي علي الفارسي، وهذا الرأي أوجه ما يكون في بابنا هذا. ويقرر ابن مالك أنَّ حذف الفاعل لا يُفعل غالبًا دون صفة مقرونة بـ(مِنْ) إلا بعدَ نفي أو نهي[١١٣٨]، ومن شواهده المذكور فيها الصفة المقرونة بـ(مِنْ) قوله تعالى: **(وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ)** [الأنعام: ٣٤] والتقدير- على أجود الوجهين[١١٣٩]- "وَلَقَد جَاءَكَ جَاءٍ مِن نَّبَأ ٱلمُرسَلِينَ"[١١٤٠].

وكذا قول "عَائِشَةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ- ε- كَانَ يُصَلِّي جَالِسًا فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً قَامَ فَقَرَأَهَا"[١١٤١]، ورواية الرفع في (نَحْوٌ) لا إشكال فيها، والشاهد على رواية النصب- كما يذهب ابن مالك- "أنْ يُجْعَلَ (مِنْ قِرَاءَتِهِ) صفةً لفاعل (بَقِيَ) قامت مقامه لفظًا ونُويَ ثبوتُه، ويُجْعَل (نَحْوًا) منصوبًا على الحال، والتقدير: فإذا بَقِيَ بَاقٍ من قراءته نحوًا من كذا"[١١٤٢].

"وتقدير الفاعل المحذوف باسم فاعل كـ(باقٍ) بعد (بقِيَ) و(جَاءٍ) بعد (جَاءَ) أولى من تقدير غيره، لدلالة الفعل عليه معنى ولفظًا"[١١٤٣].

من ذلك أيضًا "قراءة يحيى وإبراهيم: **(فَيرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)** بالياء"[١١٤٤]. فـ"فاعل (يرى) مضمر دلت عليه الحال، أي: (فيرى رائيهم ومتأمِّلُهم)، و(الذين) في موضع نصب كقراءة الجماعة، وقد كثر إضمار الفاعل لدلالة الكلام عليه"[١١٤٥].

[١١٣٥] البحر المحيط: ١٨٦/٤. وينظر، الدر المصون: ٥٢/٥، وروح المعاني: ٢١٣/٤.

[١١٣٦] ينظر، الخصائص: ٣٤٠/٣.

[١١٣٧] كتاب الشعر: ٤٣٨/٢. سيأتي ذكر بعض أهل العربية ممن صرحوا بجواز حذف الفاعل بعد أبي علي الفارسي.

[١١٣٨] ينظر، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ١٨٧، وعقود الزبرجد: ٢١٩/٣.

[١١٣٩] يشير ابن مالك إلى رأي الأخفش الذي يذهب إلى زيادة (مِنْ) و(نبأ) فاعل. ينظر، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ١٨٦.

[١١٤٠] المرجع السابق: ١٨٦.

[١١٤١] صحيح البخاري (١١١٩) حسب ترقيم فتح الباري: ٦٠/٢.

[١١٤٢] شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ١٨٦، وينظر، عقود الزبرجد: ٣١٨/٣، ٢١٩.

[١١٤٣] المرجع السابق: ١٨٦، وينظر، عقود الزبرجد: ٣١٨/٣، ٢١٩.

ومن شواهده البيّنَة بعد النهي قراءة هشام: **(وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا)** [آل عمران: ١٦٩] بالياء[١١٤٦]، والتقدير: "ولا يَحْسَبَنّ حَاسِبٌ"[١١٤٧]، وكذا قوله تعالى: **(وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ٥٩)** [الأنفال: ٥٩] "والتقدير: ولا يَحْسَبَنّ حاسِبٌ"[١١٤٨].

من ذلك أيضًا قول النبي- ε-: "لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ يَزِيدَنَّ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبَنَّ عَلَى خِطْبَتِهِ"[١١٤٩]، والتقدير: وَلَا يَخْطُبَنَّ خاطِبٌ[١١٥٠].

ومثله المبدوء بفعل النهي، كما ورد في الحديث الشريف: "نَهَى رسول الله- ε- عَنْ بَيْعَتَيْنِ، عَنِ اللِّمَاسِ وَالنِّبَاذِ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ الصَّمَّاءَ، وَأَنْ يَحْتَبِيَ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ"[١١٥١]، وتقدير الفاعل: يَشْتَمِلِ المُشْتَمِلُ، ويَحْتَبِي المُحْتَبِي. وكذا "نَهَى رسول الله- ε- أَنْ يُقِيمَ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ"[١١٥٢]، وتقدير الفاعل: يُقِيمَ مقيمٌ ويَجْلِسُ جالسٌ.

"ومن حذف الفاعل بعد النفي"[١١٥٣] قول النبي- ε-: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"[١١٥٤]، أي: لَا يَشْرَبُ شاربٌ، وَلا يَسْرِقُ سارقٌ، وَلا يَنْتَهِبُ ناهِبٌ[١١٥٥]، ولا يجوز تقدير الضمير لئلا يعود على لفظ (الزَّانِي) وهو غير مقصود مع سائر الأفعال

[١١٤٤] المحتسب: ٢١٢/١.

[١١٤٥] المرجع السابق: ٢١٢/١. وقد استعمل ابن جني مصطلح (إضمار) تجنبًا لمصطلح (الحذف).

[١١٤٦] ينظر، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ١٨٦، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٥٠٦، وعقود الزبرجد: ٢١٩/٣، وشواذ القراءات: ١٢٥.

[١١٤٧] الكشاف: ٤٦٦/١، وينظر، مفاتيح الغيب: ٤٢٩/٩، وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ١٨٦، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٥٠٦، وعقود الزبرجد: ٢١٩/٣.

[١١٤٨] التحرير والتنوير: ١٤٤/٩.

[١١٤٩] صحيح البخاري (٢٧٢٣) حسب ترقيم فتح الباري:٢٤٩/٣.

[١١٥٠] ينظر، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ١٨٦، وعقود الزبرجد: ٢١٩/٣. تناجَشَ القوم في البيع: تزايدوا.

[١١٥١] المرجع السابق: ١٨٧، ١٨٨، وعقود الزبرجد: ٢١٩/٣. وروايته في [صحيح البخاري (٣٦٨) حسب ترقيم فتح الباري: ١٠٢/١] بذكر الفاعل: "... وَأَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ...".

[١١٥٢] المرجع السابق: ١٨٧، ١٨٨، وعقود الزبرجد: ٢١٩/٣. وروايته في [مسند البزار، حديث رقم (٣٦٩٠): ١٣٦/٩] برفع (الرجلُ): "لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ"، ولا إشكال فيه لذكر الفاعل.

[١١٥٣] وردت هذه العبارة منصوصًا فيها على مصطلح (الحذف) عند ابن مالك في [شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ١٨٦] والطيبي في [شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٥٠٦]، والسيوطي في [عقود الزبرجد: ٢١٩/٣].

[١١٥٤] صحيح البخاري (٢٤٧٥) حسب ترقيم فتح الباري: ١٧٨/٣.

[١١٥٥] ينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٥٠٦.

المذكورة، وقد نبَّه على ذلك ابن حجر قائلا: "ولا يرجع الضمير إلى (الزَّانِي) لئلا يختص به، بل هو عام في حق كل من شرب، وكذا القول في لا يسرق ولا يقتل وفي لا يَغُل"[١١٥٦].

وقدَّرَ "بعضُ الشُّرَّاح (الرجل) أو (المؤمن)"[١١٥٧] فاعلًا، وهو من تفسير المعنى لا تقدير الإعراب، إذ الدليل في العربية قائم على مجيء الفاعل من لفظ الفعل لدلالة العموم، كما أنّ الفعل يدلّ عليه في مثل هذا السياق، فضلا عن أنه مُشَاكِلٌ لمجيء الفاعل الظاهر قبله من لفظ الفعل في قوله (لَا يَزْنِي الزَّانِي)، فهو أخصُّ تقدير وألصق بطبع التركيب.

ب) المصدر.

يُقَدَّرُ الفاعلُ مصدرًا مُنتزعًا من أحرفِ الفعل إذا كان ما بعده جملة تدلّ عليه، لامتناع حملها- أي: الجملة- على الفاعليّة[١١٥٨]، فـ"هذا البابُ كلُّه محمولٌ على إضمار المصدر المفهوم من الفعل"[١١٥٩]، وشاهده الساطع[١١٦٠] قوله تعالى: (**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ**) [يوسف: ٣٥] فـ(بَدَا) "فعْلٌ، والفعل لا يخلو من فاعل، ومعناه عند النحويين أجمعين (بَدَا لهم بُدُوٌّ)، وقالوا: (لَيَسْجُنُنَّهُ). وإنما أضمر (البُدُوَّ)، لأنه مصدر يدل عليه قوله: (بَدَا لَهُم)"[١١٦١].

وقدّر أبو علي الإضمار بـ(البَدَاء)، وإنما جاز ذلك، "لأنَّ (البَدَاء) الذي هو المصدر قد صار بمنزلة العِلْم والرأي"[١١٦٢]. وتأويل (البَدَاء) بـ(العِلْم والرأي) استبطانٌ لمبدأ المغايرة، ولو دلاليًّا.

(الإضمار)[١١٦٣] هنا هو (الحذف) عند الكسائي[١١٦٤] وغيره من أهل النظر في العربية على حدِّ تعبير أبي علي الفارسي[١١٦٥]، ومنه قول القرطبي: "الفاعل ما دل عليه (بَدا) وهو مصدر، أي: (بَدَا لهم

[١١٥٦] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر: ٥٩/١٢. قوله (ولا يقتل) و(لا يَغُل) وردت في روايات أخرى للحديث [ينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٥٠٦- ٥٠٨]، وقد قدَّر لها الطيبي أيضًا فاعلا من لفظ الفعل، فقال: "ولا يغل غال، ولا يقتل قاتل"[شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٥٠٦].

[١١٥٧] المرجع السابق، لابن حجر: ٣٤/١٠.

[١١٥٨] ينظر، المساعد على تسهيل الفوائد: ٣٩٥/١، ٣٩٦، وشرح الكافية الشافية: ٦٠١/٢، والمقاصد الشافية: ٥٤٠/٢، ٥٤١، وارتشاف الضرب: ١٣٢٤/٣، والتبيان في إعراب القرآن: ٧٣٢/٢.

[١١٥٩] المقاصد الشافية: ٥٤١/٢، وينظر، التبيان في إعراب القرآن: ٧٣٢/٢.

[١١٦٠] إنما وُصِفَ بالساطع لظهور الفاعل المصدري نفسه المشتق من فعله الوارد في الآية الكريمة في أنماط أخرى من كلام العرب، حتى وصفه ابن الشجري بأنه متداول على ألسن العرب كما سيأتي.

[١١٦١] المرجع السابق: ٥٤١/٢، وينظر، كتاب الشعر: ٢٢٥/١- ٥٠٦/٢.وقد ذهب ابن مالك إلى أنَّه "لا يجوز مثل هذا الإسناد إلى مصدر الفعل، حتى يُشْعَر برأي مثل ظهَرَ وبَانَ" [ارتشاف الضرب: ١٣٢٤/٣، وينظر، المساعد على تسهيل الفوائد: ٣٩٦/١، وشرح الكافية الشافية: ٦٠١/٢]، وما ذهب إليه ابن مالك استبطانٌ لمبدأ المغايرة بين الحُكْم والمحكوم عليه، فتأوَّل التقدير لينسجم مع الأصل الأصيل في العلاقة الإسنادية.

[١١٦٢] كتاب الشعر: ٥٠٦/٢، وينظر، خزانة الأدب: ٢١٣/٩، ٢١٤.

[١١٦٣] (الإضمار) هو المصطلح الغالب عند أهل اللغة والنحو والتفسير، لامتناع حذف الفاعل وحده عندهم.

[١١٦٤] ينظر، المساعد على تسهيل الفوائد: ٣٩٥/١، ٣٩٦، وشرح الكافية الشافية: ٦٠١/٢.

[١١٦٥] ينظر، كتاب الشعر: ٤٣٨/٢. وسيأتي تفصيل ذلك.

لهم بَدَاءٌ)، فحَذَفَ لأن الفعل يدل عليه"[١١٦٦]، ويَعُمّهُمَا جميعًا (التقدير) في قول الشاطبي: "والتقدير: (بَدَا لهم بَدَاءٌ)"[١١٦٧].

استدلّ أهل اللغة والنحو على صحة هذا التقدير بوروده صراحةً في قول محمد بن بشير الخارجي [من الطويل]:

لَعَلَّكَ والموعودُ حَقٌّ لقاؤُهُ بَدَا لك في تلكَ القلوصِ بَدَاءُ[١١٦٨]

"فهو مِثل: (قد قيلَ فيه قَوْلٌ)، ونحو ذلك"[١١٦٩].

يزيد هذا التركيب الوارد في الشاهد رسوخًا أنَّ "ألسن العرب مُتداولةٌ له في قولهم: (بَدَا لي في هذا الأمر بَدَاءٌ)، أي: تغيَّر رأيي عما كان عليه. ويقال: فلان ذو بدوات، إذا بدا له الرأي بعد الرأي"[١١٧٠].

"وقد وقع هذا التركيب في سيرة ابن هشام ونصه: قال ابن إسحاق: ظن رسول الله– ε– أن قد بَدَا لعمه بَدَاءٌ"[١١٧١]، "أي: ظهرَ له رأي، فسمي بَدَاء، لأنه شيء يبدو بعدَمَا خَفِيَ"[١١٧٢]. وورد نظيره أيضًا في قوله: "فجاءهم رسول الله– ε– سريعًا، وهو يظن أنْ قد بَدَا لهم فيما كلمهم فيه بَدَاءٌ"[١١٧٣].

ومنه كذلك قوله تعالى: **(أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ)** [طه: ١٢٨]. وقوله تعالى: **(وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ)** [إبراهيم: ٤٥] وتقدير الفاعل فيهما: (يَهْدِ لهم هُدى) و(تَبيَّن لكم تَبَيُّنٌ)[١١٧٤].

لفرط استقرار هذا التركيب في لسان العرب ضرَبَ له الفراء أمثلة، منها: (قد تبيَّنَ لي أهذا عبد الله أم زيد)[١١٧٥]، و(قد بَدَا لي لأضربَنَّك)[١١٧٦] على تقدير فاعل هو (تبيُّنٌ) و(بَدَاءٌ).

و(نائب الفاعل) على شرط (الفاعل) في جميع أحكامه، ومنه في هذا الباب قوله تعالى: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)** [البقرة: ١١] "والمفعول القائم مقام الفاعل مصدر وهو (القول)، وأُضمر لأن الجملة بعده تفسره، والتقدير: (وإذا قيل لهم قول)"[١١٧٧].

قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)** [الزمر: ٦٥] والتقدير: أُوحِيَ وَحْيٌ[١١٧٨].

[١١٦٦] الجامع لأحكام القرآن: ١٨٦/٩.

[١١٦٧] المقاصد الشافية: ٥٤١/٢.

[١١٦٨] خزانة الأدب: ٢١٥/٩، وكتاب الشعر: ٢٢٥/١– ٥٠٦/٢.

[١١٦٩] كتاب الشعر: ٥٠٦/٢.

[١١٧٠] أمالي ابن الشجري: ٣٨/٢، وينظر، خزانة الأدب: ٢١٣/٩.

[١١٧١] خزانة الأدب: ٢١٤/٩.

[١١٧٢] المرجع السابق: ٢١٤/٩.

[١١٧٣] السيرة النبوية: ٣٢٤/١.

[١١٧٤] ينظر، المقاصد الشافية: ٥٤١/٢. ونبَّه أبو حيان في [البحر المحيط: ٢٦٧/٦] على ذلك الخلاف في استعمال مصطلح الحذف في هذا الباب، يقول: "الفاعل مقدَّر تقديره: الهدى والآراء والنظر والاعتبار... وهو قول المبرد وليس بجيد، إذ فيه حذف الفاعل، وهو لا يجوز عند البصريين، وتحسينه أن يقال: الفاعل مضمر تقديره: يَهْدِ هو، أي: الهُدَى".

[١١٧٥] ينظر، معاني القرآن: ٣٢١/٢، والمقاصد الشافية: ٥٣٩/٢.

[١١٧٦] ينظر، المرجع السابق: ٣١/٢، والمقاصد الشافية: ٥٣٩/٢.

[١١٧٧] التبيان في إعراب القرآن: ٢٨/١.

قوله تعالى: **(فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ)** [طه: ١١] "المفعول القائم مقام الفاعل مضمر، أي: نُودِيَ موسى، وقيل: هو المصدر، أي: (نُودِي النداءُ) وما بعده مفَسِّر له"[١١٧٩].

وظاهرٌ أنَّ تقدير المصدر معتمد على نظائره من التراكيب التي يقدَّر فيها للفعل فاعلٌ أو نائبٌ عنه مصدرًا مشتقًّا من أحرف الفعل، وضابط ذلك: أنَّ كلّ فعل كان تأويله كتأويل (بلغني)، و(قيل لي)، و(انتهى إليّ) مفتقدًا فاعله أو ما في حكمه وبعده جملة تدل عليه، قُدِّرَ فاعله مصدرًا مشتقًّا من مادة فعله[١١٨٠].

من هذا البحر قول الفرزدق يهجو جريرًا [من الكامل]:

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهَجَوْتَهَا أَمْ بُلْتُ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ[١١٨١]

(ما) نافية، ودلَّ الفعلُ (ضَرَّ) على المصدر، والتقديرُ: ما ضرَّها ضرٌّ أو ضيرٌ، فهو بمنزلةِ: (قيلَ فيه قولٌ)، و(ذُهِبَ به مذهبٌ)[١١٨٢].

ونظير ذلك قول قُتَيْلَة بنت النَّضْر بن الحارث [من الكامل]:

ما كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنتَ، وَرُبَّما مَنَّ الْفَتى وَهُوَ المَغِيظُ المُخْنَقُ[١١٨٣]

فإذا حُمِلَتْ (ما) على النفي، أُضْمِرَ في الفعل (الضُّر) أو (الضَّيْر)، لأنه بمعنى الضُّر[١١٨٤].

ومثله قول أبي ذؤيب الهذلي [من الطويل]:

فقلتُ تَحَمَّلْ فوق طَوْقِك إنّها مُطَبَّعةٌ مَن يأتِها لا يَضيرُهَا[١١٨٥]

فالفاعل "لا يكون إلا ما دلَّ عليه (يَضيرُها)، لأنه ليس في الكلام ما يجوز أن يكون فاعلا غيرَ ذلك"[١١٨٦].

وكذا قول بشر بن أبي خازم [من الطويل]:

نَزَعْتَ بِأسْبَابِ الأمُورِ وقَدْ بَدَا لِذِي اللُّبِ مِنْهَا أيُّ أَمْرَيْهِ أَصْوَبُ[١١٨٧]

والتقدير: وقَدْ بَدَا بَدَاءٌ[١١٨٨].

وجاء تقدير نائب الفاعل في قول ذي الرمة [من الوافر]:

وحُقَّ لمنْ أبو موسى أبوهُ يُوَقِّقُهُ الَّذِي نَصَبَ الْجِبَالَا[١١٨٩]

"أي: وحُقَّ الحقُّ، فحَذَفَ"[١١٩٠].

[١١٧٨] ينظر، المقاصد الشافية: ٥٤١/٢.

[١١٧٩] التبيان في إعراب القرآن: ٨٨٦/٢، والدر المصون: ١٦/٨.

[١١٨٠] ينظر، معاني القرآن: ٣١/٢، والمقاصد الشافية: ٥٣٩/٢، ٥٤٠.

[١١٨١] ديوانه: ٦١٤/٢.

[١١٨٢] ينظر، كتاب الشعر: ٤٧١/٢، والمقاصد الشافية: ٥٣٩/٢. وفي موضع الشاهد توجيهات أخرى نبَّه عليها أبو علي.

[١١٨٣] المرجع السابق: ٤٧١/٢.

[١١٨٤] المرجع السابق: ٤٧٣/٢.

[١١٨٥] ديوان الهذليين: ١٥٤/١.

[١١٨٦] كتاب الشعر: ٤٧٢/٢.

[١١٨٧] ديوانه: ٦١٤/٢.

[١١٨٨] ينظر، المقاصد الشافية: ٥٣٩/٢.

[١١٨٩] ديوانه: ١٥٠٦/٣.

ثمة توجيهٌ نحويٌّ في نحو قوله تعالى: (**وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا**)[الأحزاب: ٣٩] بتقدير "ضمير الاكتفاء، أي: كفى هو، أي: الاكتفاء، والباءُ ليست زائدةً"[١١٩١]، "والتقدير: كَفَى الاكتفاءُ، و(بالله) على هذا في موضعِ نصب لأنه مفعول به في المعنى، وهذا رأيُ ابنِ السراج"[١١٩٢]. وقصد بعض أهل اللغة والنحو بالإضمار ها هنا (الحذف)[١١٩٣]، واعترِضَ بزيادة الباء قبل فاعل (كفَى) وامتناع إعمالِ المصدر محذوفًا وإبقاءِ معمولِه (بالله)[١١٩٤]. ورغم أنَّ المذهب الراجح عند النحاة وفي صدرهم سيبويه أنَّ فاعل (كفى) مجرور بالباء الزائدة[١١٩٥]، فإن ابن جني رأى بعضَ حسنٍ في تقدير (الاكتفاء) فاعلا لدلالة (كفى) عليه، "لأنه من لفظه كما تقول: مَن كذَب كان شرًّا له، أي: كان الكذب شرًّا له، فأضمرته لدلالة الفعل عليه"[١١٩٦].

إذا ساغ هذا الاعتراض للسببين المذكورين، فإنَّ خلوّ التركيب مما يصح أن يكون فاعلا يُوجِبُ تقدير المصدرِ فاعلا، كما لو قيل: (كفى معاناةً أو ألمًا أو تجريحًا)، ولعل هذا- لو مرَّ على ابن جني- لَكان مما يحَسُن عنده كثيرًا.

على أية حال فإنَّ هذا الرسوخ في تقدير الفاعل المصدري المشتقّ من فعله يثبت مدى استقرار هذا الضرب من التداعي في لسان العرب بحكم تداول بعضه ظاهرًا في ألسنهم على حد تعبير ابن الشجري.

[١١٩٠] الجامع لأحكام القرآن: ١٨٦/٩.

[١١٩١] الدر المصون: ٥٨٧/٣.

[١١٩٢] المرجع السابق: ٥٨٦/٣. وينظر، لسان العرب، كفي: ١٣١/١٢. وجاء في [سر صناعة الإعراب: ١٤٢/١]: "قولهم: (كفى بالله) تقديره: كفى اكتفاؤك بالله، أي: اكتفاؤك بالله يكفيك".

[١١٩٣] المرجع السابق: ٥٨٧/٣، وينظر، لسان العرب، كفي: ١٣١/١٢.

[١١٩٤] ينظر، المرجع السابق: ٥٨٧/٣، لسان العرب، كفي: ١٣١/١٢.

[١١٩٥] ينظر، المرجع السابق: ٥٨٦/٣، وسر صناعة الإعراب: ١٤٢/١.

[١١٩٦] سر صناعة الإعراب: ١٤٢/١.

ثانيًا: تقدير عامل الحال.

قرر فريق من النحاة- اتساقًا مع مبدأ المغايرة- أن "الفعل لا يعمل في اسم الفاعل إذا كان حالًا من لفظِ الفعل لعَدَمِ الفائدة"[١١٩٧]، فلا يجوز أن يُقالَ على الحال: (أتقوم قائمًا؟ وأتقعُد قاعدًا)، "إذ قد عُلِمَ أنّه لا يقوم إلَّا قائمًا، ولاَ يقعد إلَّا قاعدًا, لأنّ الفعل قد دلّ عليه"[١١٩٨]، لكنّ هذا المنع يخالفه قوله تعالى: **(وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا)** [النساء: ٧٩]، "فذكر (رسولًا) وإن كان الفعلُ قد دلّ عليه على سبيلِ التوكيد"[١١٩٩].

وقد ارتضى سيبويه ذلك، فأجاز- بناء على الأصل المذكور- أن يكون عامل الحال المقدَّر من لفظه على سبيل التوكيد، "وذلك قولك: (أَقائمًا وقد قَعَدَ الناسُ وأَقاعِدًا وقد سار الرَّكْبُ؟)... وذلك أنّه رأى رجلاً فى حال قيامٍ أو حال قُعودٍ فأراد أن ينبِّهه فكأنّه لَفَظَ بقوله: (أتقومُ قائمًا وأَتَقُعد قاعدًا؟) ولكنَّه حذف استغناءً بما يرى من الحال وصار الاسمُ بدلاً من اللفظ بالفعل فجرى مجرى المصدر فى هذا الموضع.

ومثل ذلك: (عائذًا بالله من شرّها) كأَنَّه رأى شيئاً يُتَّقَى فصار عند نفسه فى حال استعاذةٍ حتَّى صار بمنزلة الذى رآه فى حال قيامٍ وقُعودٍ، لأنه يَرَى نفسَه في تلك الحال، فقال عائذًا بالله كأَنّه قال: (أعوذ بالله عائذًا بالله) ولكنَّه حذف الفعل، لأنَّه بدلٌ من قوله: (أَعوذُ بالله)"[١٢٠٠].

منه كذلك قوله تعالى: **(أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۳ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ)** [القيامة: ٣، ٤] على تقدير: "بَلَى نَقدِرُ قَادِرِينَ"[١٢٠١]، وهو أحد أوجه التأويل، وفيه قوة بلوغ أقصى المعنى في القدرة، دفعًا لإنكار البعث[١٢٠٢].

الضابط في ذلك "أن تكون الحالُ مشاهَدةً تدلّ عليه"[١٢٠٣]، فلا يُبتدأ بها بخلاف المصدر[١٢٠٤]، لأنه- أي: المصدر- "مأخوذ من لفظ الفعل فهو دالٌّ على فعل معيَّن"[١٢٠٥].

[١١٩٧] شرح المفصل: ٣٠٥/١. وممن منع أبو العباس المبرّد وغيره [ينظر، المقتضب: ٢٢٩/٣، ٢٦٤، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٤٨١/١، وشرح المفصل: ٣٠٥/١، والدر المصون: ٥٤٦/٥].

[١١٩٨] المرجع السابق: ٣٠٥/١، وينظر، المرجع السابق: ٣٤/٢.

[١١٩٩] المرجع السابق: ٣٠٥/١. قد سبق ذكر ذلك في القسم الأول من البحث.

[١٢٠٠] الكتاب: ٣٤٠/١، ٣٤١، وينظر، شرح المفصل: ٣٠٥/١، وإعراب الحديث النبوي: ٣٤٦، ٣٤٧.

[١٢٠١] شرح المفصل: ٣٤/٢.

[١٢٠٢] اتساقًا مع مبدأ المغايرة رجَّح النحاة وأهل التفسير أن يكون التقدير: (نجمعها قادرين) [ينظر، معاني القرآن: ٢٠٨/٣، والتبيان في إعراب القرآن: ١٢٥٤/٢، وروح المعاني: ١٥٢/١٥، وشرح المفصل: ٣٤/٢] ومنهم مَن حَمَل معنى الجمع على القدرة، جاء في [الجامع لأحكام القرآن: ٩٤/١٩]: "(قادِرِينَ) نصب على الخروج من نَجْمَعَ، أي: نقدر ونقوي قادِرِينَ على أكثر من ذلك"، وجاء في [روح المعاني: ١٥٢/١٥] مثل ذلك.

[١٢٠٣] شرح المفصل: ٣٠٥/١. والمراد– كما يوضح ابن يعيش– أن تكون هناك أمارات مشاهَدَة دالّة على التأهب للقيام مثلا، فإن ابتدئ بها، كقولك: (قائمًا) حُملت على المصدرية، فأُعربت مفعولًا مطلقا، فـ(قائمًا وقاعدًا وعائذًا) مصادر جاءت على فاعل كالفالج والعافية، وهو مذهب المبرِّد الذي يمنع مجيء الحال من لفظ الفعل مطلقا، فلا يجوز عنده النصب على الحاليَّة بوجه. وهو مخالف لما ورد في أفصح الكلام كما ذُكِرَ أعلاه. ويرجِّح السيرافي في [شرح كتاب سيبويه: ٢٣٠/٢] رأي سيبويه، "لأنّه قد تكون الحال توكيدًا كما يكون المصدرُ توكيدًا، وإن كان الفعلُ قد دلّ عليه".

من شواهد حذف الفعل المشتق منه الحال مجيئه مستعملا مع الاستفهام[١٢٠٦]، كقول النابغة الذبياني [من الوافر]:

أَتارِكَةً تَدَلَّلَها قَطامِ وَضِنًّا بِالتَحِيَّةِ وَالكَلامِ[١٢٠٧]

أي: أتتركها أَتارِكَةً؟

وبدون الاستفهام، كقول عبد الله بن الحارث السَّهميّ [من البسيط]:

أَلْحِقْ عَذابَك بالقوم الذين طَغَوْا وعائذًا بك أنْ يَعْلُوا فيُطْغُونِى[١٢٠٨]

والتقدير: أعوذُ بك عائذًا[١٢٠٩].

وقول المغيرة بن حَبْناء يخاطب أَخاه صخرًا [من الوافر]:

أَراكَ جَمَعْتَ مسْأَلَةً وحِرْصًا وعند الفَقْرِ زَحَّارًا أُنَانَا[١٢١٠]

الشاهد فيه نصب (زَحَّارًا) وهو مبالغة (زاحِر) على تقدير: تَزْحرُ زَحَّارًا.

ومنه ما جاء في الحديث الشريف أنَّ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سألت رَسُولَ اللهِ ﷺ: "أيعذّب الناس في قبورهم؟ فقال: عائذًا بالله من ذلك"[١٢١١]. فـ(عائذًا) منصوب "على الحال المؤكدة النائبة مناب المصدر والعامل فيه محذوف، كأنه قال: (أعوذ بالله عائذًا)، ولم يذكر الفعل، لأنَّ الحال نائبة عنه"[١٢١٢].

الحذف في كل ذلك مقيس على مذهب سيبويه[١٢١٣]، وهو وجه الكلام لمجيء التركيب على الوجهين ذكرًا وحذفًا، وعليه يجوز لقائل أن يقول: (أخارجًا وقد دخل الناس؟)[١٢١٤] أو (أفَرِحًا والناس في غمٍّ؟) أو (أمُحْجِمًا والجنود يهاجمون؟) على تقدير: أتخرجُ خارجًا، وأتفرحُ فَرِحًا، وأتحجمُ مُحْجِمًا... وغير ذلك مما يمكن توليده وفقًا لمقتضى الحال.

[١٢٠٤] أي: المفعول المطلق.

[١٢٠٥] شرح المفصل: ٣٠٥/١.

[١٢٠٦] ينظر، المساعد على تسهيل الفوائد: ٤٨٢/١.

[١٢٠٧] ديوانه: ١٣٠.

[١٢٠٨] ينظر، الكتاب: ٣٤١/١، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٤٨٢/١، وشرح المفصل: ٣٠٤/١، ٣٠٥.

[١٢٠٩] ينظر، لسان العرب، عوذ: ٤٦٤/٩، ٤٦٥.

[١٢١٠] ينظر، الكتاب: ٣٤١/١، ولسان العرب، أنن: ٢٤١/١.

[١٢١١] صحيح البخاري (١٠٤٩) حسب ترقيم فتح الباري: ٤٥/٢.

[١٢١٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر: ٥٣٨/٢، وينظر، مصابيح الجامع: ٧٩/٣، ولسان العرب، عوذ: ٤٦٤/٩، ٤٦٥.

[١٢١٣] ينظر، الكتاب: ٣٤٠/١، ٣٤١. ويقصره ابن مالك وغيره على السماع، ينظر، المساعد على تسهيل الفوائد: ٤٨١/١.

[١٢١٤] هو مثال ابن مالك في [المساعد على تسهيل الفوائد: ٤٨١/١]، وقد أورده على سبيل الاستدلال على أنه لا يجوز ذلك لقائل إلا إنْ كان قد سُمِعَ.

وقد يقدِّر النحاة لعامل الحال المؤكدة لمضمون الجملة فعلًا من لفظها إذا كان جزآها جامدين، والتقدير- في الأصل- منتزع من مضمون الجملة[١٢١٥]، كقول سالم بن دَارَةَ [من البسيط]:

أنا ابنُ دَارَةَ مَعْروفًا بها نَسَبي وهَلْ بدارةَ لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ[١٢١٦]

التقديرُ: أنا ابنُ دارَة أُعْرَفُ معروفًا[١٢١٧]، وهو التقدير الذي يرجحه الرضي، ومن تمثيلاته في ذلك: (زيدٌ أبوك عطوفًا) و(هو المسكين مرحومًا)[١٢١٨]، "كأنه قال: (يعطف عليك أبوك عطوفًا، ويُرحم مرحومًا)"[١٢١٩].

ثالثًا: تقدير الموصوف.

شاهده البَيِّن في قراءة السُّلَمي: (**وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لَغُوبٌ**) [فاطر: ٣٥]، بفتح اللام[١٢٢٠]. إذ يجوز حملها على أنها "صفة لمصدر محذوف[١٢٢١]، أي: (لا يمسنا فيها لُغُوب لَغُوب)، على قولهم: هذا شِعْرٌ شَاعِرٌ، وموتٌ مائِتٌ، كأنه يصف (اللُّغوب) بأنه قد لَغَبَ، أي أعيا وتعب، وهذا ضرب من المبالغة"[١٢٢٢]، كقول أوس بن حجر [من الطويل]:

إذا ناقَةٌ شُدَّتْ بِرَحْلٍ وَنُمرُقٍ إلى حَكَمٍ بَعْدِي فَضَّلَ ضَلَالُها[١٢٢٣]

"على هذا حمل أبو بكر قولهم: توضأتُ وَضُوءًا: أنه وصف لمصدر محذوف، أي: وُضُوءًا وَضُوءًا، كقولك: وُضُوءًا وَضِيئًا، أي: كاملا حَسَنًا"[١٢٢٤].

وظاهرٌ أن قصد المبالغة استدعى هذا التقدير الذي ساعده التركيب، إذ الوصف في نحو (لَغُوب) ليس له أن يباشر العامل بحكم وصفيته فكان تقدير المصدر (لُغُوب) ليتمكن في موقع الفاعلية، ولمَّا كان الغرض بلوغ غاية النفي لبلوغ غاية التنزيه والكمال كان التقدير اسمًا جامدًا من جنس مادة الصفة على جهة الإسناد المجازي.

وكذا الوصف (وَضُوءًا)، إذ موقع المفعول المطلق مُمَكَّنٌ للمصدر المنتزع من أحرف الفعل، فجيء بالصفة المشتقة من موصوفها لمزيد تأكيد تناهيًا في المعنى.

مثلُه أيضًا في ترجيح ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي قولهم: (رجل سَاكُوتٌ بَيِّن السَّاكُوتَة) وتقديره: (بَيِّن السكُتَة الساكُوتَة)[١٢٢٥]، فـ(الساكوتة): "صفة لمصدر محذوف، وحسّنَ ذلك عندي شيئًا أنه من لفظه، فكأنَّ أحدَهما صاحبه البتة.

[١٢١٥] ينظر، المساعد على تسهيل الفوائد: ٧١/٢، وشرح الرضي على كافية ابن الحاجب: ٩٣/٢، ٩٤، والدر المصون: ٥١٥/١، ٥١٦.

[١٢١٦] ينظر، الكتاب: ٧٩/٢.

[١٢١٧] ينظر، الدر المصون: ٥١٦/١.

[١٢١٨] ينظر، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: ٩٣/٢.

[١٢١٩] المرجع السابق: ٩٤/٢.

[١٢٢٠] ينظر، المحتسب: ٢٠٠/٢.

[١٢٢١] ويجوز أيضًا حملها "على ما جاء من المصادر على الفَعُول، نحو: الوَضُوء، والوَلُوغ، والوَقُود". [المحتسب: ٢٠٠/٢].

[١٢٢٢] المحتسب: ٢٠١/٢، وينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٦٦١/١٢، وروح المعاني: ٣٧٢/١١، والدر المصون: ٢٣٤/٩.

[١٢٢٣] ديوانه: ١٠٠، وينظر، المحتسب: ٢٠١/٢.

[١٢٢٤] المحتسب: ٢٠١/٢.

[١٢٢٥] ينظر، المرجع السابق: ٢٠١/٢.

وحكى الأصمعيُّ: ليس عليك في ذلك تَضُرَّةٌ ولا ضَارُورَة، فَضَارُورَة- على قياس قول أبي بكر- كالسَّاكُوتة، أي: ضرَّةٌ ضَارُورَة"[١٢٢٦].

كذلك قوله تعالى: (**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ**) [آل عمران: ١١٧] إذ من توجيهات كلمة (صِرٌّ) أنها "صِفَةٌ بِمَعْنَى (بَارِدٍ) إِلَّا أَنَّ مَوْصُوفَهُ مَحْذُوفٌ، أَيْ: (بَرْدٌ بَارِدٌ) فَهُوَ مِنَ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ كَـ(ظِلٍّ ظَلِيلٍ)"[١٢٢٧].

وقد أعان على ترجيح تقدير (المصدر) في كل ذلك على جهة التداعي الاشتقاقي بطريق الإسناد المجازي أنّ موقعَ التقدير متعيّن للجامد لا الصفة، وأنّ الغرض هو التناهي في المعنى.

[١٢٢٦] المرجع السابق: ٢٠١/٢.

[١٢٢٧] روح المعاني: ٢٥٢/٢، وينظر، الكشاف: ٤٣٣/١. وقد رأى الآلوسي في هذا التوجيه بُعْدًا، "لَأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي مِثْلِهِ ذِكْرُ الْمَوْصُوفِ، وَأَمَّا حَذْفُهُ وَتَقْدِيرُهُ فَلَمْ يُعْهَدْ". وفي كلامه نظر، فقد جعل الزمخشري هذا الوجه أول توجيه للآية الكريمة، فضلا عن أنَّ تقدير مصدر لصفته المذكورة المشتقة من مادته مذهبٌ معتبرٌ عند أبي علي الفارسي وابن جني كما ذُكِرَ، ويرجحّه في السياق قصد التناهي في المعنى.

رابعًا: تقدير أحد المتضايفين.

قد استقام للعربية أن يأتي المركب الإضافي على جهة (التداعي الاشتقاقي)، ومن ثَمَّ هَيَّأ استقرار هذا التركيب للعربية أن تستغني عن أحد طرفي المركب الإضافي في ظاهر اللفظ مع يُسْر تقديره تمكينًا للمعنى وتناهيًا فيه، ومن شواهد حذف المضاف قول الشاعر [من الطويل]:

دَعُونِي أَنُحْ وَجْدًا كَنَوْحِ الحَمَائِمِ ولا تَجْعَلُونِي عِرْضَةً لِلوَائِمِ[١٢٢٨]

"أي: ولا تجعلوني معرَّضًا للوْمِ اللوَائِمِ... على حدِّ: (جَدَّ جِدُّه)، لأنَّ اللائمَ حقيقة فاعل اللوم"[١٢٢٩].

ومنه كذلك في قول أبي تمام [من الطويل]:

مَتى كانَ سَمْعِي خُلسَةً لِلَّوائِمِ وَكَيفَ صَغَت لِلعاذِلاتِ عَزائِمي[١٢٣٠]

ومن حذف المضاف إليه قوله– ε–: "غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِى عَلَيْكُمْ"[١٢٣١]. والأصل أن تلحق نون الوقاية الفعل، ولَمَّا اتصلت بـ(أَخْوَفُنِى) وهو اسم تفضيل[١٢٣٢]، اقتضى ذلك أنْ يكون تقدير الكلام على جهة "الأصل: (أخوف مخوفاتي)، فحذف المضاف إلى الياء وأقيمت هي مقامه فاتصل (أخوف) بالياء معمودة بالنون"[١٢٣٣].

كما يحتمل التقديرَ الإضافة للمصدر، فـ"يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة، كقولهم في الشعر الفصيح: شِعْرٌ شَاعِرٌ، وخوفُ فلان أخْوَفُ من خوفك، وتقديره: (خوف غير الدجال أخوفُ خوفِي عليكم) ثم حذف المضاف الأول ثم الثاني"[١٢٣٤].

والحمل على الإسناد المجازي اشتقاقيًّا أَقْضَى للمعنى وأوفي لقصد الحديث، فالتناهي هاهنا مما ينطق به لسان الكلام.

وذو نَسبٍ بهذا الباب "ما حُذف منه المضاف إليه وضُمِّن معناه، فيُبْنَي على الضم أو أحد أخويه نحو: (لا أفعله عَوْضُ) والأصل: (عَوْضَ العائضينَ)"[١٢٣٥].

خامسًا: تقدير التمييز.

يقدَّر (التمييز) من جنس (اسم التفضيل) إذا دلّ عليه في الكلام دليل، فاقتضاه سياق الكلام، ومنه ما ورد في أمالي القالي: "كان في بني مرة فَضْل وفُضَيْل أَخَوَان لأب وأم، ولا أعلم أني رأيت تَبَارَّهُما لأحَدٍ قطُّ، ولا رأيت أكملَ منهما في رجال الناس قطُّ أجملَ جمالًا ولا أفرس فروسيةً ولا أسخى ولا أشجع، فَرُمِيَ في جنازة أحدهما فمات"[١٢٣٦]. ففي (أسخى وأشجع) تمييز محذوف من جنس اسم التفضيل جريًا على سمت التركيب قبله، والتقدير: (وأَسْخَى سخاءً وأَشْجَع شجاعةً)، وهذه عين الدلالة المقصودة.

[١٢٢٨] البيت من استشهاد ابن المنير، ونسبَه لأبي تمام بصيغة التمريض.

[١٢٢٩] الكشاف، حاشية ابن المنيّر: ٤٣٦/١. [ورد نص ابن المنير المذكور في طبعة مكتبة العبيكان، ولم ترد في طبعة دار إحياء التراث التي كانت مصدر التوثيق في كل مواضع البحث إلا هذا الموضع].

[١٢٣٠] ديوانه: ٢١٩/٣. وقد ورد في [الدر المصون: ٤٢٨/٢] بذكر (عرْضَةً للوَائِمِ) بدلا من (خُلسَةً لِلَّوائِمِ).

[١٢٣١] صحيح مسلم: ٢٢٥٠/٤.

[١٢٣٢] إنما دخلته النون من جهة شبهه بفعل التعجب كما نبَّه علماء العربية.

[١٢٣٣] المساعد على تسهيل الفوائد: ٩٧/١، وينظر، صحيح مسلم: ٢٢٥٠/٤.

[١٢٣٤] صحيح مسلم: ٢٢٥٠/٤، وينظر، عقود الزبرجد: ٢٤٦/٢.

[١٢٣٥] خزانة الأدب: ١١٦/٧.

[١٢٣٦] كتاب الأمالي: ٦٩/٢.

المبحث الثالث: التداعي التأويلي.

لم تتوقف أصداء ظاهرة التداعي الاشتقاقي عند حد التقدير الذي استند إلى استقرار عناصر هذا التركيب لسعته في كلام العرب وتداوله في ألسنها، بل بَدَا آثارها في التصور النحوي لنظائر المتداعيات الاشتقاقية في المستوى الدلالي على جهة الترادف دون الاشتراك الجِذري، فحَمَلَهَا- أي: تلك المتداعيات المترادفة- أهلُ النظر من علماء العربية على أصل التركيب الاشتقاقي تأويلا، وضابطُ ذلك أن تنعقد علاقة نحوية بين لفظين أو ما في حكمهما اشتركَا معنًى وتغايَرَا لفظًا لتوخي غاية المبالغة والتناهي في تمكين المعنى المُراد.

مضت العربية تُمكِّنُ لأغراضها المعنوية على سَمْت التداعي الاشتقاقي اللفظي، فاستقام لعلماء العربية- فيما نبّهوا عليه تصريحًا أو تضمينًا- تأويلهم في ردِّ صور هذا التداعي المعنوي على أنماطه اللفظية الظاهرة، كما يأتي:

أولا: إسناد الفعل إلى معنى فاعله.

وهو- كاللفظي- يَرِدُ على وجهين:

أ) إسناد الفعل إلى معنى المشتق من جنسه.

تعدل العربية في هذا الباب عن إسناد الفعل إلى الفاعل المشتق من جنس فعله إلى مرادفٍ لهذا الفاعل، فكأنها ارتدَّت إلى أصل التركيب بإعمال مبدأ (المغايرة)، واستبقت غرضها في التأكيد وتمكين المعنى مُزْدَوجًا في الفعل وفاعله بطريق الترادف، ومن شواهد ذلك:

قوله تعالى: (**تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ**) [النازعات: ٧] "والإرداف: الإتباع والإركاب وراءك... فقيل: هما بمعنى واحد"[١٢٣٧]، فـ(ٱلرَّادِفَةُ) "التَّالِيَةُ، يُقَالُ: رَدِفَ بِمَعْنَى تَبِعَ، وَالرَّدِيفُ: التَّابِعُ لِغَيْرِهِ"[١٢٣٨]، فكأن التركيب على تأويل: (تَتبَعُهَا التابعةُ)، ولكن أُريدَ التأكيد من جهة الترادف لا صريح الاشتقاق.

ما ورد في الحديث الشريف: "بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ"[١٢٣٩]، على تأويل (أتاهم آتٍ)، وقد ورد نظير ذلك في قوله- ε-: "أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي"[١٢٤٠].

وقول أوس بن حَجَر [من الطويل]:

ولَستُ بأطْلَسِ الثَّوْبَيْنِ يُصْبِي حَلِيلَتَهُ إذا هَجَعَ النِّيامُ[١٢٤١]

لم يقل: (هَجَعَ الأيقاظُ أو السُّمَّار) مثلا وهو أصل المعنى، إذ لا يهجع إلا مَن كان يقظًا أو سامرًا، ولكن قال: (هَجَعَ النِّيامُ) تأكيدًا وتمكينًا للمعنى بازدواج الحدث على جهة الترادف، عدولًا عن صريح الاشتقاق (هَجَعَ الهُجَّعُ) تحقيقًا لمبدأ المغايرة ولو لفظًا.

وقول تأبط شرًّا [من الطويل]:

تَعَسَّفْتُه باللَّيْلِ لم يَهْدِني له دَلِيلٌ ولم يَشْهَدْ له النَّعْتَ خابِرُ[١٢٤٢]

وَالدَّلِيلُ هُوَ الْمُرْشِدُ[١٢٤٣] الذي يهدي إلى الشيء، فالشاهد على تأويل: لم يَهْدِني له هادٍ.

ومما نُسِبَ إلى الحطيئة [من الوافر]:

[١٢٣٧] الدر المصون: ٥/٥٧٠، وينظر، مفاتيح الغيب: ٣١/٣٤.

[١٢٣٨] التحرير والتنوير: ٣٠/٦٠.

[١٢٣٩] صحيح البخاري (٤٠٣) حسب ترقيم فتح الباري: ١/١١١.

[١٢٤٠] المرجع السابق (١٢٣٧) حسب ترقيم فتح الباري: ٢/٨٩.

[١٢٤١] ديوانه: ١١٥. الطلسة: كدرة في غبرة، والجملة كناية عن التنزه عن اقتراف الفواحش.

[١٢٤٢] ديوانه: ٩٥.

[١٢٤٣] ينظر، المصباح المنير، دلل: ١٦٧.

فقُلْتُ ادْعِي وأَدْعُ فإنَّ أَنْدى لِصَوْتٍ أَنْ يُنادِيَ داعِيانِ[١٢٤٤]

التأويل: يُنادِيَ مُنادِيانِ.

قول ليلى الأخيلية [من الطويل]:

لَعَمْرِي لَأنتَ المرءُ أبكي لفقدِه بِجِدٍّ وَلَوْ لامتْ عليه العَوَاذِلُ[١٢٤٥]

الأصل الاشتقاقي المعدول عنه: وَلَوْ عَذَلَت عليه العَوَاذِلُ.

قول البحتري [من الخفيف]:

شَجوُ حُسَّادِهِ وغَيْظُ عِدَاهُ أَنْ يَرِى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ واعِي[١٢٤٦]

الشاهد على تأويل: (يَرى راءٍ)، ومثله على المبادلة ما جاء في كلام الدماميني: "... بل يبصر الرائي سوادًا"[١٢٤٧]. ومنه قوله- ε- "... فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ"[١٢٤٨]، كأنه عدل عن التكرار اللفظي.

قول عبيد السلاميّ [من الطويل]:

فإن تكُ تعفُو يُعفَ عنك وإن تكنْ تُقارِعُ بالأخرى تُصِبْكَ القوارِعُ[١٢٤٩]

وتأويله: (تُصِبْكَ المصائبُ) أو (تَقرعْكَ القوارِعُ)، لو أريد تأكيد المعنى على جهة الأصل الاشتقاقي اللفظي لا التأويلي.

وكلُّ ذلك له نظائر فيما سبق.

ب) إسناد الفعل إلى معنى مصدره.

شاهده العمدة قول أبي ذؤيب الهذلي [من الطويل]:

وكنتُ كَعَظْمِ العاجِماتِ اكْتَنَفْنَهُ بأَطْرافِها حتى استدَقَّ نُحولُها[١٢٥٠]

"المعنى ازداد دقيقُها دِقَّةً، ويجوز أن يكون المعنى صار غَيرُ الجِدّ جِدًّا بمآله، وهذا كَمَا يقال: رِيعَ رَوْعُهُ، وخَرجتْ خوارجُه، وجُنَّ جنونُه"[١٢٥١].

وكذا قول أبي صَخر الهُذلي [من الطويل]:

لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى أَلِيفَينِ منْها لا يَرُوعُهُما الذُّعْرُ[١٢٥٢]

[١٢٤٤] ديوانه: ٣٣٨.

[١٢٤٥] ديوانها: ٧٢.

[١٢٤٦] ديوانه: ٢/١٢٤٤. ومن الشائق ملاحظة هذا التلازم بين السمع والوعي في البيت، وهو الوارد في قوله تعالى: (وَتَعِيَهَآ أُذُن وَٰعِيَة) [الحاقة: ١٢].

[١٢٤٧] مصابيح الجامع: ٢/٩٦.

[١٢٤٨] صحيح البخاري (٣٣٤٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٤/١٦٣.

[١٢٤٩] كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: ١/٧٦.

[١٢٥٠] ديوان الهذليين: ١/٣٣، وينظر، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، المجلد الأول: ١/٧٥. العاجمات: الماضغات من الإبل.

[١٢٥١] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، المجلد الأول: ١/٧٥، وينظر، ديوان الهذليين: ١/٣٤.

[١٢٥٢] ينظر، المرجع السابق، المجلد الثاني: ٣/١٢٣١.

وقول ساعدة بن جؤية الهُذلي [من البسيط]:

يُدعَونَ حُمْسًا ولم يَرْتَع لهم فَزَعٌ حتى رأوهم خِلَال السَّبي والنَّعَمِ[١٢٥٣]

"وإنما هو رِيعَ أمنُه، وخرجت دواخلُه، ولم يرتعْ لهم أمنٌ. فَسَمَّى الشيءَ بما آل إليه"[١٢٥٤].

وهو باب سائغ في اللسان يمكن توليده بما يوافق طبع العربية، نحو: (أَرَّقه السهرُ) و(استهواه العشق) و(سَخَا جُوده) إمعانًا في التوكيد على جهة الترادف، وتأويله الاشتقاقي حملا على الأصل: (أَرَّقه الأَرَقُ) و(استهواه الهَوَى) و(سَخَا سخاؤُه).

ثانيًا: الفعل ومتعلقاته.

تأتي سلسلة المتعلقات (المفعول به وشبه الجملة والحال) بعد الفعل على جهة الترادف المؤول بالأصل الاشتقاقي، كما يأتي:

أ) المفعول به.

من شواهده قوله تعالى: (**وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ**) [طه: ٦٢- الأنبياء: ٣] "والنجوى: الحديث السِّري، أي: اختلوا وتحادثوا سرًّا ليصدروا عن رأي لا يطلع عليه غيرهم، فَجَعْلُ النجوى معمولًا لـ(أَسَرُّوا) يفيد المبالغة في الكتمان، كأنه قيل: أسروا سِرَّهم، كما يقال: شِعرٌ شَاعِرٌ"[١٢٥٥].

قوله تعالى: (**وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ**) [طه: ٨٧] "والأوزار: الأَحْمَال وتسمى بها الآثام"[١٢٥٦]، فتأويلها: حُمِّلنَا أَحْمَالا، فزاد- فوق التوكيد- ثقل الآثام.

ب) شبه الجملة.

منه قول عَقِيل بن عُلَّفَة المُرّي [من الطَّويل]:

كَأَنَّ المَنَايَا تَبْتَغِي فِي خِيَارِنَا لَهَا تِرةً أَوْ تَهْتَدِي بدَلِيلِ[١٢٥٧]

على تأويل: تَهْتَدِي بهادٍ.

ج) **الحال.**

هي الحال المؤكدة لعاملها، كقوله تعالى: (**وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ**) [البقرة: ٦٠– الأعراف: ٧٤- هود: ٨٥- الشعراء: ١٨٣- العنكبوت: ٣٦] (مُفْسدين): "حالٌ من فاعل (تَعْثَوْا)، وهي حالٌ مؤكِّدةٌ، لأنَّ معناها قد فُهِم من عامِلها، وحَسَّنَ ذلك اختلافُ اللفظين"[١٢٥٨]، "فقوله: (وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) جارٍ مجرى أن يقال : (ولا تفسدوا في الأرض مفسدين)"[١٢٥٩].

"ومثله: (**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**) [التوبة : ٢٥]"[١٢٦٠]، وقوله تعالى: (**وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا**) [النمل: ١٠ – القصص: ٣١] فكلتاهما (مُدْبِرِينَ ومُدبِرًا) "حالٌ مؤَكِّدَةٌ، لأنَّه قد عُلِمَ أَنَّ مَعَ كُلِّ تَوْلِيَةٍ إدْبارًا"[١٢٦١].

[١٢٥٣] ينظر، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، المجلد الأول: ٧٥/١. الحُمْس: بنو عامر وكنانة وخزاعة ومن ولدته قريش، سمّوا بذلك لأنهم كانوا يحرمون أشياء لم تكن العرب تحرمها.

[١٢٥٤] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، المجلد الأول: ٧٥/١.

[١٢٥٥] التحرير والتنوير: ١٤٢/١٦.

[١٢٥٦] روح المعاني: ٥٥٦/٨.

[١٢٥٧] الكامل في اللغة والأدب: ٢٦/٤.

[١٢٥٨] الدر المصون: ٣٨٩/١، وينظر، البحر المحيط: ٣٩٣/١، وروح المعاني: ٢٧٣/١، وهمع الهوامع: ٤٠/٣.

[١٢٥٩] مفاتيح الغيب: ٣٨٥/١٨.

[١٢٦٠] الدر المصون: ٣٨٩/١، وينظر، روح المعاني: ٢٧٣/١، والخصائص: ٢٧٠/٢.

[١٢٦١] المحكم والمحيط الأعظم: ٣١١/٩، وينظر، همع الهوامع: ٤٠/٣، وعقود الزبرجد: ٤٩٤/٢.

وكذا (حيًّا) في قوله تعالى: (**وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**) [مريم: ٣٣]، فهي "حال مؤكدة، لأنّ معناه مفهوم من عاملها"[١٢٦٢].

قوله تعالى: (**وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا**)[النساء: ٦ - الأحزاب: ٣٩] (حَسِيبًا): حال[١٢٦٣]، "أي: كافيًا في الشهادة عليكم"[١٢٦٤]، فدلَّ بالفعل على الحال[١٢٦٥] بطريق الترادف للتوكيد، كأنه قيل: وكفَى بالله كافيًا.

منه كذلك قول ذو الرمة [من الطويل]:

لَهُنَّ إِذَا أَصبَحنَ مُنهُم أَحِفَّةٌ وَحينَ تَرونَ اللَيلِ أَقبَلَ جائِيَا[١٢٦٦]

فـ(أَقبَلَ جائِيَا) ترادفٌ على تأويل: أَقبَلَ مُقْبِلًا.

يقرر ابن جني أنَّ الحال المؤكدة المشتقة من لفظ عاملها فيما ذكرنا آكد من الحال المرادفة لعاملها، إذ إنّ نحو (مفسدين، ومدبرين، وحيًّا) قد نابت في اللفظ عن الفعل[١٢٦٧]، أما الحال المشتق من لفظ عامله ففيه مزية "أنَّ الفعلَ الناصبَ له ملفوظٌ به معه"[١٢٦٨].

ثالثًا: التداعي الوصفي التأويلي.

هذا الضرب الوصفي من المتداعيات المؤولة بالاشتقاقية من أوسعها وأمكنها في لسان العرب لبليغ التصاقها بطبع المبالغة، كذا هي أوضحها في تأويلات أهل اللغة والنحو لقرب مسافتها من أصلها الاشتقاقي، وذلك بحكم الترادف الحاصل بين الموصوف وَصِفَتِه، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: (**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [البقرة: ١٠] "يقال: أَلَمٌ فهو أليمٌ، كوجع فهو وجيع، ووصف العذاب به فهو نحو قوله [من الوافر]:

تحيّةُ بَينِهم ضَرْبٌ وَجيعُ[١٢٦٩]

وهذا على طريقة قولهم: جَدَّ جِدُّهُ، والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجِدّ للجَادّ"[١٢٧٠]، كأنه قيل: (ألمٌ أليمٌ) و(وَجْع وَجِيعٌ).

يحسُن التنبيه هنا على أنّ (الإسناد المجازي) الحاصل في (المتداعيات الوصفية) ليس قاطعًا في دخول هذا التركيب ضمن (التداعي التأويلي)، إذ يشترط فيه الترادف الذي يَؤُول بالتركيب إلى استدعاء أصله الاشتقاقي اللفظي، وكلاهما مضاعفة للمعنى وتكرار له على أبلغ وجه.

ذلك ثابتٌ مقرَّر عند أهل اللغة، فقد جعل الرضي هذا النمط المترادف كـ(هَمّ ناصب) ضِمْن تفسيره الدلالي لهذا الضرب من التراكيب، "نحو: عِزٌّ عزيزٌ، وذُلٌّ ذليلٌ، وشعرٌ شاعرٌ، وموتٌ مائت،

[١٢٦٢] الدر المصون: ١١١/٣، وينظر [المرجع السابق: ٥٩٧/٧]، وهمع الهوامع: ٤٠/٣، وعقود الزبرجد: ٤٩٤/٢.

[١٢٦٣] ينظر، روح المعاني: ٤١٩/٢. قيل: (حال) بحكم الاشتقاق، وقيل: (تمييز) لغلبة الاسمية عليه تقوّي فيه جانب الجمود ومن ثم التمييز.

[١٢٦٤] الكشاف: ٥٠٧/١.

[١٢٦٥] أو (التمييز) عند من يراه كذلك.

[١٢٦٦] ديوانه: ١٣٢٤/٢.

[١٢٦٧] ينظر، الخصائص: ٢٧٠/٢.

[١٢٦٨] المرجع السابق: ٢٧٠/٢. كما في قوله تعالى: (وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ) [النساء: ٧٩]، وقد سبق بيانه وتفصيله في [التداعي الاشتقاقي المبدوء بفعل].

[١٢٦٩] شعر عمرو بن معدي كَرِب: ١٤٩. وصدر البيت: وخيلٍ قد دَلَفتُ لها بِخَيلٍ.

[١٢٧٠] الكشاف: ٩٩/١، وينظر، مفاتيح الغيب: ٣٠٥/٢.

وهَمٌّ ناصبٌ، فإن جميع ذلك معنى أطلق عليه اسم صاحب ذلك المعنى مبالغة"[١٢٧١]، فـ"جعل الشِّعر كأنه صاحبُ شعرٍ آخر... والنَّصَب كأنه يستلزم نَصَبًا آخر، أي: ليس هو شعرًا واحدًا، ولا الموت موتًا واحدًا، ولا الهمّ همًّا واحِدًا، بل كلٌّ منها مضاعف مكرر"[١٢٧٢]

من شواهد هذا الباب عند أهل اللغة والتفسير قوله تعالى: **(وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ)** [هود: ١١٠] ومثله قوله تعالى: **(إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ)** [سبأ: ٥٤] "والرَّيْب: الشكّ، فوصفُ (شكّ) بـ(مُرْيب) من قبيل الإسناد المجازي لقصد المبالغة بأن اشتق له من اسمه وصف كقولهم: ليلٌ أليلُ، وشِعرٌ شاعِرٌ"[١٢٧٣]، ومِثْلُ ذلكَ على جهة الترادف (ليلٌ داجٍ)[١٢٧٤].

قوله تعالى: **(إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا)** [البقرة: ٦٩] واللون هو الصفرة، فذِكْرُه للتوكيد[١٢٧٥]، "فكأنه قيل: شديدة الصفرة صفرتها، فهو من قولك: جدَّ جِدُّه، وجنونك مجنون"[١٢٧٦]، كما أنَّ "(صَفْرَاء) إذا أُكِّدَ بالفقوع يدلّ على خلوص الصفرة فيها، ثم إذا رُوعِيَ معنى الإسناد المجازي معها دلَّ على أنَّ المرادَ بذلكَ التأكيدِ المبالغةُ في الصفرة لا الخلوصُ فيها، فدلَّت هاتان المبالغتانِ على أنَّها بلغتِ الغايةَ في بابها، وكلُّ لَونٍ إذا قوي واشتدَّ أَخَذَ بالعينِ كالسواد، ولهذا وُصِفت الخضرة إذا قَوِيَت بالإدهام"[١٢٧٧].

نبَّه الثعالبي على عموم هذا المعنى في اللغة، يقول: "فصل في الإشباع والتأكيد: أسود حالك، أبيض يَقِق، أصفر فاقع، أخضر ناضر، أحمر قانئ"[١٢٧٨]، ومن ذلك قول البحتري [من الكامل]:

مِن أَبيَضٍ يَقَقٍ وَأَصفَرَ فاقِعٍ في أَخضَرَ بَهِجٍ وَأَحمَرَ قانٍ[١٢٧٩]

قوله تعالى: **(وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)** [الأحزاب: ٤٦] فوصَفَ "السراج بـ(مُنِيرًا) مع أن الإنارة من لوازم السراج، هو كوصف الشيء بالوصف المشتق من لفظه في قوله: شِعْرٌ شاعرٌ، وليلٌ أليلُ، لإفادة قوة معنى الاسم في الموصوف به الخاص، فإن هدى النبيء- ع- هو أوضح الهدى"[١٢٨٠]، فالشاهد على تأويل: (سِرَاجًا مُسَرَّجًا).

قوله تعالى: **(إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ)** [الشعراء: ٥٤] "والشِّرذمة: الطائفة القليلة"[١٢٨١]، "فإتباعه بوصف (قَلِيلُونَ) للتأكيد"[١٢٨٢]، والإيغال في تهوين شأنهم، فهي من باب (شُغلٌ شاغلٌ) بوصف الاسم بلفظ مشتق من لفظه على جهة الحقيقة[١٢٨٣].

[١٢٧١] شرح شافية ابن الحاجب: ٢/ ٨٧.

[١٢٧٢] المرجع السابق: ٢/ ٨٧، ٨٨.

[١٢٧٣] التحرير والتنوير: ٢٥/ ٨٠، وينظر، روح المعاني: ١١/ ٣٣٢.

[١٢٧٤] ينظر، المرجع السابق: ٢٥/ ٨٠.

[١٢٧٥] ينظر، الكشاف: ١/ ١٧٨.

[١٢٧٦] المرجع السابق: ١/ ١٧٨، وينظر، مفاتيح الغيب: ٣/ ٥٨٤، وتفسير ابن كمال باشا: ١/ ٢١٣.

[١٢٧٧] حاشية الطيبي على الكشاف: ٢/ ٢٢٤، وينظر، تفسير ابن كمال باشا: ١/ ٢١٣.

[١٢٧٨] فقه اللغة، للثعالبي: ١٢٣، وينظر، الدر المصون: ١/ ٤٢٥.

[١٢٧٩] ديوانه: ٤/ ٢٣٧٧.

[١٢٨٠] التحرير والتنوير: ٢١/ ٢٨٢.

[١٢٨١] الكشاف: ٣/ ٣٢٠، وينظر، التحرير والتنوير: ١٩/ ١٤٣.

[١٢٨٢] التحرير والتنوير: ١٩/ ١٤٣.

قوله تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [سورة الفرقان: ٥٣] الفُرَات: "البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة"[١٢٨٤]، "والأُجاج: المبالِغُ في المُلوحة"[١٢٨٥]، و"الوصف على هذا على طرُز: أَسْوَدُ حَالِكٌ وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ"[١٢٨٦]، كأنه قيل: عَذْبٌ عَاذِبٌ، ومِلْحٌ مالحٌ، مبالغة في التأكيد.

وعليه قوله– ε-: "إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ"[١٢٨٧]، فـ(الألد) الشديد الخصومة، و(الخَصِم) المختص بالخصومة، وقُيِّد الألد بالخصومة فرارًا من التكرار[١٢٨٨]، كأنه قيل (الألدّ اللديد) أو (الخصِم الخصيم).

ومنه قول مطيع بن إياس [مخلع البسيط]:

قلتُ لثَجَّاجةٍ دَلُوج تَسُجُّ من وابِلٍ سَحُوح

"وابلٌ: مطرٌ ضَخْم القَطْر. سَحُوح: كثير الانصباب شديده"[١٢٨٩]، فالفائدة من وصف (وابلٍ) بـ(سَحُوح) الكثرة، والعرب تجعل الفعل الواقع بالشيء له، إذا قصدوا إلى المبالغة[١٢٩٠]. "ألا ترى أنهم يقولون: موتٌ مائتٌ، وشعرٌ شاعر. وهذا كما قالوا: سيلٌ مفعمٌ"[١٢٩١].

ومنه قول متمم بن نويرة [من الطويل]:

أرقتُ ونامَ الأَخْلِياءُ وهَاجَني مع الليلِ هَمٌّ في الفؤاد وَجيعُ[١٢٩٢]

على تأويل: وجَعٌ وجِيعٌ.

قول ذي الرمة [من الطويل]:

أَلا حَيِّ بِالزُرقِ الرُسومَ الخَواليَا وَإِنْ لَم تَكُن إِلّا رَمِيمًا بَوَاليَا[١٢٩٣]

فـ"(الرميم): ما بَلِيَ"[١٢٩٤]، كأنه قال: رَمِيمًا أَرْمَامًا[١٢٩٥].

وقوله أيضًا [من الطويل]:

فَأَدلى غُلامي دَلوَهُ يَبتَغي بِها شِفاءَ الصَدى وَاللَيلُ أَدهَمُ أَبلَقُ[١٢٩٦]

"والأَدْهَم: الأَسْوَدُ"[١٢٩٧]، كأنه قال: وَاللَيلُ أَلْيَلُ.

[١٢٨٣] جاء في [شرح شافية ابن الحاجب: ٨٨/٢]: (شُغلٌ شاغلٌ) "اسم فاعل على الحقيقة: أي شغلٌ يشغلُ المشتغلَ به عن كل شغل آخر لعظمه".

[١٢٨٤] الكشاف: ٢٩٢/٣.

[١٢٨٥] الدر المصون: ٤٩٠/٨.

[١٢٨٦] روح المعاني: ٣٥١/١١.

[١٢٨٧] صحيح البخاري، (٢٤٥٧) حسب ترقيم فتح الباري: ١٧١/٢.

[١٢٨٨] ينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٦١٢.

[١٢٨٩] شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، المجلد الأول: ٨٥٤/٢.

[١٢٩٠] ينظر، المرجع السابق، المجلد الأول: ٨٥٤/٢.

[١٢٩١] المرجع السابق، المجلد الأول: ٨٥٤/٢.

[١٢٩٢] المفضليات: ٢٧١.

[١٢٩٣] ديوانه: ١٣٠٠/٢.

[١٢٩٤] ديوانه: ١٣٠٠/٢.

[١٢٩٥] جاء في [المحكم والمحيط الأعظم: ٢٤٤/١٠]: "وحَبْلٌ رِمَمٌ ورِمامٌ وأَرْمامٌ: بالٍ، وصَفُوه بالجَمْعِ كأَنَّهُم جَعَلُوا كُلَّ جُزْءٍ منه واحِدًا ثُمَّ جَمَعُوه".

[١٢٩٦] ديوانه: ٤٥٦/١.

قول يَزيد بن ضَبَّةَ الثَّقَفِيُّ [من الطويل]:

ولكنَّهم ماتُوا ولم أَدْرِ بَغْتَةً وأَفْظَعُ شيءٍ حينَ يَفْجَؤُكَ البَغْتُ[١٢٩٨]

البَغْتُ: الفَجْأَةُ[١٢٩٩]، فكأنه قال: يَفْجَؤُكَ الفَجْأَةُ أو يبغَتُك البَغْتُ.

وقول صريع الغواني مسلم بن الوليد [من البسيط]:

حَذارِ مِن أَسَدٍ ضِرغامَةٍ بَطَلٍ لا يولِغُ السَيفَ إِلّا مُهجَةَ البَطَلِ[١٣٠٠]

على تأويل: أَسَدٍ أَسِيدٍ أو أَسِدٍ، وفي التاء مزيد تهويل ومبالغة.

قول النابغة الجعدي [من الطويل]:

وَمِنْ قَبْلِهِ مَا قَدْ رُزِئْتُ بوَحْوَحٍ وَكَانَ ابْنَ أُمِّي وَالْخَلِيلَ الْمُصَافِيَا[١٣٠١]

كأنه أراد: الخليل المُخَالِل.

ومنه في أمثال العرب: "(عَيٌّ صَامِتٌ خَيْرٌ مِنْ عَيٍّ نَاطِقٍ)... يُضْرَبُ هذا المثل عند اغتنام السكوت لمن لا يحسن الكلام. ويروى (عِيٌّ صامت) على المصدر بجَعْل صامت مبالغة كما يُقَال: شِعْرٌ شَاعِرٌ"[١٣٠٢]، كأنهم قالوا: (صَمْتٌ صامتٌ) أو (عِيٌّ عَيِيٌّ).

من دقيق هذا الباب قوله تعالى: (**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا**) [الجاثية: ٢٤] فـ(الدنيا) "صفة لقوله: (حَياتُنَا) ولم يؤت بها على أنه صفة تزيل اشتراكًا عارضًا في معرفة، لأنهم لا يُقرّون بأن ثم حياة غير دنيا، بل ذلك وصف على سبيل التوكيد إذ لا حياة عندهم إلا هذه الحياة"[١٣٠٣]، فكأنهم قالوا: (... حياتنا التي نحيا).

هذا الضرب من التداعي التأويلي أصلٌ في العربية كبير.

[١٢٩٧] المحكم والمحيط الأعظم: ٤/٢٧٣.

[١٢٩٨] ينظر، لسان العرب، بغت: ١/٤٥٠.

[١٢٩٩] ينظر، المحكم والمحيط الأعظم: ٥/٤٧٦.

[١٣٠٠] شرح ديوان صريع الغواني: ٦.

[١٣٠١] ديوانه: ١٨٧، وينظر، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، المجلد الثاني: ٣/١٠٦١.

[١٣٠٢] مجمع الأمثال: ٢/٢٩.

[١٣٠٣] البحر المحيط: ٤/١٠٩.

رابعًا: التداعي الإضافي التأويلي.

يأتي هذا الضرب الإضافي مؤولًا بنظيره اللفظي إذا قُصِدَ به التناهي في المعنى، وتحقَّق في جزأيه تكرار المعنى، كقوله تعالى: **(وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)** [البقرة: ٢٠٤] فـ(أَلَدُّ) صفة مشبهة أضيفت إلى (الْخِصَامِ) على المبالغة[١٣٠٤]، "فجعل الخصام ألدّ، أي: نزل خصامه منزلة شخص له خصام فصارا شيئين فصحَّت الإضافة على طريقة المجاز العقلي, كأنه قيل: خصامه شديد الخصام كما قالوا: جُنَّ جُنُونُه وقالوا: جَدَّ جِدُّه"[١٣٠٥]، كأنّ التركيب مؤول بـ(أَخْصَم الْخِصَامِ).

(الْخِصَامِ) مصدر بمعنى (المخاصمة) أو جمع لـ(خَصْم)[١٣٠٦]، فتكون الإضافة للمصدر أو الجمع، وكلتاهما على المبالغة.

ومنه الحديث الشريف: "كَانَ رَسُولُ اللهِ- ε- أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ"[١٣٠٧]. والشاهد في قوله (أَجْوَدُ مَا يَكُونُ): (ما) مصدرية و(أجود) أفعل التفضيل مضاف إلى الكون[١٣٠٨] على التناهي في الاتصاف بالأجوديَّة، "وهو من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان، كقولهم: شِعرُ شاعرٌ، وجهادٌ جاهدٌ، وموتٌ مائتٌ"[١٣٠٩]. ومثله أيضًا قوله- ε-: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ"[١٣١٠].

ومن الباب نفسه ما ورد في الحديث: "كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ"[١٣١١]، فـ(ما) "مصدرية، أي: أحببتها حبًّا مثل أشد حب الرجال النساء... ونظيره قوله تعالى: **(يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً)** [النساء: ٧٧]"[١٣١٢].

ومنه قول بعض العرب: (أخطبُ ما يكونُ الأميرُ قائمًا)[١٣١٣]، مبالغة في الاتصاف بالقرب وبلوغ الغاية في الخطابة.

من هذا الباب أيضًا قوله تعالى: **(لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ)** [فاطر: ٤٢] أي: "لنكونَنَّ أهدى من أمة يقال فيها إحدى الأمم، تفضيلا لها على غيرها من الأمم، كما يقال: هو واحدُ القوم وواحدُ عصره، وكما قالوا: هو أَحَدُ الأَحَدِينَ، وهي إِحْدَى الإِحَدِ. يريدون التفضيل في الدهاء والعقل"[١٣١٤]، فحملوا (إِحْدَى الْأُمَمِ) على نظيره (الإضافي الاشتقاقي اللفظي) تأويلا، لما فيه من التناهي في المعنى.

[١٣٠٤] ينظر، الكشاف: ٢٧٨/١، والتحرير والتنوير: ٢٥١/٢.

[١٣٠٥] التحرير والتنوير: ٢٥١/٢.

[١٣٠٦] ينظر، الكشاف: ٢٧٨/١، وحاشية الطيبي على الكشاف: ٣١٧/٣، وروح المعاني: ٤٩٠/١.

[١٣٠٧] صحيح البخاري (٦) حسب ترقيم فتح الباري: ٥/١.

[١٣٠٨] ينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٦٢٩، ومرقاة المصابيح: ٥٩٩/٤، وعقود الزبرجد: ٤٢١/١، ٤٢٢.

[١٣٠٩] عقود الزبرجد: ٤٢١/١، ٤٢٢، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٦٢٩، ومرقاة المصابيح: ٥٩٩/٤.

[١٣١٠] صحيح مسلم: ٣٥٠/١.

[١٣١١] صحيح البخاري (٢٣٣٣) حسب ترقيم فتح الباري: ١٣٩/٣.

[١٣١٢] عقود الزبرجد: ٦٠/٢، ٦١. وسيأتي تحليل الآية الكريمة في (التداعي التمييزي التأويلي).

[١٣١٣] ينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٦٢٩، ومرقاة المصابيح: ٥٩٩/٤.

[١٣١٤] روح المعاني: ٣٧٧/١١، وينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٢٢٤/٢، وتفسير ابن كمال باشا: ٣٩١/٨.

خامسًا: التداعي التمييزي التأويلي.

يَحْظَى هذا الضرب من التداعي التأويلي بسعة في كلام العرب، وهو مدخل إلى تفسير أصل كبير شائع قديمًا وحديثًا، وضابط هذا الباب مجيء التمييز مرادفًا لمميّزه، وأكثر مجيئه وأقيسه في أسلوب التفضيل، وضابطه أن يؤتى باسم التفضيل المساعد متبوعًا بالمصدر المرادف له منصوبًا على التمييز بقصد المبالغة والتناهي في المعنى، كقوله تعالى: **(فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)** [البقرة: ٢٠٠] (أَشَدَّ) "نعتٌ لمصدر محذوف، تقديرُه: ذكرًا كذكركم آباءكم أو أشدَّ، وجَعَلوا الذِّكْرَ ذاكرًا مجازًا، كقولهم: شعرٌ شاعِرٌ"[١٣١٥]، وإذا كان (أَشَدّ) وصفا لـ(ذِكْر) المقدَّر فإنّ مآل التمييز إلى أنه تمييز الشيء بمرادفه للتوكيد[١٣١٦]

قوله تعالى: **(يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً)** [النساء: ٧٧] (أَشَدَّ) نعت لمصدر محذوف على تقدير: (خشيةٍ أشدَّ من خشيةِ الله)[١٣١٧]، "فيكون قوله: (أو أشدّ خشية)، من باب قولهم: جَدَّ جِدُّه، كأنه جعل للخشيةِ خشيةً مبالغة، كما جُعِلَ للجِدّ جِدٌّ مبالغةً، فيكون ذِكر (خشية) بعد (أشَدّ) على أنه معنى للخشية لا على أنه جنس، وإن وافق لفظه، فيكون مثل قولك: زيد أشد خشية"[١٣١٨]،

على مثاله قوله- ε-: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً"[١٣١٩]، والقياس في قوله: (وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً) (وأخشاهم له)، فبُنِيَ التركيب على المبالغة[١٣٢٠]، من باب (جَدَّ جِدُّه).

من هذا الباب أيضًا قوله تعالى: **(فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)** [البقرة: ٧٤] وقوله تعالى: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)** [البقرة: ١٦٥]، وفِعْلُ المصدر في كل ذلك مما يخرج منه أفْعَل التفضيل[١٣٢١]، فالعدول عن المفاضلة المباشرة من فِعْل المصدر لقصد التناهي في المعنى، أو بتعليل الزمخشري تعليقًا على (أَشَدُّ قَسْوَةً) أنَّه "أَبْيَن وأدلّ على فرط القسوة"[١٣٢٢].

كذلك منه قوله تعالى: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)** [المائدة: ٨٢] و**(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً)** [الروم: ٩] و**(كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً)** [التوبة: ٦٩] و**(فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا)** [الزخرف: ٨] و**(لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ)** [الحشر: ١٣].

من استعمال اسم تفضيلٍ مساعدٍ غير (أشد) قوله تعالى: **(وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ)**[المائدة: ٨٢] و**(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ)** [فصلت: ٣٣] و**(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا)** [المائدة: ٥٠] و**(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)** [النساء: ١٢٢] و**(قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا)** [يونس: ٢١].

[١٣١٥] الدر المصون: ٣٣٩/٢، وينظر، روح المعاني: ٤٨٥/١، وتفسير ابن كمال باشا: ٧٢/٢.

[١٣١٦] ينظر، التحرير والتنوير: ٢٤١/٢.

[١٣١٧] ينظر، الأمالي النحوية، المجلد الأول: ٤٨/١.

[١٣١٨] الأمالي النحوية، المجلد الأول: ٤٨/١، وينظر، الدر المصون: ٤٢/٤، وروح المعاني: ٨٣/٣.

[١٣١٩] صحيح البخاري (٦١٠١) حسب ترقيم فتح الباري: ٣١/٨، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٦١١.

[١٣٢٠] ينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٦١١.

[١٣٢١] ينظر، الكشاف: ١٨٣/١، الدر المصون: ٤٣٧/١.

[١٣٢٢] المرجع السابق: ١٨٣/١، وينظر، الدر المصون: ٤٣٧/١.

ومنه في الحديث قوله- ε-: "إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ"[١٣٢٣]، فـ"(أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا) فرعٌ على قوله: (أَجْرَم المسلمين)، وفيه من المبالغة أنه جعل نفسه عظيمًا ففخم، ثم فسره بقوله: (جرمًا) ليدلّ على أنّ الأعظم نفسه جرم"[١٣٢٤]. وكذلك قوله- ε-: "وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا"، فعدل عن (أَبْأَس الناس) إلى (أَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا) للدلالة على فرط البؤس تناهيًا في الصفة، ومثله قوله- ε-: "إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ"[١٣٢٥]. و"لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا"[١٣٢٦]... وغير هذا كثير.

وقد يجتمع التقدير والتأويل في هذا الباب، وشاهده قوله- ε-: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ"[١٣٢٧]، والتقدير: (أَشَدَّ حُبًّا)، والتأويل: (أَحبّ حُبًّا) على جهة المجاز العقلي في كلّ ذلك.

من هذا الباب في غير التفضيل قول أبي العبَّاس التُّطيلي [من البسيط]:

مِلْءَ القُلُوبِ جَلالًا والعيونِ سَنا وَالْحَرْبِ بَأْسًا وَأَكْنافِ النَّدِيِّ نَدَى[١٣٢٨]

"والبأْسُ: الشِّدَّة في الحَرْبِ"[١٣٢٩]، فقوله (وَالْحَرْبِ بَأْسًا) من باب (جَدَّ جِدُّه).

قد بلغ- إذن- من رسوخ ظاهرة التداعي الاشتقاقي في لسان العرب وعمق تأثيرها في التحليل اللغوي أنْ تَلَمَّسَها أهل اللغة والبيان والتفسير في أنماط أخرى من التراكيب التي لم تَنْقَدْ للاشتقاق اللفظي الظاهر، فحملوها على أصل الظاهرة تأويلًا.

في هذا التأويل إعمالٌ للحدّ الأقصى لطاقة الآلة النحوية بإخراج هذه الظاهرة من زوايا الخفاء والاستتار إلى حيّز الظهور والسطوع، كشفًا عن امتدادات التداعي الاشتقاقي في مسالك التركيب العربي.

[١٣٢٣] صحيح البخاري (٧٢٨٩) حسب ترقيم فتح الباري: ١١٧/٩، وينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٦٢٠.

[١٣٢٤] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٦٢٠، ٦٢١.

[١٣٢٥] صحيح البخاري (٥٩٥٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٢١٥/٧.

[١٣٢٦] صحيح مسلم: ٢٠٩٩/٤.

[١٣٢٧] صحيح البخاري (١٨٨٩) حسب ترقيم فتح الباري: ٢٩/٣.

[١٣٢٨] الحماسة المغربية: ٨٨٨.

[١٣٢٩] لسان العرب، بأس: ٣٠١/١.

الخاتمة والنتائج:

عُني هذا البحث برصد ظاهرة العلاقات الاشتقاقية حين تنتظم في النظام النحوي، وهو ما اصطلح عليه الباحث بـ(التداعي الاشتقاقي)، مستبعدًا الظلال المعرفية الغربية لمصطلح (التداعي)، ومحققًا امتداداته المعرفية في عروق التراث العربي، فَعَيَّنَ- وفق معايير معينة- حدودَ الظاهرة اللغوية، كما عُنيَ بتحديد مفهوم (التداعي الاشتقاقي)، وبيان أقسامه وفروعه عبر الاستعمال اللغوي الحي قديمًا وحديثًا، وقد خلَص البحث من كل ذلك إلى نتائج أهمها:

١. تُعَدُّ ظاهرة (التداعي الاشتقاقي) في اللفظ والتقدير خرقًا بارزًا لمبدأ (تغايُر الحُكْم والمحكوم عليه) النحوي الذي نصَّ عليه النحاة في قواعدهم التجريدية، ولهذا الخرق أغراض دلالية متنوعة بحسب العلاقة النحوية بين المتداعيينِ الاشتقاقيينِ.

٢. يُسْنَدُ الفعل إلى فاعل مشتقٍّ من جنسه، كـ(قال قائل، وسأل سائل، و...) لتوكيد العموم، بحكم الأداء المزدوج لمعنى الفاعلية في الموقع النحوي وصيغة اسم الفاعل، فضلا عن تكرار الحدث في المادة الصرفية المشتركة للفعل وفاعله.

وقد يأتي هذا الاتفاق في المادة الصرفية في سياقات معينة لتحقيق الترقب والمفاجأة، كـ(طرق الباب طارق).

٣. أدَّت بعض هذا المتداعيات دورًا وظيفيًّا في باب المحاورة والسؤال، ليكون فاتحة النظر للرد على سائل متخيل أو قائل معترض.

٤. يغلب على الفاعل المشتق من فعله معنى الفاعلية الصرفية سواء في صيغة اسم الفاعل أو صيغ المبالغة، وقد يأتي الفاعل- على قلة- بمعنى المفعول صرفيًّا لإبراز المفارقة في الدلالة.

٥. قد يأتي الفاعل المشتق من مادة فعله صفة غالبة بتاء النقل كـ(**أَزِفَت الآزِفَةُ**) [النجم: ٥٧]، بغرض توكيد التهويل.

٦. يلحق بالفاعل في هذا الباب نمط آخر منفكٌّ في صورة (اسم موصول+ فعل من جنس عامل الموصول)، كقوله تعالى: (**إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ**) [النجم: ١٦] بغرض التناهي في المعنى.

٧. قد ينعكس الاشتقاق إذا كان الفاعل جامدًا فيُنْتَزَعُ منه فِعْلُه، كقوله تعالى: (**أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ**) [الشعراء: ١٩٧]، وقول طَرَفَة بن العبد (تَلْسُنُنِي أَلْسُنُها).

٨. يدخل في هذا الباب المصدر المضاف إلى فاعل من لفظه، نحو: (نَزعِ النازِعِ) و(نَوحِ النَوائِحِ) ولا يخلو مثل ذلك من دلالة المبالغة.

٩. قد ينعكس التركيب الاشتقاقي الفعلي فيأتي في صورة المبتدأ والخبر، نحو: (والدّائِرَاتُ تَدُورُ)، لكن الفعلية حاضرة كذلك في أوصال التركيب.

١٠. قد يُسند الفعل إلى مصدره المشتق منه على جهة المجاز العقلي، وشاهده النموذجي (جَدَّ جِدُّهُ) على (التسمية بالمآل)، وهو أوغل المتداعيات الاشتقاقية تناهيًا في المعنى، وهذا أصلٌ كبيرٌ ينقاس عليه (التداعي التأويلي) المبني على الترادف.

١١. هذا التداعي الاشتقاقي المجازي أكثره مبدوء بفعل، ويأتي- على قلة- في صورة المبتدأ والخبر، نحو: (جنونُه مجنونٌ).

١٢. تتحقق ظاهرة (التداعي الاشتقاقي اللفظي) في الفعل ومعمولاته (المفعول به والجار والمجرور والحال)، للتوكيد مع مراعاة الخصوصية الدلالية لكل تركيب.

١٣. قد تتحقق ظاهرة (التداعي الاشتقاقي) في حيز الفعل دون أن يكون من المادة الاشتقاقية للظاهرة، نحو: (**يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُم**) [المائدة: ١١٩].

١٤. تأتي أنماط (التداعي الاشتقاقي) المبدوءة باسم على ثلاث صور:

١/١٤ الموصوف وصفته، وهو غزير الاستعمال في كلام العرب، نحو: (ليلةٌ ليلاءُ)، و(دهْرٌ دهاريرُ)... وهلمّ جرّا، ومنه في محكم التنزيل: (**وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ**) [آل عمران: ١٤] و(**وَحيٌ يُوحَىٰ**) [النجم: ٤].

وهذه صورة متطورة عن ظاهرة الإتباع في العربية، لذا نجدها وحدة تركيبية ذات طابع نغمي واضح، عميق الأثر الصوتي في نفس المتلقي.

٢/١/١٤ يلحق بهذه الصورة الصفتان المشتقتان من جذر واحد لموصوف سابقٍ عليهما مذكورٍ أو مُقَدَّر، نحو: (**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) و(**رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**) [الفجر: ٢٨]، و(خَالِدًا مُخَلَّدًا) و(الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ).

٢/١٤ المضاف والمضاف إليه، نحو: (أَبَرَّ الْبِرِّ) و(أقبحِ القبحِ) و(أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ).

٣/١٤ المميز وتمييزه، نحو: (أَجْوَدُ جُودًا) و(أَجَلّ جَلاَلَةً).

وكلُّ ذلك محمولٌ على الإسناد المجازي بغرض التناهي في المعنى.

١٥. لهذه الظاهرة هيمنة على طريقة أهل التفسير والبيان، إذ استعملوا متداعيات اشتقاقية مناظرة لما يفسرونه في القرآن وكلام العرب.

١٦. إنَّ شيوع التداعي الاشتقاقي اللفظي واستقراره في الاستعمال جعَله أصلا ينقاس عليه النمطانِ الآخرانِ من التداعي، هما:

الأول: التداعي الاشتقاقي التقديري: وفيه تقدير (الفاعل) من جنس فعله، وتقدير عامل الحال من جنسها، وتقدير موصوف من جنس صفته، وتقدير أحد المتضايفين من جنس المذكور، وتقدير التمييز من جنس مُميزه.

الثاني: التداعي التأويلي: وضابطه انعقاد علاقة نحوية بين لفظين أو ما في حكمهما اشتركَا معنًى وتغايَرَا لفظًا بقصد المبالغة والتناهي في المعنى، كالفعل وفاعله، والفعل ومتعلقاته، والصفة وموصوفها، والتمييز ومميزه.

وأخيرًا، فإنَّ (التداعيَ الاشتقاقي) تشكُّلٌ تركيبي لحركة دائرية لتمكين الدلالة بين مشتركاتٍ في الجذور والمعاني، وهو بابٌ في العربية واسع وأصلٌ فيها كبير، أصداؤه بعيدة المدى في تراث العربية كله، فضلا عن حيوية الظاهرة وغزارتها في الاستعمال المعاصر، ويرجع ذلك إلى تكوينها التنغيمي السهل، إذ تُخمّر العربية الجذر الواحد لتصنع به وحدات تركيبية كثيرة التنوع وبالغة الخصوبة، تتناغم فيها قوانين العربية الصرفية والصوتية والنحوية والمعجمية.

المصادر والمراجع:

١. الآحاد والمثاني لأبي بكر الشيباني، تحقيق الدكتور باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢. الإتباع والمزاوجة، لابن فارس، حققه وضبطه وعلق حواشيه ووضع فهارسه كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، د. ت.
٣. أبو الحسن القيرواني، جمع وتحقيق محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٣م.
٤. أدب الكاتب، لابن قتيبة، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه، محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت.
٥. الأدب الصغير والأدب الكبير، لابن المقفع، تحقيق ودراسة الدكتورة إنعام الفوَّال، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٦. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمد، الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٧. أساس البلاغة، للزمخشري، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (٩٦)، ٢٠٠٣م.
٨. أسرار النحو، لابن كمال باشا، تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد، دار الفكر، عَمَّان، الأردن، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٩. الإشارات الإلهية، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: خميس حسن، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.
١٠. الأشباه والنظائر، للسيوطي، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١١. الأصمعيات، اختيار الأصمعي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر (٢٤٨)، القاهرة، ٢٠١٨م.
١٢. أصول النحو العربي، للدكتور محمود نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٣. الاعتصام، للشاطبي، تحقيق ودراسة د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٤. إعراب الحديث النبوي، للعكبري، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
١٥. إعراب القراءات الشواذ، للعكبرى، تحقيق محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٦. الأعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٧. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهانى، تحقيق سمير جابر وآخرين، دار الفكر، بيروت، ط٢، د. ت.
١٨.
١٩. الألفاظ الكتابية في علم العربية، لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، تحقيق موفق صالح الشيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٣٢ه-٢٠١١م.
٢٠. أمالي ابن الشجري، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، الخانجي، القاهرة، د. ت.
٢١. أمالي المرتضى، للشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابلي الحلبي، ط١، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
٢٢. أمالي المرزوقي، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجُبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢٣.الأمالي النحوية، لابن الحاجب، تحقيق هادي حسن حَمّودي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٤.الأمثال العاميَّة، لأحمد تيمور باشا، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠١٤م.
٢٥.الانتصار للقرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق الدكتور محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢٦.أولاد حارتنا، لنجيب محفوظ، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٢م.
٢٧.الأيام، لطه حسين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٨.البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ أحمد عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٩.البديع في علم العربية، لابن الأثير، تحقيق ودراسة فتحي أحمد عليّ الدين، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرَّمة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٠.البسيط، لابن أبي الربيع، تحقيق الدكتور عَيَّاد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
٣١.بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم، حققه وقدَّم له الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت. د. ت.
٣٢.بقية أشعار بني سلول، د. وليد محمد السراقبي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٠) الجزء (١)، ذو القعدة ١٤٢٥هـ - كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٥م.
٣٣.البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٣٤.تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، ١٣٨٥هـ.
٣٥.التبيان فى إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٦.تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٧.التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٣٨.التذييل والتكميل فى شرح كتاب التسهيل، لأبى حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٣٩.تفسير ابن كمال باشا، لشمس الدين أحمد بن كمال باشا، تحقيق وتعليق ماهر أديب حبّوش، مكتبة الإرشاد، إسطنبول، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
٤٠.تفسير أبي السعود، لأبي السعود الحنفي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د. ت.
٤١.تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٢.التمام في تفسير أشعار هذيل، لابن جني، حققه وقدم له أحمد ناجي القيسي وآخرين، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.
٤٣.تهذيب اللغة، لأبى منصور الأزهرى، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م
٤٤.توضيح المقاصد والمسالك، للمرادى، تحقيق الدكتور عبد الرحمن على سليمان، دار الفكر العربى، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٥.التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٦.ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ذخائر العرب (١٦)، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلَّق عليها محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨م.
٤٧.ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.
٤٨.الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق أحمد البردوني وآخرين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٤٩.جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد القرشي، حققه وعلّق عليه وزاد في شرحه: الدكتور محمد علي الهاشمي، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٥٠.حاشية الطيبي على الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)، للطِّيبي، مطبوعات وحدة البحوث والدراسات، دبي، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٥١.حضرة المحترم، لنجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ٢٠١٥م.
٥٢.الحماسة، للبحتري، تحقيق د. محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ٢٠٠٧م.
٥٣.الحماسة البصرية، لأبي الفرج البصري، تحقيق وشرح ودراسة، الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٤.الحماسة المغربية، لأبي العبَّاس الجراوي، حققه الدكتور محمد رِضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٥٥.حياة الرافعي، لمحمد سعيد العريان، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
٥٦.الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٥٧.خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني، عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٨٣ه-١٩٦٤م.
٥٨.خزانة الأدب، للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٩.الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٩م.
٦٠.الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٦١.دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الأسرة، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٦٢.ديوان ابن الدمينة، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٧٩ه.
٦٣.ديوان ابن الرومي، تحقيق الدكتور حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٦٤.ديوان ابن سناء الملك، تحقيق محمد إبراهيم نصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
٦٥.ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، د. ت.

٦٦.ديوان أبي دُوَاد الإيادي، جمعه وحققه أنوار محمود الصالحي والدكتور أحمد هاشم السامرائي، دار العصماء، دمشق، ط١، ١٤٣١ه-٢٠١٠م.
٦٧.ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.
٦٨.ديوان أبي الشيص وأخباره، صنعة عبد الله الجُبوري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٦٩.ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٧٠.ديوان أبى النجم العِجْلِى، تحقيق الدكتور محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٧١.ديوان أبي نواس، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
٧٢.شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه عادل سليمان، قدم له الدكتور شوقي ضيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٧٣.ديوان أسامة بن منقذ، حفظه وقدَّم له الدكتور أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٧٤.ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، د. ت.
٧٥.ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٧٦.ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ٢٠٢١م.
٧٧.ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، حققه وشرحه الدكتور محمد التونجي، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
٧٨.ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية بدمشق، ٢٠٠٠م.
٧٩.ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٨٠.ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، ط٣، د. ت.
٨١.ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، عني بتحقيقه الدكتور عِزَّة حَسَن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.
٨٢.ديوان تأبط شرًّا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٨٣.ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦.
٨٤.ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، د. ت.
٨٥.ديوان الحارث بن حِلّزة، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١١ه- ١٩٩١م.
٨٦.ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين وآخرون، دار العودة، بيروت، د. ت.
٨٧.ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه الدكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.

٨٨.ديوان الحطيئة، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٨٩.ديوان الخنساء، شرحه ثعلب، حققه الدكتور أنور أبو سُويلم، دار عمَّار، عَمَّان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٩٠.ديوان ذي الرمة، شرح الأصمعي، حققه وقدَّم وعلَّق عليه: الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٩١.ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه راينهَرت فايبرت، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.
٩٢.ديوان سُحَيْم، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.
٩٣.ديوان الشريف الرضي، شرحه وعلق عليه وضبطه وقدَّم له الدكتور محمود مصطفى حَلَاوى، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٩٤.ديوان شعر عَدِيّ بن الرِّقَاع العاملي برواية أبي العباس ثعلب، تحقيق الدكتور نوري القيسي والدكتور حاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٩٥.ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.
٩٦.ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.
٩٧.ديوان الشَّنْفَرَى، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٩٨.ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الدكتور أحمد الحوفي، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١م.
٩٩.ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقَّال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.
١٠٠. ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.
١٠١.ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عَدَرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٠٢.ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقي وشرح الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، د. ت.
١٠٣.ديوان العجاج، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، د. ت.
١٠٤.ديوان كثيّر عزة، جمعه وشرحه إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
١٠٥.ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق د. محمد نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٠٦.ديوان المسيَّب بن عَلَس جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبد الرحمن الوصيفي، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٠٧.ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
١٠٨.ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق وشرح واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.

١٠٩.ديوان مالك بن الرّيب، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبوعات مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٩م.
١١٠.ديوان مجد الإسلام، لأحمد محرم، أشرف على تصحيحه ومراجعته محمد إبراهيم الجيوشي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
١١١.ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، تحقيق أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١١٢.ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، د. ت.
١١٣.ديوان المهلهل، شرح وتحقيق أنطوان محسن القوَّال، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١١٤.ديوان النابغة الجعدي جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
١١٥.ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل لإبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د. ت.
١١٦.ديوان النمر بن تولب العُكْلِي، جمع وشرح وتحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١١٧.ديوان الهذليين، مطبوعات دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط٢، ١٩٩٥.
١١٨.الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د. ت.
١١٩.ربيع الأبرار، للزمخشري، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٢٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٢١.سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٢٢.السنن، لابن ماجة، حققه وضبط نصه وخرّج أحاديثه وعلَّق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
١٢٣.سنن البيهقي الكبرى، للبيهقي، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٢٤.سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
١٢٥.سنن الدارمي، للدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٢٦.السنن الكبرى، للنسائي، حققه وخرَّج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٢٧.السيرة النبوية، لابن هشام، علق عليه وخرّج أحاديثها وصنع فهارسها الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٠ه-١٩٩٠م.
١٢٨.سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
١٢٩.شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٣٠.شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، دار الفكر، بيروت، د. ت.

١٣١.شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، المنسوب لأبي العلاء المعرّي، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠١٢م.
١٣٢.شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٣٣.شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد الأنصاري)، عني بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور سامي الدهان، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٥م.
١٣٤.شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٣م.
١٣٥.شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد السكري، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.
١٣٦.شرح ديوان عنترة، للخطيب التبريزي، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طرَاد، دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
١٣٧.شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدَّم له: الدكتور إحسان عباس، مطبوعات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٩٦٢م.
١٣٨.شرح الرَّضِيّ على كافية ابن الحاجب، تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
١٣٩.شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الإستراباذي، تحقيق محمد نور حسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
١٤٠.شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد للتوزيع، دمشق، ط٣، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.
١٤١.شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقيق ودراسة د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٤٢.شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٥م.
١٤٣.شرح الكافية الشافية، لابن مالك، تحقيق الدكتور عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ت.
١٤٤.شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، تحقيق أحمد حسن مهدلي وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٤٥.شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، لابن مالك، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
١٤٦.شرح لامية العرب، للتبريزي، تحقيق محمود محمد العامودي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤١، ج١، ١٩٩٧م.
١٤٧.شرح مشكل الآثار، للطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥ه-١٩٩٤م.
١٤٨.شرح مشكلات ديوان أبي تمام، للمرزوقي، تحقيق الدكتور أحمد سليمان الجربوع، توزيع مكتبة التراث بمكة المكرَّمة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م..
١٤٩.شرح المفصل، لابن يعيش، تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٥٠.شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٨ه-١٩٥٩م.

١٥١.شروح لامية العرب، للعلماء الأجلاء المبرد والزمخشري وابن عطاء الله المصري وابن زاكور المغربي، شرح وتحقيق الأستاذ الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٥٢.شعب الإيمان، للبيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٥٣.شعر أبي حية النميري، جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م.
١٥٤.شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٤١٦هـ-١٩٧١م.
١٥٥.شعر البعيث المجاشعي، جمع وتحقيق الدكتور ناصر رشيد محمد حسين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٤م-١٣٩٤هـ.
١٥٦.شعر ابن ميادة، جمعه وحققه: الدكتور حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٥٧.شعر الصلتان العبدي، جمعه وحققه الدكتور شريف علاونة، مطبوعات جامعة البترا، عمَّان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
١٥٨.شعر عمرو بن معدي كَرِب، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٥٩.شعر المتوكل الليثي، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، جامعة بغداد، مكتبة الأندلس، بغداد، د. ت.
١٦٠.الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
١٦١.شواذ القراءات، لأبي نصر الكرماني، تحقيق الدكتور شمران العَجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، د.ت.
١٦٢.شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك، تحقيق الأستاذ عبد الله نصير، دار البشائر الإسلامية، دمشق، ط١، ١٤٣٢ه- ٢٠١١م.
١٦٣.الصاحبي، لابن فارس، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، الذخائر (٩٩)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٦٤.صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، تحقيق الدكتور يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.
١٦٥.صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٦٦.صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
١٦٧.صفة الصفوة، لابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري وآخرين، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
١٦٨.طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د. ت.
١٦٩.ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، للمنصف عاشور، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ط٢، ٢٠٠٤م.
١٧٠.عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣ه-٢٠٠٣م.

١٧١. العزلة، لأبي سليمان الخطابي، حققه وعلق عليه ياسين محمد السّوّاس، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٧٢. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، د. ت.
١٧٣. عقلاء المجانين، لأبي القاسم محمد بن حبيب، تحقيق الدكتور عمر الأسعد، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٧٤. عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي الشريف، للسيوطي، حققه وقدَّم له: الدكتور سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٧٥. علم النفس المعرفي ومضامينه، لجون آر أندرسون، ترجمة منال الخطيب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٢٤م.
١٧٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الفكر، بيروت، د. ت.
١٧٧. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، د. ت.
١٧٨. غريب الحديث، للخطّابي، تحقيق عبد الكريم العزَباوي، مطبوعات جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.
١٧٩. الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط٢، د. ت.
١٨٠. فتح الباري، لابن رجب، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.
١٨١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٨٢. الفروق، للقرافي، قدَّم وحققه وعلق عليه عمر حسن القِيَام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٨٣. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
١٨٤. فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق حَمْدُ طَمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٨٥. الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٨٦. كتاب الأمالي، لأبي علي القالي، تحقيق دار الكتب المصرية، سلسلة الذخائر (١٨٢، ١٨٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
١٨٧. كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، للخالديَيْنِ، حققه وعلَّق عليه الدكتور السيد محمد يوسف، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ت.
١٨٨. كتاب السبعة في القرءات، لابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.
١٨٩. كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، د. ت.
١٩٠. كتاب الشعر، لأبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور محمود الطناحي، الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٩١.كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
١٩٢.كتاب فحولة الشعراء، للأصمعي، تحقيق المستشرق ش. تورّي، قدَّم لها الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
١٩٣.الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجَب الهَمَذَانيّ، حقق نصوصه وخرَّجه وعَلَّق عليه: محمد نظام الدين الفَتيّح، دار الزمان، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٩٤.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٩٥.الكليات، للكفوى، تحقيق الدكتور عدنان المصرى وآخرين، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٩٦.اللزوميات، لأبي العلاء المعري، تحقيق أمين عبدالعزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.
١٩٧.لسان العرب، لابن منظور، تحقيق محمد عبد الوهاب وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٩٨.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
١٩٩.مجمع الأمثال، للميداني النيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
٢٠٠.مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه، وليم البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، د. ت.
٢٠١.المحتسب، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٢٠٢.المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده المرسي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٠٣.مختارات وقطوف من تراثنا العربي، اختيار محمد شوقي أمين، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
٢٠٤.المخصص، لابن سيده، تحقيق خليل إبراهم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٢٠٥.مدخل إلى نظرية المزج، لمارك تورنر، نقله غلى العربية: الأزهر الزناد، جامعة منوبة (تونس)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ٢٠١١م.
٢٠٦.مذكرات قارئ، لمحمد حامد الأحمري، دار الخلود، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.
٢٠٧.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان القاري، قرأه وخرّج حديثه وعلق عليه وصنف فهارسه: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤ه-١٩٩٤م.
٢٠٨.مركب المفرد المضاف إلى جمعه بين هشاشة المقاربة المجمعية وقوة التفسير الإدراكي، للدكتور محيي الدين محسب، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي، المملكة العربية السعودية، العدد (١١)، ذو القعدة ١٤٤١هـ- يوليو ٢٠٢٠م.
٢٠٩.المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق محمد جاد المَولى وآخرين، دار الجيل، بيروت، د. ت.

٢١٠.المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
٢١١.مسند أحمد بن حنبل، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢١٢.مسند البزار، لأبي بكر البزار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩ه-١٩٨٨م.
٢١٣.مسند أبي يعلى، لأبي يعلى الموصلي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م.
٢١٤.مصابيح الجامع (وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريب إعرابه)، لبدر الدين الدماميني، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا نور الدين طالب وآخرون، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٢١٥.المصباح المنير، للفيومي، اعتنى به عادل مرشد، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٢١٦.مصرع كليوباترا، لأحمد شوقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦م.
٢١٧.معاني القرآن، للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دار السرور، بيروت، د. ت.
٢١٨.معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.
٢١٩.معجم التعابير الاصطلاحية في العربية المعاصرة، للدكتورة وفاء فايد كامل، توزيع شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٢٠.معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، للدكتور محمد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٣م.
٢٢١.معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، لأحمد تيمور باشا، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، تحقيق الدكتور حسين نصار، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٢٢.معجم ما اسْتَعْجَمَ من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عُبيد البكري الأندلسي، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
٢٢٣.معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.
٢٢٤.مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ه.
٢٢٥.مفتاح العلوم، للسكّاكي، حققه وقدم له وفهرسه: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.
٢٢٦.المُفَصَّل في تفسير القرآن الكريم، المشهور بتفسير الجلالين، حققه الدكتور فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٢٧.المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٩٣م.
٢٢٨.المقاصد الشافية، للشاطبي، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٢٩.مقامات بديع الزمان الهمذاني، قدم لها وشرح غوامضها الإمام العلَّامة الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٣٠.مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٣١.المقتضب، للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٣٢.موسوعة الأمثال الشعبية، للدكتور إبراهيم أحمد شعلان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م.
٢٣٣.الموطأ، لمالك بن أنس، حقّقه محمد مصطفى الأعظمي، مطبوعات مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٣٤.نتائج الفكر، للسهيلي، تحقيق الشيخ أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٣٥.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٣٦.نهاية الأرب فى فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م.
٢٣٧.النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٣٨.نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، للسيوطي، دراسة وتحقيق: أحمد حاج محمد عثمان، دكتوراه، مطبوعات جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ-١٤٢٥هـ.
٢٣٩.همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٤٠.وحي الرسالة، لأحمد حسن الزيات، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م.
٢٤١.الوحشيات، لأبي تمام، علَّق عليه وحقَّقه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.
٢٤٢.وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي، راجعه واعتنى به د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.
٢٤٣.وفيات الأعيان، لابن خلكان، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.